25

KE

٢٥

# موسوعة الأنبا بيمن

## المجلد العاشر

# وسائط النعمة وموضوعات روحية أخرى

تقديم

الأنبا ديمتريوس

KE

25

٢٥

# موسوعة الأنبا بيمن

## المجلد العاشر

# وسائط النعمة وموضوعات روحية أخرى

تقديم

الأنبا ديمتريوس

اســـــــم الكتـــــــاب : **المجلد العاشر من موسوعة الأنبا بيمن وسائط النعمة وموضوعات روحية أخرى**

اســـــــم المؤلـــــــف : **المتنيح الأنبا بيمن**

اســـــــم المطبعـــــــة : مطبعة مطرانية ملوى .

جمـــــــع تصـــــــويرى : بمطرانية ملوى

رقـــــــم الايـــــــداع : ٩٨٤٢ / ٩٩

الطبعـــــــــــــــة : طبعة تذكارية بمناسبة اليوبيـــل الفضى لإعادة تأسيس الإيبارشية

Папа Аββа Ϣеноуτ

ⲡⲓⲁⲁⲃⲃⲁ ϣⲛⲟⲩⲧ (ⲡⲓⲁⲁⲃⲃⲁ ϣⲛⲟⲩⲧⲉ)

H.H.Pope Shenouda III,117th

Pope and Patriarch of Alexandria and the See of St. Mark.

قداسة البابا شنودة الثالث

مثلث الرحمات نيافة الحبر الجليل

**الأنبـــا بيمـــن**

Ⲁⲃⲃⲁ Ⲇⲏⲙⲏⲧⲣⲓⲟⲥ

ⲡⲉⲡⲓⲥⲕⲟⲡⲟⲥ ⲛⲧⲉ Ⲙⲁⲗⲗⲁⲩⲓ ⲙⲛ Ⲁⲛⲧⲏⲛⲟⲟⲩ ⲙⲛ Ⲱϣⲙⲟⲩⲛ

H.G.Demetrius

Bishop of Mallawi, Hermopolis & Antenoepolis.

الانبا ديمتريوس أسقف ملوى و أنصنا و الأشونين

# مقدمة طبعة اليوبيل الفضى

## لإعادة تأسيس الإيبارشية

## لحياة ومؤلفات نيافة الحبر الجليل مثلث الرحمات

## الأنبا بيمن

## أسقف ملوى وأنصنا والأشمونين

يسعدنى فى مناسبة اليوبيل الفضى لإعادة تأسيس الإيبارشية وتجليس نيافة **الأنبا بيمن** أسقفاً لها فى ١٩ / ٦ / ١٩٧٦م أن أقدم هذه الطبعة فى شكل موسوعة لحياته ومؤلفاته فى ثلاثة عشر مجلداً .

والتى تظهر مدى إخلاصه وتفانيه فى خدمة الكنيسة بوجه عام وكذلك دوره الكبير فى خدمة الإيبارشية ونهضتها روحياً واجتماعياً وتنموياً .. وفى كل المجالات . نيح الله نفسه البارة فى فردوس النعيم ونفعنا الله بصلواته وسيرته المباركة وأقواله ومؤلفاته وعظاته البناءة . وليعيننا الله كما أعانه لنكمل أيام غربتنا بسلام .

بصلوات الجالس على عرش القديس مارمرقس الإنجيلى قداسة البابا المعظم **الأنبا شنودة الثالث** والذى إليه يرجع الفضل فى تركيز الرعاية والخدمة فى هذه الإيبارشية التى كانت قبل خمسة وعشرون عاماً جزءاً صغيراً من إيبارشية المنيا والأشمونين والتى كانت تمتد من سمالوط شمالاً إلى ملوى جنوباً .

**بنعمة الله**

**ديمتريوس**

**أسقف ملوى وأنصنا والأشمونين**

# محتويات الكتاب

## ( المجلد العاشر من الموسوعة )


مقدمة طبعة اليوبيل .....

١. أعظمهن المحبة ..... ٢٢٨٥

٢. كيف أمارس سر الاعتراف ..... ٢٣٠٧

٣. المرشد إلى الاعتراف ..... ٢٣٢٠

٤. كيف أبدأ ..... ٢٣٢٩

٥. الروحانية الارثوذكسية ..... ٢٣٣٩

٦. الناموس والنعمة ..... ٢٣٥٣

٧. علامات الكنيسة ..... ٢٣٦٧

٨. نريد أن نرى يسوع ..... ٢٣٨٣

٩. الغيرة المقدسة ..... ٢٣٩٥

١٠. ولم يحبوا حياتهم ..... ٢٤٠٩

١١. إرادة الله وحياتنا ..... ٢٤٢٥

١٢. ظاهرة الهجرة ..... ٢٤٤٩

١٣. الاكتشاف الثالث ..... ٢٤٥٩

١٤. أين أنت ..... ٢٤٦٧

١٥. المسيحية إلتهاب ..... ٢٤٧٣

# أعظمهن المحبة

## علامات الحياة المسيحية

### الإيمان الاختباري ( عب ١١ )

### ما هو الإيمان

+ الثقة بما يرجى وبرهان الأمور التى لا ترى . ( الإيقان بأمور لا ترى ) .

+ هو صلة الحاضر بالأبدية .. أين إذاً شوكة الزمان ؟

+ هو تسليم الحياة للرب فى بساطة وثقة .

+ هو عبور لذيذ من الحسيات إلى ما لا يرى .. من الموت إلى الحياة .

+ هو الثقة بملكوت الله والإيقان الاختبارى بالأبدية ..

+ فالإيمان المسيحى إذاً ليس مجرد اعتناق مبادئ أو أفكار أو عقائد أو خلقيات ، وإنما هو حياة الشركة مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح بالروح القدس ..

### مضمون الإيمان

**يتضمن الإيمان المسيحى فطين أساسيين لازمين لحياة المؤمن :**

فعل الموت عن الذات والإنسان العتيق وهذا يناله المؤمن بالمعمودية والتوبة الدائمة والانسحاق والتذلل أمام الله دائماً .

وفعل القيامة لجدة الحياة وللطبيعة الجديدة ، وهذا يناله المؤمن بالاتحاد الدائم بالمسيح فى الصلاة وطاعة الإنجيل والأسرار المقدسة .

فالمسيحية لا تؤمن بإصلاح القديم أو ترميمه ، وإنما لابد من غرس إلهى جديد .. فالإيمان هو هبة إلهية وغرس إلهى وقيامة حاضرة من الآن (راجع يو ١١ : ٢٥ ، ١يو٥ : ١٠ ــ ١٢ ) .

والحياة الإيمانية فى جوهرها نعمة وحق "لأن الناموس بموسى أعطى ، أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا" ( يو ١ : ١٧) .

النعمة توهب لنا مجاناً بالإيمان بالمسيح يسوع ، ووسائطها هى أسرار الكنيسة السبعة وجميع الوسائط الروحية التى نمارسها من خلال الإيمان الكنسى .

والحق الذى يسكن فينا ويعطينا بصيرة لمعرفته والشهادة له . وهذا يتطلب منا احتمال معاناة مرة وصلب واضح للذات ، وموت حقيقى عن العالم ، وسير دائم فى النور .

## تحديات الإيمان

### الوقوع تحت سطوة الزمان :

فالإنسان الطبيعى يتلهف على المستقبل ويتحسر على الماضى ، دون أن يكون فى وسعه يوماً أن يقبض على الحاضر بجمع يديه ، حياة الإنسان الطبيعى ضائعة بين ماض يثقل كاهله ومستقبل مخيف يجذبه ففى أمور الحياة المادية يتثقل الإنسان الجسدى بحرمانات الماضى ويهلع لأخطار المستقبل ويخشى امتداد هذه الحرمانات إليه .

وفى الحياة الاجتماعية يحزن الفرد من مضايقات الناس ومتاعبهم القديمة التى خطت فى نفسه جرحاً غائراً ، ويذكر أفراح الأيام الماضية ويبتئس لأنها ولت ولم تعد ، ويظل ابن آدم فى توقع لآلام ثقيلة قادمة تقض مضجعه .

وفى الحياة الروحية كثيراً ما تمتص سطوة الزمان شعلة الإيمان فى حياة الإنسان . فذكرى الخطايا الماضية وثقلها على الضمير وعدم الثقة فى دم المسيح الغاسل المطهر .

وكذا التخوف من السقوط فى المستقبل وعدم التأكد من رعاية الله وحفظه وحراسته هذه كلها تفقد الإنسان حياته وإيمانه وخلاصه .

### الاعتماد على الأقيسة المنطقية والعلمية :

الإيمان يتجاوز المعرفة الطبيعية والأقيسة المنطقية ، وقد أثبت لنا الرب يسوع هذا بسيره على الماء ، وإقامته لعازر الذى أنتن ، وتهدئة الرياح بكلمة .

وليس معنى هذا أن الإيمان ضد العلم والمنطق ، ولكن الإيمان يعلو على العلم والمنطق . الإيمان له إمكانيات معجزية ، والعلم والمنطق لا يعرفان المعجزة.

**الخوف :**

الخوف ينتج من الاحساس بالزمن .. الخوف على المستقبل ناتج من عدم الثقة بذراع الرب . لهذا يفزع الإنسان راغباً فى تأمينات إجتماعية وصحية تقلل من خوفه وفزعه .

والذى يتأمل حياة الآباء القديسين والشهداء يلاحظ بوضوح كيف أنهم غلبوا الخوف بالثقة والإيمان واليقين الشديد فى عناية الله ورعايته الأبوية .

+ أنطونيوس باع الأفدنة وعاش فى الصحراء .

+ جاورجيوس ألقى بالوظيفة وتقدم للوحوش الكاسرة والعذابات الشديدة دون خوف أو وجل .

وهكذا جميع أولاد الله القديسين لا يخافون شيئاً لأنهم لا يشتهون شيئاً .

والذى يتأمل فى جسارة الإيمان فى حياة الفتية الثلاث ، وكيف أنهم دخلوا النار دون خوف يدرك معنى الإيمان وفاعليته .

والذى يدرس حياة دانيال ويراه فى الجب مع الأسود يعرف كيف أن الإيمان يغلب الخوف ، لأن الله أعطانا سلطاناً أن ندوس الحيات والعقارب وكل قوات العدو.

**الشكوك :**

تصلى الكنيسة فى أوشية الاجتماعات قائلة "الشكوك وفاعليها أبطلهم . ولينقض فساد افتراق البيع . حل تعاظمهم . عرفهم ضعفهم سريعا" .

والشكوك خطية موجهة ضد الله لأنه كما أن الإيمان يمجد اسمه ويرفعه ويعليه فإن الشكوك تطعن الإيمان بل وتميته أحياناً .

ولقد أوضح لنا الكتاب المقدس كيف كاد بطرس يغرق عندما شك يوم أن دعاه السيد أن يختبر اختبارا إيمانياً ويسير على الماء (مت ١٤ : ٢٨ ــ ٣١) .

وتنتج الشكوك من الكبرياء والاعتداد بالفكر البشرى ، كما تزرع من قراءة كتب الملحدين والإباحيين دون أن يكون القارئ متسلحاً بنعمة المسيح وقوة الروح

القدس ، وأحياناً تكون الشكوك حرباً من حروب الشيطان . وهذه يلزم مقاومتها بالاتضاع الشديد والمسكنة الروحية حتى تقتلع بذارها .

**قوة الإيمان :**

يقول معلمنا بولس الرسول "أستطيع كل شئ في المسيح الذى يقوينى" (فى ٤ : ١٣) وهذه الإمكانية هى ثمرة الإيمان الاختبارى . وفى هذا يقول معلمنا يوحنا "لان كل من ولد من الله يغلب العالم وهذه هى الغلبة التى تغلب العالم ايماننا" (١يو ٥ : ٤) .

وعندما أراد الرسول بولس أن يوضح لنا قوة الغلبة المدخرة لنا فى الإيمان أخبرنا أنها على حسب شدة عمل الآب عندما أقام المسيح من بين الأموات (أف ١ : ٨) أى أن ما هو لنا عند الآب إنما هو على مستوى قوة قيامة المسيح من الأموات . هذه القوة التى تفوق كل قوة فى العالم . إنها قادرة على أن تغلب كل أجناد الشر الروحية فى السماويات .

**أمثلة لإيمان قوى :**

+ إبراهيم أبو الآباء أطاع وخرج إلى مكان لا يعلمه .

+ مريم العذراء قبلت رسالة الملاك المبشر غير عابئة بما ينتظرها من أخطار .

+ أثناسيوس الرسولى يتحدى العالم كله .

+ الأنبا ديوسقورس يحتمل اضطهادات وتعاذيب كثيرة .

+ الأنبا صموئيل المعترف تقلع عينه فرحاً لأجل تمسكه بالإيمان الأرثوذكسى السليم.

**مسئوليات الإيمان :**

الذى اختار الإيمان ككنز سماوى وكنصيب صالح إنما اختار طريقاً ضيقاً ومساراً كرباً ومعاناة شديدة ومسئوليات كثيرة . "من لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى" (مت١٠ : ٣٨) .

وعندما شرح الرسول بولس موضوع الإيمان فى الإصحاحات الثلاثة الأولى من رسالة أفسس أكمل الرسالة بمسئوليات الإيمان بقوله "فأطلب إليكم أنا الأسير فى الرب أن تسلكوا كما يحق للدعوة التى دعيتم إليها بكل تواضع وداعة .. إلخ" (أف ٤ : ١ ــ ٢) . فإن كنا أبناء يلزمنا أن نشابه أبانا فى كل شئ .. وإن كنا ورثة فلابد أن نعيش لأجل الميراث السماوى .

ولعل أهم مسئولية يلقيها الإيمان المسيحى على أولاد الله هى الانقياد لروح الله ورفض مشيئة الذات (راجع رومية ٨ : ١٤) .

وتعتبر الأعمال الصالحة من أهم ثمار الإيمان ، وفى هذا يقول نيافة الأنبا شنودة "الأعمال الصالحة لازمة للخلاص وعدم وجودها يدل على أن الإيمان ميت وعلى أنه لا ثمرة له . ولكن الأعمال الصالحة وحدها لا تكفى للخلاص بدون إيمان وبدون معمودية وبدون استحقاقات دم المسيح . على أنه يلزمنا أن نوجه الانتباه إلى أمر هام جداً وهو أن أعمال الإنسان الصالحة تحتاج إلى مؤازرة من النعمة .

فقد قال المسيح له المجد "بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً" (يو ١٥ : ٥) ونصوص الكتاب المقدس التى تقلل من قيمة الأعمال .. هذه إما أن يكون المقصود منها هو أعمال الناموس كالختان والممارسات الطقسية وحفظ الأيام والشهور والأعياد وما إلى ذلك .

وإما أن يكون المقصود منها هو مهاجمة الأعمال غير المبنية على دم المسيح وفدائه فهى إما أعمال بدون إيمان ، أو أعمال سابقة على الإيمان" .

وهكذا تتحدد علامات الإيمان الاختبارى فى حياة المسيحى الحقيقى فيما يلى.

١ ــ وجود حياة داخلية سرية باطنية نامية بالصلاة وحفظ الوصية والحب الشخصى للرب يسوع المسيح .

٢ ــ تصديق كامل لمواعيد الله فى كتابه المقدس والإيمان بكل ما جاء فى التسليم الرسولى للكنيسة .

٣ ــ تقديم وصية المسيح وجعلها فى المرتبة الأولى حتى لو تضاربت مع العقل أو الراحة أو الكرامة أو الذات .

٤ ــ احتمال الآلام والمعاناة مهما كانت مكلفة فى صبر واتضاع وشكر .

## النمو فى الإيمان :

إن اختبار الإيمان ينمو فى حياة أولاد الله كما تنمو حبة الخردل وكما تنتشر الخميرة الصالحة فى ثلاث أكيال من دقيق .

وكما تنمو الحبة وتنتشر الخميرة فى سرعة وقوة إذا ما كان الجو صالحاً لنموها ، هكذا يحتاج الإيمان إلى جو صالح لتقدمه ونموه .

وهذا الجو الصالح هو القلب المستعد والنفس الخاضعة والرقبة المنحنية المنكسرة والشخصية التواقه إلى التعرف على مقاصد الله والخضوع لها وتنفيذها مهما كلفها الأمر من تضحيات .

وإذا ما أخذنا إبراهيم أبو الآباء مثالاً لوجدنا أن الله أخذ يدرب أبراهيم فى مدرسة طاعة الإيمان وينقله من مرحلة إلى أخرى حتى اجتاز أصعب الامتحانات وأقساها فى سهولة ويسر . فلو لم يرض أبرآم أن يترك أرض حاران لما استطاع أن يقدم ابنه وحيده وحبيبه اسحق ذبيحة للرب على جبل موريا .

وداود النبى الذى كان أميناً فى رعايته للغنم وقتل أسداً ودباً استطاع أن يقف أمام جليات الجبار ويصرعه بمقلاع صغير .

والفتية الثلاث لأنهم أطاعوا وصية الرب ورفضوا فى تصميم ألا يأكلوا من أطايب الملك وخمر مشروبه استطاعوا أن يدخلوا أتون النار فى جبروت الإيمان وعظمة التسليم الكامل .

ودانيال النبى لأنه رفض مع الفتية أن يتدنس بأكل غريب ، وصمم على ألا يسجد لتمثال الملك استطاع أن ينزل جب الأسود دون أن يخاف شيئاً أو يتردد لحظة واحدة .

وهكذا جميع أولاد الله قادتهم النعمة من امتحان إلى امتحان حتى أصعدتهم على جبل الإيمان الراسخ وأعطتهم أعظم وأقوى وأقدس الاختبارات .

على أنه يلزمنا أن ننوه أن المؤمن إذا لم يصح ويسهر لنفسه فإن ما حصله من نعمة وما اختزنه من اختبار يمكن فى غفلة أن يضيع منه ، وقصة سقوط داود مع امرأة أوريا الحثى إنذار لنا .

بل إن الرسول بولس يحذرنا فى وضوح عن أهمية السهر واليقظة حتى لئلا نكون بعد أن أخذنا اختبارات كثيرة نُرفض ونهلك إذ يقول " فإنى لست أريد أيها الأخوة أن تجهلوا أن آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة وجميعهم اجتازوا فى البحر وجميعهم اعتمدوا لموسى فى السحابة وفى البحر وجميعهم أكلوا طعاماً واحداً روحياً وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم ، والصخرة كانت المسيح . لكن بأكثرهم لم يسر الله لأنهم طرحوا فى القفر" (١كو ١٠: ١ـ٥) .

## الرجاء الحى

الرجاء هو الجانب المستقبلى أو الأخروى من الإيمان .. فالمؤمن يترجى قيامة الأموات والمجئ الثانى ، واثقاً من حدوث هذه الأمور المستقبلة تماماً كثقته فى وجوده وكيانه .

والمسيحى الحقيقى يثق أنه لم يخلق من أجل الحياة الأرضية ، وإنما خلق من أجل الحياة الأبدية " لأن ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة" (عب١٣ : ١٤).

والمؤمن الحقيقى حريص على ألا يفقد رجاءه فى الأبدية لئلا يصير أشقى جميع الناس .. " إن كان لنا فى هذه الحياة فقط رجاء فى المسيح فإننا أشقى جميع الناس " ( ١كو١٥ : ١٩ ) .

فحياة المسيحى المؤمن وسيرته كلها متعلقة بالسماء " فإن سيرتنا هى فى السموات التى منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح " ( فى ٣ : ٢٠ ) .

ونستطيع أن نتعمق موضوع الرجاء عندما نطالع الإصحاح الخامس عشر من الرسالة الأولى إلى كورنثوس والإصحاح الثامن من رسالة رومية ..

## الرجاء الغاش

وكثيراً ما يتحول الإنسان عن الرجاء الحقيقى الذى له فى المسيح يسوع وفى ملكه الأبدى إلى رجاء غاش ، فالابن الضال يمثل لنا كيف كان يترجى السعادة فى الكورة البعيدة ، وكيف أوصله هذا الرجاء الغاش إلى أشقى تعاسة . والغنى الغبى ( لو ١٢ : ٢٠ ) .. كان يترجى العمر المديد ووفرة المخازن ولكنه سُمى غبياً لأنه وضع رجاءه فى سراب ، لهذا يطالب الرسول بولس تلميذه تيموثاوس أن يوصى الأغنياء ألا يلقوا رجاءهم على الغنى وكبريائه بل على الله الحى ، ويكونوا أسخياء فى العطاء كرماء فى التوزيع ممسكين بالحياة الأبدية التى هى الرجاء الحقيقى ( ١تى٦ : ١٧ ــ ١٩ ) . وسليمان الحكيم ينبه ضمائرنا بقوله : " باطل الأباطيل الكل باطل .. ومهما اشتهته عيناى لم أمسكه عنهما .. ثم التفت أنا إلى كل أعمالى التى عملتها يداى وإلى التعب الذى تعبته فى عمله فإذا الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس " ( جا١: ٢ ،٢: ١٠ ــ ١١ ) .

## أهمية الرجاء فى حياة المسيحى

يقول الرسول بطرس عن أهمية الرجاء " ولدنا ثانية لرجاء حى بقيامة يسوع المسيح من الأموات " ( ١بط١ : ٣ ) . ويقول معلمنا بولس الرسول " لأننا بالرجاء خلصنا " ( رو٨ : ٢٤ ) .

ومعنى هذا أن شدة رجاء المؤمن فى المسيح يسوع وشدة تعلق قلبه بالسماويات وارتباط وجدانه وسلوكه بالحياة الأبدية .. إنما هو أقوى ضمان أكيد لخلاص المؤمن .

والرجاء عند المسيحى أمر لازم لأنه كما يعبر عنه الرسول بولس أنه مرساة للنفس " لنمسك بالرجاء الموضوع أمامنا . الذى هو لنا كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة

تدخل إلى ما داخل الحجاب . حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا صائراً على رتبة ملكى صادق رئيس كهنة إلى الأبد " ( عب٦ : ١٨ ــ ٢٠ ) .

وإذا ما تعمقنا معنى هذه الآية نجد أن الرسول بولس يشبه الرجاء بالمرساة ( الهلب ) الذى يربط السفينة بالشاطئ .. وكما أن السفن المحيطية يسبقها الهلب ويوضع على الشاطئ قبيل وصولها .

ولما يوضع الهلب يعتبر الربان السفينة أنها قد وصلت سالمة ، رغم عدم دخولها الميناء ، هكذا يرى الرسول أننا بالرجاء وضعنا قلوبنا فى السماء واستقرت فى الأقداس حيث قد دخل يسوع كسابق لأجلنا .

وهناك ضمان لهذا الدخول هو أن رئيس كهنتنا قد أعد لنا المكان ، وما هى إلا أيام الغربة القصيرة حتى نصل الميناء .

ومادام حبل الرجاء قد ربط القلب بأقداس السماء فإن سفينة حياتنا تتحدى صعاب الحياة دون خوف لأن الركيزة الصلبة التى يستند عليها الرجاء هو شخص الرب يسوع المخلص الذى أتم الفداء لأجلنا ودخل الأقداس كسابق لأجلنا .. ولاشك أن هذا الرجاء يعطى للنفس طمأنينة وسلاماً وثقة فى الوصول ..

والرجاء المسيحى يعطى للنفس تعزية لا تنضب ، وخاصة فى أوقات الضيق والتجارب والمحن .

ولعل بولس الرسول أعظم مثال ، على قوة الرجاء فى إمداده بالعزاء إذ يكتب شارحاً اختباره العميق هذا بقوله " مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح أبو الرأفة وإله كل تعزية الذى يعزينا فى كل ضيقتنا حتى نستطيع أن نعزى الذين هم فى كل ضيقة بالتعزية التى نتعزى نحن بها من الله . لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً " ( ٢كو١ : ٣ ــ ٥ ) .

وفى موضع آخر يقول " فإنى أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا " ( رو ٨ : ١٨ ) .

فقد كان قلبه دائماً مرفوعاً نحو السماء منتظراً الإكليل المُعد للمجاهدين " ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه " ( ١كو٢ : ٩ ) .

لأجل هذا يقول الرسول بولس " فرحين فى الرجاء " هذا الفرح له عربون فى الحياة الحاضرة إذ يثق المؤمن أنه سائر فى درب القداسة متجهاً نحو أورشليم السمائية .

ويتوقع بنعمة الله ومحبته ورحمته أن يدخل المدينة المقدسة الجديدة المزينة كعروس لرجلها حيث هناك لا يكون فيما بعد موت ولا حزن ولا صراخ ولا وجع لأن الأمور الأولى قد مضت ( رؤ ٢١ : ٣ ــ ٧ ) .

ولكى تعرف مواعيد الله المعزية التى يعيش عليها الإنسان المسيحى ويحيا مترجياً حدوثها ، اقرأ سفر الرؤيا . وإليك بعضاً من هذه المواعيد :

+ من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التى فى وسط فردوس الله ( رؤ٢ : ٧ ) .

+ من يغلب فلا يؤذيه الموت الثانى ( رؤ ٢ : ١١ ) .

+ من يغلب فسأعطيه أن يأكل من المن المُخفى وأعطيه حصاة بيضاء وعلى الحصاة اسم جديد مكتوب لا يعرفه أحد غير الذى يأخذ ( رؤ ٢ : ١٧ ) .

+ من يغلب ويحفظ أعمالى إلى النهاية فسأعطيه سلطاناً على الأمم ( رؤ ٢ : ٢٦ ) .

+ من يغلب فذلك سيلبس ثياباً بيضاً ولن أمحو اسمه من سفر الحياة وسأعترف باسمه أمام أبى وأمام ملائكته ( رؤ ٣ : ٥ ) .

+ من يغلب فسأجعله عموداً فى هيكل إلهى ولا يعود يخرج إلى خارج . ( رؤ٣ : ١٢ ) .

وهكذا يحمل الرجاء المسيحى معه مواعيداً غالية وثمينة تهوّن المعاناة .. وتخفف الألم .. وتعطى الصبر .. وتهب النظر الدائم إلى فوق .

## الأبدية حاضرة الآن

إن كل من عاش على هذه الأرض غريباً سائحاً وجهته الأبدية ، تذوق مقدماً السعادة الخالدة التى لا توصف ، فملكوت الله حاضر الآن فينا وما نترجاه نملك عربونه الآن .. وإن لم نكن قد تذوقنا يسوع هنا فلن نراه فى المجد الآتى .. إن وجه الرب يسوع وقلبه المملوء عذوبة ورقة يضيئان بأعظم بهاء فى حياة كل مؤمن يحيا بالرجاء والإيمان والمحبة .

إن مخدع الصلاة والتلذذ بالكتاب المقدس وقراءة سير القديسين توضح الرؤية وتشعل القلب وتقوى الإرادة وتُغذى النفس بطاقات جديدة وتدفع بالمؤمن نحو جعالة الله العليا التى له فى المسيح يسوع .

أيتها الأمجاد السماوية أشرقى فى قلبى واجتذبى وجدانى ومشاعرى نحو إلهى ، وقربى ساعة لقيا حبيبى واجعلينى متذوقاً حلاوة الملكوت المُعد لى حتى لا أعود أذكر سوى مخلصى إلى أبد الآبدين .

## الرجاء ليس مخدراً

إذا كان ماركس يقول إن الدين أفيون الشعوب فإنه قد أخطأ لأنه نظر نظرة سطحية إلى حياة المسيحى ، فإن اتكال المؤمن على الله وانتظاره الحياة الأبدية لا يعنى أن يتراخى فى أداء أعماله ويهمل فى الأمانة الموضوعة على عاتقه ، لأن حياة الرب نفسها وحياة القديسين أمثال بولس الرسول ترينا كم جاهدوا واحتملوا وشقوا طريقهم بكل تصميم وعزم وأمانة دون تكاسل أو تراخ .

وقد يكون ماركس معذوراً عندما وجد حكومات تدّعى أنها مسيحية وهى حكومات استعمارية تستغل خيرات الشعوب النامية وتنشر الدين المسيحى بين هذه الشعوب على مستوى الخضوع واحترام السلطات وعدم التذمر وقبول الأوضاع كما هى .. هذه هى دائماً محاولة الرجعية البورجوازية فى سبيل تدعيم استغلالها للشعوب .. وإذا كان الاستعماريون قد نجحوا فى القرنين التاسع عشر ومنتصف

العشرين فى نشر هذه الاتجاهات فإن المسيحية بريئة منها تماماً لأن الرجاء المسيحى لا ينفى الإخلاص والنشاط والغيرة والحماس والتزام المواقف والاحتجاج على الظلم .

فقد كان أنبياء الله وآباء الكنيسة يوبخون الظالمين دون وجل كما انتصب إيليا أمام آخاب وإيزابيل .

وقد ظهر فى الحياة علماء وفلاسفة وأبطال غيروا مجرى التاريخ بقوة صلابتهم وشدة تمسكهم بمبادئهم ، وكانوا متدينين عابدين مترجين مجئ الرب ومنتظرين ساعة الخلاص بفارغ الصبر ..

من أعتنق المسيحية لم يعد بوسعه أن يهرب من العالم لأن الله ألقى بنفسه بالتجسد فى صميم العالم وأصبحت البشرية كلها جسد المسيح وأصبحت آلامها آلام المسيح . فليست المسيحية أفلاطونية تتوق إلى الهروب من هذا العالم للتحليق فى عالم المُثل ، إنما هى ديانة الإله المتجسد ، ديانة الكلمة الذى صار جسداً . ليست المسيحية ديانة " ما وراء " ، لأن ملكوت الله ليس " ما وراء " التاريخ .. هو سيتحقق بملئه عند نهاية التاريخ ولكنه منذ الآن حاضر " إنها ستأتى ساعة وهى الآن " .. فانتظار المسيحيين لمجئ ربهم ثانية لا يمكن أن يعنى هرباً من مجابهة الواقع ، لأن هذا الانتظار إن عنى شيئاً ،فإنما يعنى الامتداد إلى الملكوت والتحرك نحوه ، وبالتالى العمل على تحقيق بواكير التاريخ ..

فانتظار الملكوت لا يعنى الهرب من الحاضر وإنما يقتضى تجلى الحاضر.. من كان انتظار الملكوت يملأ قلبه لابد له أن يحاول عكس صورته فى العالم الذى يعيش فيه ، وكأنه بذلك يعجل القيامة .. " .

## من عنده هذا الرجاء

من عنده هذا الرجاء به يطهر نفسه . فالمؤمن الذى يعيش منتظراً ملكوت الله لابد أن يحيا الآن فى خضوع لإرادة الله التى هى قداستنا " لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض " .

فالقداسة هى التزام الرجاء المسيحى الحقيقى ودلالة حيويته وصحته وسلامته. ومن عنده هذا الرجاء يصبر لأن الرسول يقول " ولكن إن كنا نرجو ما لسنا ننظره فإننا نتوقعه بالصبر " . ويقول أيضاً " إن كنا نصبر فسنملك أيضاً معه " ( رو٨ : ٢٤ ــ ٢٥ ) .

وهو نفسه يشجعنا وينصحنا بقوله " فلا تطرحوا ثقتكم التى لها مجازاة عظيمة لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد .. لأنه بعد قليل جداً سيأتى الآتى ولا يبطئ " ( عب ١٠ : ٣٥ ــ ٣٧ ) .

ونحن نجد أمثلة رائعة لصبر الرجاء فى شخصيات آبائنا القديسين أمثال نوح البار وإبراهيم أبو الآباء وبولس الرسول .. الخ .

ومن عنده هذا الرجاء يركض دائماً نحو الجعالة حسب قول الرسول " أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام . أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا فى المسيح يسوع " ( فى ٣ : ١٣ ) .

ذلك لأنه من طبيعة الرجاء وفاعليته أن يظهر الإكليل والجعالة أمام المؤمن ، وكلما اتضح الإكليل استهان المؤمن بكل شئ فى الحياة ونهض كالأيل يجدد قوة يرفع أجنحة كالنسور ..

متشجعاً بقول الرب نفسه " لا تخف لأنى معك .. أنا الرب إلهك الممسك بيمينك القائل لك لا تخف أنا أعينك " ( اش ٤١ : ١٠ ــ ١٣ ) .

## بعض الآيات للتأمل فى الرجاء الحى

### ـ موضوع الرجاء

+ لكن الرجاء المنظور ليس رجاء لأن ما ينظره أحد كيف يرجوه أيضاً ولكن إن كنا نرجو ما لسنا ننظره فإننا نتوقعه بالصبر ( رو٨ : ٢٤ ) .

+ ولدنا ثانية لرجاء حى بقيامة يسوع المسيح .. لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ فى السموات لأجلكم ( ١بط١ : ٢ ) .

+ إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح فإننا أشقى جميع الناس ( ١كو١٥ : ١٩ ) ، راجع أيضاً ( ٢كو٤ : ١٦ ــ ١٨ ) .

### ٢ــ الرجاء مرتبط بالإيمان والمحبة

+ أما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة ، هذه الثلاثة ولكن أعظمهن المحبة ( ١كو١٣ : ١٣ ) .

+ متذكرين بلا انقطاع عمل إيمانكم وتعب محبتكم وصبر رجائكم (١تس١ : ٣) .

### ٣ــ ثقة الرجاء

+ وبيته نحن إن تمسكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية ( عب٣ : ٦ ) .

+ ألقوا رجاءكم بالتمام على النعمة التى يؤتى بها إليكم عند استعلان يسوع المسيح ( ١بط١ : ١٣ ) .

### ٤ــ تعزية الرجاء

+ تكون لنا تعزية قوية نحن الذين التجأنا لنمسك بالرجاء الموضوع أمامنا الذى هو لنا كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة تدخل إلى ما داخل الحجاب حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا ( عب ٦ : ١٨ــ ٢٠ ) .

### ٥- تزكية الرجاء

+ عالمين أن الضيق ينشئ صبراً والصبر تزكية والتزكية رجاء والرجاء لا يُخزى لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعطى لنا ( رو ٥ : ٣ــ٥ ) ، راجع أيضاً ( ١بط١ : ٥ ــ ٧ ) .

### أجرة الرجاء وإكليله

+ آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا ( رو٨ : ١٨ ) .

+ إن كنا نتألم معه لكى نتمجد ايضاً معه ( رو٨ : ١٧ ) .

+ كما اشتركتم في آلام المسيح افرحوا لكى تفرحوا في استعلان مجده أيضاً ( ١بط٤ : ١٣ ) .

+ ها أنا آتى سريعاً وأجرتى معى لأجازى كل واحد كما يكون عمله ( رؤ٢٢ : ١٢).

## المحبة الطاهرة

### ما هى المحبة وما هو الحب الحقيقى ؟

هناك ثلاثة أنواع من الحب يلزمنا أن نوضح كل واحد منها حتى نفرق بين المحبة المسيحية الحقيقية والمحبة الغاشة .

### النوع الأول : ويسمى ( ايروس ) العشق

وهذا النوع هو الحب الجسدى ، الحب الذاتى المتمركز حول الأنا .. هو عشق للذات وتثبيت لمرحلة الطفولة .

ولكن هذا النوع ليس حباً وإنما هو عبودية .. والإنسان عندما يقع فى عبودية حبه لنفسه فإنه يسجنها ويفقدها معنى الحب وفاعليته .. والحب الأيروسى صورة ناقصة من صور الحب .. إنه دائرة مغلقة ، كل من يحبس نفسه فيها يصير سجيناً. يتوهم أنه قادر على الانطلاق ولكنه حبيس لا يرى نور الحرية لأنه فى قبر الذات يعيش .. إن الحب الحقيقى لا يكتمل إلا فى الآخر .. والآخر هو الذى يقضى على العزلة وينتزع النفس من الأنانية المرة .. وإذا أحب العاشق فإنه يحب نفسه فى الآخر أنه لا يحب الآخر كما هو . إن العشق تمركز ذاتى ، ذلك لأن العاشق يتصور نفسه مركز الدائرة ويريد أن يدور الآخر فى فلكه ..

هذه هى طبيعة الجسد .. يعيش ولا يحب ، يشتهى ولا يبذل يتلذذ ولا يرضى بجراح المسئولية والالتزام .

### النوع الثانى : التجاوب العاطفى

ليس التعاطف مجرد مشاركة وجدانية فى الألم والسرور فحسب بل هو أيضاً وظيفة حيوية هامة تشعرنى بأن ثمة تساوياً فى القيمة بين ذاتى وذوات الآخرين .. من حيث هم موجودات بشرية أو كائنات حية .. ولكن الأمر الذى يجب أن نشير إليه هو أن المشاركة الوجدانية والتعاطف ليس نفاذاً مطلقاً أو اختراقاً تاماً لشخصية

الآخر .. ليس من شأن التجاوب العاطفى أن يصهر " الذوات "[1] فى بوتقة واحدة أو أن يُذيب الفوارق الفردية القائمة بين الشخصيات .. لابد أن نفهم أن التعاطف مجرد مشاركة وجدانية تفترض الانفصال بين الذوات .. وتظل محتفظة بتلك المسافة أو ذلك البعد الذى يفصل بين الشخصيات ..

ويعطى كثير من العلماء أهمية للوظيفة الأخلاقية للتعاطف ويرون فيها بداية الطريق إلى محبة القريب .

والحقيقة أن التجاوب العاطفى والمشاركة الإنسانية أرقى فى مستواها كثيراً من العشق الأيروسى .. ــ ولكنها مسيحياً ــ مشاعر إنسانية أرضية نابعة من طبيعة الجسد .. وكل ما ينبع من الجسد ــ مهما كان رقيه ــ فهو فى نظر الإنجيل موت ، لأن الذين يسلكون حسب الجسد فحسب الجسد يموتون .

## النوع الثالث : المحبة ( أغابيه )

لقد رسم الكتاب المقدس صورة الحب فى النموذج الذى قدمه الآب السماوى عندما أحبنا فبذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به وأوضحه الابن عندما قدم ذاته على الصليب لأجل خلاص الكنيسة .. فكما أحب المسيح الكنيسة حباً قائماً على البذل الحقيقى على مستوى الموت ، فإن المسيحى لا يكون له حب صادق طاهر إلا على هذا المستوى وبمثل هذه النوعية .. على ذلك فليس هناك حب صادق إلا من خلال المسيح وبعمل الروح القدس وحده .. " لأن المحبة قد انسكبت فينا بالروح القدس " .

فالمحبة المسيحية الحقيقية ما هى إلا حضور الرب يسوع فى قلب المؤمن لأن يسوع وحده هو المحبة .. وإن لم يكن يسوع هو مصدر هذه المحبة وإن لم يكن الروح القدس هو ينبوعها فهى محبة ذاتية بشرية أرضية غير مرضية أمام الآب السماوى مهما كانت صورها الخلقية غاية فى الرقى الإنسانى ..

---

[1] جمع كلمة ذات .

وإذا كان ما يميز الأيروس هو ( التمركز حول الذات ) ، فإن ما يميز الأغابية هو ( التمركز حول الله ) ، وعلى حين أن الأيروس رغبة وشوق واشتهاء، نجد أن الأغابية بذل وعطاء وتضحية بالذات ..

فالأيروس ينشد متعة الذات ، فى حين أن الأغابية تهب نفسها للآخرين .

## أهمية الأغابية فى الحياة المسيحية

بدون المحبة لا تستطيع النفس الاقتراب إلى الله لأن الله محبة .. وبدون المحبة لا تستطيع الكنيسة أن تكون كنيسة لأن الرأس حب كامل فكيف يكون الجسد جسداً للرب وهو خال من الحب ..

إننا نستطيع أن ندرك عمق المحبة وأهميتها فى حياة الرب يسوع وخاصة فى الساعات الأخيرة من حياته على الأرض عندما كان يصلى فى البستان لأجل خاصته ولأجل المؤمنين ، وعندما قدم نفسه وحمى تلاميذه ..

وهكذا كان جسده المكسور ودمه المسفوك هما التقدمة الغالية التى أعطاها لتلاميذه ليلة آلامه كى يكون قوة لكل مؤمن يستطيع من خلال سر الشركة أن يقدم حياته بدلاً لأجل الآخرين وفدية عن العالم الفاسد الشرير .

**ولكى ندرك مدى أهمية المحبة فى حياة المسيحى نسرد هذه الآيات من رسالة معلمنا يوحنا الأولى :**

+ من قال إنه فى النور وهو يبغض أخاه فهو إلى الآن فى الظلمة .

+ من يحب أخاه يثبت فى النور وليس فيه عثرة ، وأما من يبغض أخاه فهو فى الظلمة ، وفى الظلمة يسلك ولا يعلم أين يمضى لأن الظلمة أعمت عينيه ( ١يو٢ : ١٠ ــ ١١ ) .

+ كل من يحب فقد وُلد من الله .. ومن لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة ( ١يو٤ : ٧ ــ ٨ ) .

وهكـذا نجـد أن المسـيحية تعتـبر الثبوت فى المحبة ثبوتاً فى الله وثبوتاً فى النور وولادة من الله ومعرفة حقيقية للحق .

إنهـا الدلالـة القاطعـة علـى حـياة التجديد والانتقال من ظلمة الإنسان العتيق إلى حياة البر الأبدية .

## الأغابية والآخرون

إن المحـبة المسـيحية تضـع محـبة القريـب شرطاً أساسياً لضمان سلامة نوعيتها فالرسـول يوحـنا يقـول " إن قـال أحد إنى أحب الله وأبغض أخاه فهو كاذب لأن من لا يحب أخاه الذى أبصره ، كيف يقدر أن يحب الله الذى لم يبصره ؟

مـن يحـب الله يحـب أخـاه أيضـاً ( ١يو٤ : ٢٠ ــ ٢١ ) ، فالمسيحية تطلب منا أن نكـون ( أغابـية ) عاملـة تنحـنى على جراح البشرية وتمسح دموعهم وتأخذ بأيديهم .. " كل ما فعلتموه بهؤلاء الأصاغر فبى أنا فعلتم " ..

والرسـول بولـس يضـرب مـثلاً رئعاً فى محبة الأخوة روحياً عندما يقول " إننى كنـت أود أن أكـون أنـا نفسـى محروماً من المسيح من أجل أخوتى أنسبائى فى الجسد" وفى موضع آخر يقول " من يعثر وأنا لا أعثر . من يضعف وأنا لا ألتهب " .

## سمات المحبة المسيحية

+ محـبة إلهـية مـن خـلال المسـيح ــ غير متحيزة ــ غير نفسانية ــ غير نفعية وهى موحدة تجمع ولا تفرق ــ تربط ولا تقسم ..
+ محـبة روحـية مـن خـلال الحـق ( ينبغى أن يُطاع الله أكثر من الناس ) . لا تجامل على حساب الحق ولا تقبح دفاعاً عن الحق ..
+ محبة داخلية من خلال الاختبار . يعمقها ويسندها ذخيرة فى أعماق الكيان .
+ محـبة محـتملة مـن خـلال الانفـتاح والاسـتنارة والـبذل العملـى فهـى لا تعرف الانكماشية أو التقوقع أو التعصب .

## مسئوليات المحبة المسيحية

لقد أوضح الرسول بولس مسئوليات المحبة عندما تحدث فى رسالته الأولى لأهل كورنثوس عن أهمية المحبة وتفوقها عن كافة المواهب الروحية بقوله " إن كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة ، ولكن ليس لى محبة فقد صرت نحاساً يطن أو صنجاً يرن. إن كان لى الإيمان حتى أنقل الجبال ولكن ليس لى محبة فلست شيئاً ".

+ المحبة تتأنى وترفق .. هذه مسئولية الصبر والترفق على الضعيف .

+ المحبة لا تحسد .. هذه مسئولية مباركة وتطويب مواهب وحاجات الآخرين حتى لا يدخل الحسد إلى قلب المؤمن .

+ المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ ، ذلك لأنها وديعة متضعة فلا يدخل أصبع إبليس المتكبر المنتفخ ليلوثها ، إنها لا تعزل نفسها عن الآخر حتى تتعالى عليه .

+ المحبة لا تقبح ولا تطلب ما لنفسها . وذلك لأنها طاهرة بفعل الروح القدس روح الحب والقداسة .

+ المحبة لا تحتد ولا تظن السوء .. وسر عدم الاحتداد هو رقتها وترفقها واتضاعها واحتمالها وطول أناتها وصبرها .

+ وهى لا تفرح بالإثم بل تفرح بالحق . ذلك لأنها تتجه إلى الحق وتثبت فى النور فلا تتجه إلى ظلمة الإثم والشر " من يفعل الحق يقبل إلى النور ، ومن يحب يثبت فى النور " .

وهكذا نرى أن كل من يحب ــ بروح مسيحية ــ يثبت فى النور والحق .. والمسيحى لا يحب ولا يفرح إلا من خلال الحق وحده .

وهى تحتمل كل شئ وتصدق كل شئ وترجو كل شئ ونصبر على كل شئ . " المحبة لا تسقط أبداً " ( ١كو١٣ ) .

والرسول يوحنا يؤكد لنا أهمية الفاعلية العملية للمحبة من مودة وخدمة الطاعة وعطف واتفاق مادى ومعنوى لأن هذه هى التى تبرهن على صدق المحبة وأصالتها ونقاوتها ..

".. من كان له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجاً وأغلق أحشاءه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه ..يااولادى لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق" ( ١يو٣ : ١٧ ــ ١٨ ) .

## مواقف للمحبة العملية

+ قصة الأخين والقمح من منهج مدارس التربية الكنسية .
+ قصة إبراهيم الجوهرى وأخيه الذى أهين من أحد العامة .
+ قصة عنقود العنب الذى أرسل لدير فى غير ميعاده ، ومر على جميع الرهبان ، وكل راهب يعطيه لأخيه حباً وتفضيلاً .
+ محبة القديسة بربارة لوالدها الوثنى وصلاتها لأجله ولأجل الوالى الذى عذبها ــ محبة استفانوس لأجل راجميه ــ محبة بولس لأجل مخدوميه " من يعثر وأنا لا أعثر من يضعف وأنا لا ألتهب " .
+ قصص من سير الأنبا بيشوى والأنبا صرابامون والأنبا ابرآم ( راجع بستان الرهبان والسنكسار وتاريخ الكنيسة ) .

## مقتطفات من أقوال الآباء[٢]

### أهمية المحبة

+ " نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الأخوة " (١يو ٣ : ١٤) .
+ " إن كان فى القلب محبة للأخوة لنكن فى راحة لأننا انتقلنا من الموت إلى الحياة ..

حقاً إن الحياة تكمن فينا ، لكن كما فى الشتاء الجذور حية ، لكن الفروع كما لو كانت جافة ، فى الداخل تكمن الحياة فينا فى الداخل أوراق الشجر.

وفى الداخل تكمن الثمار ، لكن هذا كله يترقب مجئ الصيف " ( أوغسطينوس ) .

---

[٢] راجع كتاب الحب الأخوى للقس تادرس يعقوب .

## المحبة بلا غرض أو منفعة

+ " إن أحب أحد الله من أجل المرئيات فحبه جسدانى ، وإن كان الإنسان يحب الله بدون غرض فحبه روحانى . وهذا الحب محفوظ لنا فى حياة ما بعد القيامة " ( القديس يوحنا التبابيسى ) .

## النمو فى المحبة

+ " كما أن الجنين الذى فى الرحم لا يبلغ الرجولية فى لحظة ، بل تبدأ فيه الصورة والميلاد رويداً رويداً .

وكما أن حبوب القمح والشعير لا تثمر حالما تبذر فى الأرض .. كذلك الأمور الروحية فيها حكمة ودقة عظيمة فإن الإنسان ينمو درجة فدرجة ، ويعلو إلى قامة تامة " (أف ٤ : ١٣ ) ( مقاريوس الكبير ) .

## المحبة يلزم أن تكون عملية

+ " إن سيدنا لم يعلمنا أن نحفظ جميع الوصايا بالكلام فقط بل أرانا ذلك بأفعاله أيضاً لأنه مكتوب أنه ابتدأ يعمل ويعلم ويكمل جميع الوصايا واحدة واحدة .. " .

+ " وهذه جميعها أكملها بالفعل .. فلا يمكن للإنسان أن يكون محباً إلا بحفظ الوصايا عملياً وإن لم يحفظها فإنه لا يرث الحياة " ( مار فليكسينوس ) .

## المحبة يلزم أن تكون طاهرة

+ " الذى يحب الرب فهو يحب الكل ، فيا أولادى الأحباء لا تكلوا ولا تملوا من محبة بعضكم لبعض بل اجعلوا هذا الجسد الذى تلبسونه مجمرة ترفعون فيها جميع أفكاركم ومشوراتكم إلى الرب برفع عقولكم إليه وتقديم قلوبكم له واطلبوا منه أن يوقد فيكم نار محبته لتحرق وتطهر كل ما فى تلك المجمرة " ( أنطونيوس الكبير ) .

# كيف أمارس سر الاعتراف

# كيف أمارس سر الاعتراف

## هل من ضرورة لسر الاعتراف ؟

هناك اتجاهان غريبان عن روح الكنيسة الأرثوذكسية يحكمان ممارسة سر الإعتراف عند غالبية الشباب فى كنيستنا .

### الاتجاه الأول

وهو الاكتفاء بأخذ الحل من الكاهن مهما كانت حالة المعترف ، بل وكثيراً ما يكون إعطاء الحل لجماعات كثيرة دفعة واحدة دون محاولة فحص كل شخص ومدى استحقاقه لنيل هذا الحل ، هذا الاتجاه يركز على سلطة الكاهن للحل فيعتبر الاعتراف صحيحاً بغض النظر عن حالة المعترف الروحية والنفسية ، أنه يخلع على الكاهن نوعاً من السحر السرى حتى أنه مجرد أن يتلفظ الكاهن بكلمات الحل يصبح الشخص تائباً مهما كانت حالته ، هذا اتجاه يركز على شكلية القانون ، وهو أمر يدينه التقليد الكنسى الأرثوذكسى ، إنه اتجاه يميل إلى الروح الغربية الكاثوليكية التى كثيراً ما تهتم بالشكل والنظام أكثر من أن تتعمق فى الجوهر والكينونة .

### الاتجاه الثانى

هو الهبوط بالاعتراف إلى السيكولوجية ، والنظر إلى الكاهن كمحلل نفسى وأخصائى اجتماعى ، مثل هذا الاتجاه يركز على النصائح الاجتماعية وعلى الراحة النفسية التى يجوزها المعترف عندما يجلس مع الكاهن يتطارح معه مشكلاته ويفصح عن آلامه وأوجاعه .

مثل هذه النزعة غريبة عن الروح الأرثوذكسية وهى حادثة بتأثير البروتستانتية ، وانتشار مبادئ علم النفس والتحليل النفسى والعيادات النفسية ، والنظرة إلى الحياة من وجهة نظر سيكولوجية ، واهتمام الناس بالتكيف الاجتماعى والأخلاق المهذبة ، أكثر من اهتمامها بالحياة الأبدية وخلاص النفس ، لقد أصبحت الغالبية تنظر إلى الخلق الاجتماعى على أنه كاف لتحقيق المسيحية ، أما انشغال

النفس بالمجئ الثانى واهتمام القلب بالحب الإلهى والسعى نحو تنقية الداخل من كل ما يعطل صفاءه ونقاوته ، فهذه أمور أصبحت لا تشغل الكثيرين ، لقد أراد الناس من سر الاعتراف وهو سر التوبة وتقديم النفس ذبيحة أمام الله فى موقف فيه يختبر الإنسان الموت عن العالم وصلب الذات ، لقد أراد الناس منه إشباعاً للذات وإراحة للضمير وتجميلاً للخارج وطلباً لحسن التعامل مع الأخرين وكفى .

بل وكثيراً ما يقع بعض آباء الاعتراف فى نفس هذا الخطأ فيسرون من الذين يواظبون على حضور الاجتماعات ويسهمون فى احتياجات الكنائس ويستخدمون مناصبهم لمساعدة الفقراء وسد حاجات بعض من يترددون على الكنيسة ، وقليل من الآباء هو الذى ينظر إلى المعترف من خلال الخطيئة والخلاص ، من خلال النعمة والحق ، من خلال التوبة والنهوض والتقدم فى المسير الروحانى الداخلى ، من خلال غلبة شهوة العيون وشهوة الجسد وتعظم المعيشة ، هذه التى ليست من الآب .

**والآن لنسأل أنفسنا :**

**ما هو الاعتراف إذاً ؟**

يجب أن يعاد وضع الاعتراف داخل إطار سر التوبة ، يلزمنا أن نعرف أن الاعتراف هو جزء من سر كنسى يتطلب من المعترف أمور هامة قبل اعترافه وأموراً أخرى بعد اعترافه .

التوبة فى اللغة اليونانية تسمى (ميتانيا) وهى كلمة تعنى تغيير الفكر ، فالتوبة ليست مجرد مقاومة خطيئة ما ولكنها تغيير سلوك الإنسان بناء على إيمان جديد عاشه ، وبناء على فهم مستقيم وأصيل لعلاقته مع الله ، التوبة هى تغيير الاتجاه الداخلى للإنسان لأنها قضية متأصلة فى الإيمان ومتجذرة فى فهمنا لله نفسه ، التوبة ليست توبة إلى فضائل كما يقول أحد الآباء ، ولكنها توبة إلى الله ذاته ، وهى اتحاد به واقتباس لحياته فينا ، التوبة هى رجوع الخاطئ إلى الله ومصالحته معه ، التوبة

حركة إيجابية وليست نوعاً من السلبية أو الحزن الردئ ، يقول الأستاذ حبيب جرجس إن للتوبة شروطاً أربعة هى :

## الشرط الأول

انسحاق القلب والحزن الصادق على ما عملته الخطية من إهانة موجهه لله "أخطأت إلى السماء وقدامك " ( لو ١٥ : ١٨ ) ومثل هذا " الحزن الذى بحسب مشيئة الله ينشئ توبة لخلاص بلا ندامة " ( ٢كو ٧ : ١٠ ) وهذا الانسحاق لا يكون مجرد خوف من العقاب الإلهى وأنما يلزم أن يكون مصحوبا بروح البنوة الحريصة على محبة الأبوة .

## الشرط الثانى

هو العزم الثابت على إصلاح السيرة واتخاذ مواقف ايجابية " أقوم الأن وأذهب إلى أبى " ، وفى سفر الرؤيا يقول الرب لملاك كنيسة افسس " اذكر من أين سقط وتب واعمل الأعمال الأولى " ( رؤ ٢ : ٥ )

## الشرط الثالث

هو الثقة الكاملة فى محبة الله وقبوله اعترافتنا وغفرانه لكافة خطايانا ، وفى هذا يقول الرسول " فمن ثم يقدر أن يخلص أيضا إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم " ( عب ٧ : ٢٥ ) .

## الشرط الرابع

هو الاعتراف الشفوى بالخطايا أمام الأب الروحى ، ولقد كانت اعترافات المؤمنين فى الكنيسة الأولى علانية ( أع ١٩ : ١٨ ) ، وكان للكنيسة أيام الرسل إحساس عائلى ورباط روحى قوى ، وكان جميع الأعضاء مكرسين لله وكان إحساسهم أن أى خطيئة أنما هى أمر غريب على مناخهم وطريقة حياتهم ، فلابد من الإفصاح عنها علنا أمام الجميع ، أن الخطيئة ليست موجهة فقط إلى الله ولكنها موجهة أيضا إلى الكنيسة ، لهذا فإن التوبة موجهة إلى الله ولابد من الإقرار العلنى،

واكتفت الكنيسة فيما بعد بإعلان الخاطئ توبته أمام الكاهن لماله من سلطان الحل والربط لانه يمثل الكنيسة .

## لماذا نعترف اذاً

يعترف المؤمن بخطاياه لأن الله رحوم وحنان ، لقد وعد قائلا " تعالوا الى يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال و أنا أريحكم " ( مت ١١:٢٨ ) ، وفى موضع آخر قال " من يقبل الى لا أخرجه خارجا " ( يو ٦ : ٣٧ ) ، ففى الاعتراف ينال المؤمن الحل والصفح عن جميع خطاياه وزلاته وجهالاته بفعل الروح القدس الذى يستدعيه الكاهن بالسلطان الرسولى المعطى له ، وفى الاعتراف يتعرف المؤمن على مواضع ضعفاته ومكامن الخطية وألاعيب الذات ، ذلك لأنه عندما يكشف أعماقه لأبيه فإن الروح القدس يرشدهما لمواطن الداء ويقدم الكاهن بإرشاد الروح القدس العلاج لكل داء روحى ، والتداريب والواجبات الروحية التى يعطيها الكاهن ليست وسائط غفران لأن الغفران بدم المسيح وحده ولكنها وسائط تدريب وتربية وإصلاح وتهذيب النفس والجسد معا .

وفى الاعتراف يتأكد المؤمن من صدق توبته لأنه كثيرا ما تكون التوبة شكلية أو مجرد نزوة عاطفية ، ولكن الأب الملهم يستطيع بإرشاد الروح أن يوضح للمعترف مدى صدق وأصالة توبته وبكته إن كانت توبته غير أمينة ويؤجل له إعطاء الحل حتى يستكمل شروط التوبة السابق ذكرها .

## كيف أعترف ؟

لابد من توبة صادقة قبل الاعتراف . لابد من محاربة الأهواء والميول ، وأن نتعمق فى معرفة جذور هذه الأهواء حتى تقتلعها نعمة الله منا ، لابد أن نتجاوز فكرنا السابق واتجاه حياتنا السابق لنحيا فى فكر واتجاه جديد ، لابد أن نكفر بذواتنا وجهودنا البشرية الخالية من عمل النعمة ، حتى إذا ما تأكدنا من فساد طبيعتنا نستطيع أن نهرع إلى الله طالبين منه الرحمة والمعونة والروح القدس وحده هو

القادر أن يقتلع منا كل الأهواء والشهوات المنحرفة ويبدد كل ظلمة داخلية لنلبس النور ونحيا فى النور ونحمل أسلحة النور ، لابد من مقاومة كل عجب وكل صغر نفس ويأس حتى إذا ما قاومنا تجربة الضربات اليمينية واليسارية من عدو الخير نتمكن من أن نقدم النفس أمام الله فى هدوء ذبيحة حية مقدسة مرضية .

ولابد من صلاة عميقة وطويلة حتى يرشد روح الله الإنسان إلى ما فى أعماقه كى يعترف ويتوب عنه ، ويلزمنا أن نتأكد أن التوبة هى عمل الروح القدس أولاً وقبل كل شئ ، إن الإنسان الخاطئ يصرخ والله هو الذى يتوّب ويغيّر ويجدد ، نحتاج كثيراً إلى طلب الروح الذى يعمل وينخس ويئن فى النفوس العطشى إلى البر .

لابد من فحص دقيق للداخل قبل الاعتراف . يلزم جلسة هادئة فيها نتعرف على كافة أنواع الخطايا التى سقطنا فيها وملابساتها ودوافعها الرديئة ونسجل هذه كلها ، ويمكن لهذا الفحص أن يدور حول محورين **النعمة والحق** .

+ هل أنا أحيا فى النعمة ؟

+ هل أنا أمارس وسائط النعمة ؟

+ هل أنا أنمو فى النعمة ؟

**ثم من جهة الشهادة للحق**

+ هل أنا أشهد للحق فى حياتى السرية ؟

+ هل أنا أشهد للحق فى حياتى العائلية ؟

+ هل أنا أشهد للحق فى حياتى الكنسية والعالمية ؟

**ويمكن لهذا الفحص أن يدور حول محاور ثلاث أخرى :**

**أولاً :** بينى وبين الله ، من جهة الإيمان ، من جهة الرجاء ، من جهة المحبة ، من جهة تحقيق مقاصده فىّ ومن جهة العبادة بكافة أنواعها ومظاهرها ، مع التركيز على الدوافع ، لأن الله يهمه الكيف قبل الكم .

**ثانياً** : بينى وبين نفسى ، جسدياً مدى الطهارة والعفة ، مدى احترام الجسد كهيكل للروح القدس ، مدى استغلال وزناته ومواهبة ، مدى استغلال الوقت لمجد الله والقراءة فى الكتب المقدسة ، مدى الأمانة فى الأكل والشرب والملبس .. نفسياً مدى تعرفى على نفسى ، مدى قبولى لنفسى ، مدى بذلى لنفسى .

**ثالثاً** : بينى وبين الناس ، خطايا الأنانية وعدم المبالاة وانعدام المحبة والنميمة والقسوة والشهوة والميل نحو السيطرة أو صغر النفس واحتقارها أمام الآخرين وحسدهم على مواهبهم .

**ماذا نعمل قبيل الاعتراف ؟**

يحسن أن يرتب الشاب مع أب اعترافه مواعيد محددة يكون فيها الكاهن مستعداً لاستقباله ويحسن أن تكون هناك صلاة قبل لقاء الكاهن وتقديم الاعتراف من القلب .

**ثم ماذا أثناء الاعتراف ؟**

**يحسن مراعاة الأمور الآتية :**

+ البدء بذكر الخطايا التى ذكرها يجرح الذات مع عدم تبرير المواقف ، وإنما إدانتها حتى لا تتكرر .
+ عدم إخفاء أى موضوع عن أب الاعتراف لأن الذى يكتم خطاياه لا ينجح .
+ عدم ذكر أمور تفصيلية جانبية كأن تذكر أنك أخطأت فى حق صديق قابلته فى الطريق ، ثم تحكى أشياء عن أمور جانبية فى الطريق ، هذه دردشة وليست اعترافات .
+ عدم إخفاء الخطايا والأهواء وراء كلمات مجردة كأن يقول الإنسان أخطأت بالفكر بدلاً من أن يقول سقطت فى شهوة الزنى بالفكر رغم توبيخ روح الله وإرشاده لى قبل السقوط .
+ عدم الخجل من أب الاعتراف لأنى أعترف أمام المسيح الذى يمثله الكاهن ، ولكن يلزم عدم وجود دالة شديدة مع الكاهن فلا يمكن أن يعترف شاب مع كاهن يضحك معه كثيراً ، يلزم أن يكون أب الاعتراف مهوباً ويحسن أن يكون شيخاً مختبراً كل ما يتعلق بالطريق الروحانى .

+ يحسن الاعتراف بالأمور الإيجابية وليس بالأمور السلبية فقط ، ومن الأمثلة على الأمور الإيجابية المواهب المختلفة مع عدم الافتخار بأى نجاح وإنما تقديم حساب عن مدى الأمانة فى كل ما أعطى لك .

**وماذا بعد الاعتراف ؟**

يحسن بالشاب أن يذهب إلى بيته مكملاً يومه فى الصلاة والطلبة وتنفيذ كافة الإرشادات التى نالها من أب اعترافه ، وليس من داع أن تجعل الاعتراف يسبق التناول مباشرة حرصاً على أن تكون لدينا فرصة لتنفيذ ما سمعناه من الكاهن ، وحرصاً على أن يتفرغ الكاهن لخدمة الأسرار أثناء القداس ولا يرتبك فكره باعترافات الناس .

**أسئلة :**

**س١ : هل لابد من كاهن واحد أعترف عليه أم أعترف على أى كاهن ؟**

ج١ : لابد من أب واحد حتى يلم بجميع ضعفاتك ويتابع الحلول التى قدمت ومدى نجاحها فهو كطبيب العائلة الذى يتابع الأمراض الجسمية . ولابد من أب واحد تخجل النفس من تكرار الخطية التى اعترفت بها ، وأحياناً تحتاج النفس إلى أن تخجل من الناس كتمهيد لأن تخجل من الله وحده وهذا هو الدين الحقيقى .

**س٢ : لماذا لا أتمتع بسلام وفرح داخلى بعد الاعتراف ؟**

ج٢ : إما إنك لا تزال تحمل دينونة الخطية ولم تؤمن أنها غفرت لك بالحل المُعطى من الكاهن . أو أنك لم تقدم توبة صادقة من ملء القلب . أو لأنك مرتبك بأمور كثيرة وقلق ولم تختبر إلقاء كل حياتك على الرب ليعتنى بك . من أجمل الاختبارات أن يسمع الإنسان من الله على فم الكاهن كلمة مغفورة لك خطاياك عندما ينفخ الكاهن فى وجه المعترف بعد إعطائه الحل .

**س٣ : ماذا أعمل إذا كان أب اعترافى مشغولاً دائماً ؟**

ج٣ : يحسن أن ترتب معه وقتاً يكون فيه غير مشغول كوقت الصباح المبكر . ويحسن أيضاً ألا تثقل عليه فتذهب إليه أوقاتاً كثيرة لأمور بسيطة وإنما الأفضل هو جدية الطريق أى الاهتمام بالجوهر وما يعطل الخلاص وحده ..وليس من داع لتركيز الاعترافات

عند آباء قليلين فهناك أحياناً آباء روحانيون بسطاء غير مشهورين ولهم خبرات طيبة علينا الإفادة منهم .

**س٤ : أب اعترافى لا يعطينى تأديبات كثيرة فماذا أعمل ؟**

ج٤ : قد يكون السبب فى هذا أنه يشعر أنك مبتدئ فى الطريق . وقد يرى أنك تنظر إلى هذه التأديبات كوسائل تكفير تريح بها ضميرك .

وهو يريد منك تغييراً داخلياً . وقد يكون السبب أنه أعطاك توجيهات وتأديبات بسيطة وأنت لم تنفذها .

**س٥ : كثيراً ما أخجل عندما أعترف ولا أستطيع أن أبوح بما عملته رغم أنى أكون مصمماً على الاعتراف الصريح ؟**

ج٥ : يحتاج الأمر إلى صلاة حتى تكون الذات مستعدة للصلب لأن الخجل هنا عطف على الذات . يحتاج الأمر إلى يقين إننا لا نعترف إلى إنسان بل إلى الله الذى فى الإنسان . يحتاج الأمر إلى كتابة الموضوعات وذكر عناوينها أمام الرب دفعة واحدة ثم ذكر تفصيلات كل موضوع . وطالما تشجعت وذكرت عنوان الموضوع فإن أب الاعتراف يمكنه من خلال الحوار أن يشجعك على استكمال الموضوع .

**س٦ : ما هى مهمة أب الاعتراف بالنسبة لى أثناء اعترافى ؟**

ج٦ : أن يتعرف على أخطائك ويقدم لها الحلول . أن يتأكد من صدق توبتك . أن يشجعك على الارتباط الشخصى بالمسيح وأخذ القوة منه .

أن يعطيك الحل بسلطان الحل والربط المعطى له ككاهن .

**س٧ : ما هى مهمتى كخادم فى التربية الكنسية بالنسبة لتوبة واعتراف الشبان ؟**

ج٧ : ليست مهمتك أن تأخذ اعترافاتهم ، ولكن أن تشجعهم على التوبة والذهاب لأب اعتراف ، وتشجعهم بعد الاعتراف على التوبة والمواظبة على الذهاب للكاهن إلى أن يتأصلوا فى الطريق الروحى .

**س٨ : ما هى الصلة بين الاعتراف والتناول ؟**

ج٨ : سر الاعتراف مستقل عن سر التناول ، وإن كان يمهد له . لهذا يلزمنا أن نعطيه الأهمية كسر مستقل من أسرار الكنيسة ، وقد يعترف الإنسان مرة واثنين وثلاثة حتى يعطيه الكاهن تصريحا بالتقدم للأسرار الإلهية . وقد يصرح أب الاعتراف للشاب أن يتناول من الأسرار طيلة الشهر ثم يأتى إليه فى ميعاد محدد ، لأن المسألة متعلقة بحالة الفرد ورأى أب اعترافه عنه .

**س٩ : كثيرا ما أسقط فى نفس الخطية التى أعترف بها كثيرا ، فما السبب ؟**

ج٩ : إما أن التوبة كانت غير حقيقية وتحتاج إلى إخلاص وصدق . إما أن الخطية تمارس كعادة بسبب تكرارها السابق قبل التوبة وتحتاج إلى سهر ويقظة وصبر حتى تهدأ وتنتهى .

ولنذكر دائما أنه قبل انزعاجنا لخطية معينة يلزمنا أن نفحص اتجاهنا الداخلى وموقف حياتنا الداخلى . هل نحن نحب الله حقا أم نحب ذواتنا ؟

**س١٠ : كيف أعرف أن توبتى صادقة ؟**

ج١٠ : التوبة الصادقة هى التى فيها إحساس واضح بالجرم الذى عملته الخطيئة فى المسيح ، وفيها احتياج إليه كمخلص ، وفيها ندم شديد وعزم صادق على إصلاح السيرة ، وفيها أخذ مواقف واضحة ضد الذات .

أما التوبة غير الصادقة فهى الصادرة من قلب منقسم ، تارة يحب الله وتارة يحب العالم ، أو قلب يخشى التسليم الكامل لله ، أو قلب يعطف على الذات وعلى خطايا محبوبة ، أو ضمير يريد الاستراحة من عبء خطية محبوبة مع الرغبة فى الاستقلال عن الله وعدم الإحساس بمحبته ..

التوبة الصادقة هى مقابلة مع الصليب ، فيها يلمس الخاطئ جراحات الفادى فيبكى ويطلب غفراناً ، فإذ بقطرات الدم الذكية تنزل من الصليب ، مانحة الغفران ومعطية سلاماً يفوق كل عقل .

## بعض أقوال الآباء فى التوبة والاعتراف

**قال القديس مقاريوس :**

كما أن الماء إذا تسلط على النار يطفئها ويغسل كل ما أكلته ، كذلك أيضاً التوبة التى وهبها لنا الرب يسوع فإنها تغسل جميع الخطايا والأوجاع والشهوات التى للنفس والجسد معاً .

**قال مار اسحق :**

المعمودية هى الولادة الأولى من الله والتوبة هى الولادة الثانية ، كذلك الأمر الذى نلنا عربونه بالإيمان نأخذ موهبته بالتوبة ، التوبة هى باب الرحمة المفتوح للذين يريدونه .

**قال أيضاً القديس مار اسحق :**

التوبة هى القلب المنسحق ، ( هى أم الحياة ) هى الاتضاع الذى بلا زى كاذب مشوش هى لباس الثياب الحسنة الضوئية .

**قال أحد الآباء :**

التوبة هى الأم ، اهتم بالأم تلد لك بنين ، والمقصود بالبنين هنا الفضائل ، الخطية التى يفعلها الموعوظ تغسل بالمعمودية ، والخطية التى يفعلها المؤمن تغسل بالتوبة .

## صلاة قبل الاعتراف

ياربى يسوع المسيح مخترق أستار الظلام وفاحص الكلى والقلوب افحص قلبى وكليتى واسمح لروحك القدوس أن يدخل أشعة نورك البهية داخل قلبى حتى تستضئ نفسى وتتطهر أركان حياتى ، إن كنت ترى أنى غير تائب فتوبنى لكى أرجع إليك ، إن كان قلبى منقسماً وحده فى خوفك ، إن كانت إرادتى غير موحدة اجمعها فى شخصك ودعمها بقوة روحك ، إن كنت تائها بعيداً عنك فافتح أحضانك واقبلنى إليك كما قبلت المرأة الخاطئة وزكا والسامرية وكل العشارين والخطاة ومع الابن الضال آتى إليك الآن منسحقاً وأقول لك لست مستحقاً أن أدعى لك أبناً أجعلنى كأحد أجرائك ، اسمح يارب أن تعطينى الإفراز لأكتشف جميع ضعفاتى وأعترف بها أمام كاهنك الذى منحته سلطان الحل والربط واعطنى روح الغلبة

والنصرة على الذات لكى لا أعطف عليها وأنحاز إليها بل أقدمها مصلوبة بقوة صليبك المحيى ، امنحنى يا سيدى أن أطيع كل ما يرشدنى به روحك على فم خادمك هبنى النعمة أن يتجدد قلبى ويتغير فكرى وأنمو فى حياة التوبة فى كل مرة أتقدم إليك معترفاً بذنوبى وخطاياى ، تفضل يارب واقبلنى إليك ، وأعدنى بروحك القدوس للاعتراف بخطاياى واصفح واغفر كل ما فعلته بإرادة أو بغير إرادة بمعرفة أو بغير معرفة معلناً أنك مبارك مع أبيك الصالح والروح القدس . آمين ، أبانا الذى فى السموات ..

**صلاة بعد الاعتراف**

ياربى يسوع المسيح يا من قبلتنى من أجل عظيم رحمتك ، يا من ترفع المسكين من التراب و البائس من المزبلة ، أشكرك لأجل طول أناتك ، وعلى عظم محبتك لى ، لم تحسب علىّ ذنوبى بل قلت عن نفسك : " أنا أنا هو المحاحى ذنوبك لأجل نفسى وخطاياك لا أذكرها " ( أش ٤٣ : ٢٥ ) ، وأنت يارب الذى لا تقصف قصبة مرضوضة وفتيلة مدخنة لا تطفئ . أشكرك لأنه كإنسان تعزيه أمه هكذا عزيتنى وأعطيتنى بهجة خلاصك لأجل هذا أقول " فرحاً أفرح بالرب تبتهج نفسى بإلهى لأنه قد ألبسنى ثياب الخلاص ، كسانى رداء البر " . ( أش ٦١ : ١٠ ) .

قومى يا نفسى استنيرى لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك ( أش ٦٠ : ١ ) ، مبارك يارب فى كل ما صنعت معى ولأجلى ، اسمح يا سيدى أن تخبئ بنعمتك إرشادات روحك فى قلبى لكى لا أعود أخطئ إليك ، هبنى القلب اليقظ والإرادة الحاضرة والنفس المستنيرة .أعطنى أن أحبك أنت وحدك من كل قلبى وفكرى و إرادتى ، وعلمنى كيف أحب الجميع وأخدمهم بكل اتضاع قلب ، اجعلنى دائماً أردد أسمك الحلو فى فمى كل حين وألهج بوصاياك باكر وعشية ووقت الظهر ، لتحمنى ملائكتك المقدسين لأكون بحراستهم محفوظاً مؤازراً بشفاعة جميع قديسيك وبالأكثر أمنا العذراء القديسة مريم ، لك المجد والكرامة والعز والسلطان مع أبيك الصالح والروح القدس آمين ، أبانا الذى فى السموات ..

# المرشد الى الاعتراف

## معنى التوبة ؟

هل هى حزن النفس بسبب الخطية ؟

أم هل هى التبرم والضيق من أوضاع حادثة ؟

أم هل هى خطوات إيجابية لتحويل اتجاه الحياة الداخلية من مركزية الأنا إلى شخص المخلص..ومن دائرة الموت والانغلاقية إلى رحاب الحياة الأبدية..

عندما نراجع مثل الابن الضال نجد أن توبته مرت فى خطوات تعتبر بالحقيقة نموذجاً للتوبة الفعالة.

## [redacted]

يقول الكتاب عن هذه الرحلة " ابتدأ يحتاج " ( لو١٥ : ١٤ ) ، فالاحتياج إلى الأبوة هو المنطق الأول للتوبة..

الجوع والعطش إلى البر هو الباب الرئيسى الذى يدخل منه التائبون..

أما المكتفون بذواتهم والمعجبون ببرهم الذاتى والمملئون من فضائلهم البشرية فهؤلاء لا يحتاجون إلى مسيح الخطاة..

فالأصحاء لا يحتاجون إلى طبيب بل المرضى . الذين يعيشون مرتدين ثياب الفريسية يجلسون مع سمعان يدينون المرأة الخاطئة التائبة التى خرجت من لقياها بالرب مبررة.

وفى هذه المرحلة يقول الكتاب عن الابن الضال " مضى والتصق بواحد من أهل تلك الكورة فأرسله إلى حقوله ليرعى خنازير " ( لو١٥ : ١٥ ) .

* مسكين الإنسان عندما يحاول المحاولات البشرية . ويلجأ إلى الناس ظناً منه إنه يجد عندهم حلا لمشكلته ومأساته وعزلته وفراغه وبؤسه وشقاؤه.
* إنه سيزداد بؤساً . سوف يشتهى أن يملأ داخله بأى شيء ولكن أحداً لن يعطيه حلا للفراغ والعزلة.

ليست التوبة الحقيقية هى مجرد الحزن ، فكم من حزن تصلى الكنيسة أن يبعده الله عنا (نجنا من كل حزن رديء ووجع قلب).

ولكن الحزن المبارك هو الحزن الإيجابى الذى قال عنه الكتاب " لأن الحزن الذى بحسب مشيئة الله ينشيء توبة لخلاص بلا ندامة وأما حزن العالم فينشيء موتاً " ( ٢كو٧ : ١٠ ) .

* الحزن المبارك ليس حزنا على الذات .
* الحزن المبارك هو الحزن من أجل الله .
* الحزن المبارك هو الحزن الذى طوبه الرب قائلاً " طوبى للحزانى لأنهم يتعزون " ( مت ٥ : ٤ ) . إنه حزن فيه دموع ولكن فيه رجاء .
* فيه ألم وبكاء ولكن فيه ثقة ويقين فى الأحضان الأبوية ، فيه طمأنينة بالمواعيد الإلهية المباركة .
* فالتائب الحزين على خطاياه يسمع صوت الرب فى قلبه قائلاً : " من يقبل إلى لا أخرجه خارجاً " ( يو٦ : ٣٧ ).

" تعالوا إلى يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم " ( مت١١ : ٢٨ ).

" هلم نتحاجج يقول الرب إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج. إن كانت حمراء كالدودى تصير كالصوف " ( أش١ : ١٨ ).

فى هذه المرحلة يقول الابن الضال . كم من أجير عند أبى يفضل عنه الخبز وأنا هنا أهلك جوعاً ولكنى أقوم وأذهب إلى أبى لأنى واثق فى أبوته ومحبته مهما كانت خطاياى وجحودى .

الشيطان يشجع الإنسان على السقوط ومتى سقط يسعى إلى إسقاطه فى بالوعة اليأس والإنسان الروحى يجاهد قبل السقوط ولكنه إن عثر يسرع بالقيام قائلاً مع النبى " لا تشمتى بى يا عدوتى إذا سقطت أقوم " ( مى٧ : ٨ ) .

والأمر الذى يميز هذه المرحلة هو انسحاق النفس " لست مستحقاً أن أدعى لك ابنا اجعلنى كأحد أجراك " .

والله من السماء ينظر إلى المنسحقين فيرفعهم مهما كانت خطاياهم إذ مكتوب " الرافع المسكين من التراب والبائس من المزبلة ".

كآخاب الذى باع نفسه لعمل الشر فى عينى الرب ــ الذى أغوته إيزابل امرأته ــ ولما سمع آخاب الكلام شق ثيابه وجعل مسحاً على جسده وصام واضطجع بالمسح ومشى بسكوت..فكان كلام الرب إلى إيليا التشبى قائلاً " هل رأيت كيف اتضع آخاب أمامى فمن أجل أنه قد اتضع أمامى لا أجلب الشر فى أيامه " ( ١مل٢١ : ٢٥ ــ ٢٩ ).

إن الله لا يعاملنا حسب خطايانا ولكن كرحمته العظيمة ينظر إلى تذللنا وإنكسار قلوبنا فيقبل توبتنا فى أحشاء رحمة ابنه يسوع المسيح الذى قدم ذاته كفارة مقبولة عن خطايا العالم كله " ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية " ( ١يو١ : ٧ )، إنه ينظر إلى الخاطىء المنسحق من خلال ذبيحة الصليب فيرضى عنه ويعطيه قوة غفران دم ابنه الحبيب .

[redacted]

" فقام وجاء إلى أبيه " (لو١٥ : ٢٠ )

التوبة هى تغيير الاتجاه والفكر وتحول عميق فى الاتجاه القلبى . وهذا الموقف له جانبان داخلى وخارجى.

التحول الداخلى يتضح فى الحزن المقدس والإنسحاق والإيمان والثقة فى مواعيد الله .. ومن أفضل الأمثلة على ذلك اللص اليمين الذى آمن وحسب له إيمانه براً والقديسة بائيسة التى رفضت العودة إلى مكان الخطيئة ثم رقدت ورآها يوحنا القصير مع أرواح القديسين الذين كملوا فى الإيمان وتحقق أن التوبة تجعل الزناة بتولين ( سنكسار ٢ مسرى ) .

ولكن الجانب الخارجى يتضمن شقين : الشق الأول هو إعلان هذه الحركة الداخلية فى شكل أعمال واتخاذ مواقف وتصرفات أمام الله وأمام النفس وأمام الآخرين ، والشق الثانى هو الاعتراف أمام الكاهن.

أما بالنسبة للإعلان عن فعل الحياة الجديدة والإفصاح عن قوة القيامة التى دبت فى العظام الجافة والنتنة والمبعثرة ( حزقيال٣٧ ) .

فنجد أنه فى كرازة بولس بأفسس " وكان كثيرون من الذين آمنوا كانوا يأتون مقرين ومخبرين بأفعالهم وكان كثيرون من الذين يستعملون السحر يجمعون الكتب ويحرقونها أمام الجميع وحسبوا أثمانها فوجدوها خمسين ألفاً من الفضة" ( أع١٩ : ١٨، ١٩ ) .

وأما زكا فقد أعلن توبته أمام الجميع واتخذ موقفاً هو أن يعطى نصف أمواله للمساكين ويرد أضعاف ما سلبه من الناس جوراً وطغياناً .

**وهذا الموقف يمكننا أن نكتشفه فى السمات الآتية :**

١ــ الثقة الكاملة فى مواعيد الله وعدم الاعتماد على البر الذاتى .

٢ــ الكراهية الشديدة للخطية وملابساتها ومصادرها.

٣ــ الحب الواضح لشخص الرب يسوع والشهية المفتوحة للعبادة.

٤ــ المحبة العملية والخدمة والاتضاع فى السلوك بصفة عامة.

٥ــ الانضمام فى شركة حية مع المؤمنين فى الكنيسة.

هذه السمات تجعل التوبة ليست مجرد نشوة روحية حدثت فى لحظة من الزمان بتأثير واعظ أو آية من الآيات فقط ولكنها حياة مستمرة .

هى حياة الله فينا التى عبر عنها المغبوط بولس " أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فى " .

التوبة إذاً هى انتقال من حياة الذات إلى حياة المسيح فينا .. هى عبور من أرض العبودية إلى أرض كنعان أرض الراحة الحقيقية .

بقيت إذاً الخطوة الأخيرة وهى خطوة الافصاح عن التوبة الداخلية وتغيير الموقف والذهنية وكشف ما قد حدث فى داخل الإنسان أمام الكاهن المؤتمن على أسرار المؤمنين واعترافاتهم والمعطى سلطان الحل والربط .

ذلك السلطان الرسولى المسلم من الرب نفسه للرسل والآباء.

وقد كان الاعتراف فى الحقبات المتقدمة من تاريخ الكنيسة اعترافا علنياً يجرى فى اجتماعات المؤمنين للمارسة الليتورجيات .

ذلك لأن الذى يخطىء إنما يخطىء فى حق الرأس الذى هو المسيح وفى حق جسده الذى هو الكنيسة ، ولكن الكنيسة بعد اتساعها فضلت أن يكون الاعتراف سرياً أمام أب واحد .

الله أبونا السماوى يسمح ويقبل توبة واعتراف التائبين له المجد الى الآبد آمين .

## صلاة للقديس يوحنا فم الذهب

ربى وإلهى ، أعلم أننى لست مستحقاً رضاك الكامل أن تأتى إلى هيكلى وتدخل تحت سقفى وتسكن فى أعماق روحى لأن هيكلى مقفر وسقفى خرب وروحى خاوية ولن تجد مستقراً لرأسك ولكن كما تواضعت من أجلنا امنحنى أيضاً اتضاع نفسى .

كما قبلت أن توضع فى مذود الحيوان داخل مغارة تفضل وأسكن مذود روحى الموحش وجسدى المدنس بالخطايا .

مثلما لم تأنف من الدخول فى بيت سمعان الأبرص وأن تأكل مع الخطاة اسمح الآن وادخل هيكل روحى الحقير المجزوم المملوء بالخطيئة.

ارحمنى أنا الخاطئ الذى أتى ليتمسك بك كما تراءفت على التى لمست ثوبك والزانية التى لم تطردها بعيداً عنك .

مثلما لم تزدر قبلة المرأة الخاطئة بفمها الملوث بالدنس لا تحتقر فمى الأشد نجاسة والأكثر قبحاً منها وشفتى اللتين يغلب عليهما الإثم والعار ولسانى الذى لا يزال ينطق بالغش .

بل اجعل جمر جسدك المقدس ودمك الذكى الكريم يطهرنى ويرشدنى ويؤازرنى فى ضعفاتى الروحية والجسمانية ويريحنى من ثقل خطاياى وقسوتها . ويدفع عنى فعل الشيطان ومكائده ، يشمئز من آثامى وعاداتى الشريرة ويقهرها ، يميت أهوائى وغضبى ، يبررنى ويعطينى ملكوتك وميراثاً مع الأبرار .

لذا يا يسوع إلهى أنا لا آتى إليك متعجرفاً بل جريئاً لبرك الغير محدود حتى لا أضل طريقى عن قطيعك فأقع يا سيدى فريسة للشيطان ذئب الأرواح .

لذلك أتضرع إليك ياسيدى لأنك وحدك القدوس . قدس روحى ، طهر جسدى قوم فكرى ، قلباً نقياً أخلق فى ، عضدنى اجعلنى صلباً قوياً . جددنى وغرس خوفك فى أحشائى ، ولا تدع قدسك يفارقنى . أسألك أن تكون عونى وزودى . اهدنى إلى السلام واجعلنى مستحقاً أن أقف على يمينيك مع قديسيك .

بصلوات وشفاعات والدة الإله القديسة الطاهرة المطوبة وخدامك الأبرار ، وبركة ملائكتك الأطهار ، وسحابة القديسين فى كل حين تشفع فينا أمامك يا الله إلى الأبد آمين .

## صلاة أخرى لأحد القديسين

يا الله القدوس الأبدى برحمتك الغير محدودة للبشر اتحدت طبيعتك الإلهية بالطبيعة الإنسانية . فأخذت دماً كريماً وجسداً طاهراً مقدساً من العذراء التى ولدتك بعد أن حل عليها الروح القدس وظللتها قوة الرب العلى .

يا يسوع المسيح حكمة الآب وسلامته وقوته من خلال الطبيعة البشرية التى أخذتها لنفسك تحملت آلام البشر وأعتقتهم إذ سمرت على خشبه الصليب وقبلت العار وذقت الموت نفسه ، أنزع عنى أهواء النفسى وكل مشتهيات الجسد .

بـنزولك إلـى القـبر كسـرت شـوكة المـوت . فأمـت فى نوازع الشيطان بالفكر الـنقى وأدفـع عـنى روح الشـر . بقيامـتك بعثـت الحياة فأقمت آدم من سقطته ، أقمنى أنا الذى سقط فى حمأة الخطيئة وامنحنى إكليل الخلاص .

مـن خـلال صـعودك المجـيد إلـى السموات قدست جسد الإنسان الذى ظهرت فيه وجلسـت بـه علـى العـرش عـن يميـن الأب . امنحنى أن أستحق الجلوس عن يمينك ، مع الذين خلصتهم بالتناول من أسرارك المقدسة .

بحلـول روحـك القـدوس المعـزى علـى خدامك التلاميذ جعلتهم آنية مباركة لك . اجعلنى أنا أيضاً وعاءاً طاهراً لمجيئه .

وعـدت جمـيع الأجـيال أن تجـئ ثانـياً لتحكم العالم بالعدل والبر يا ملكى وخالقى هبنى مع قديسيك أن أستقبلك فوق السحاب .

فإنـه ينـبغى أن أمجـدك وأقدسـك إلـى الأبد مع أبيك الصالح الأزلى وخالق الحياة روحك القدوس الآن وكل حين إلى الأبد آمين .

## صلاة لأحد القديسين

يـا سـيدنا ربـنا يسـوع المسـيح إلهـنا كلـنا ، الواحـد الوحيد القادر على مغفرة خطايـا البشـر ، لأنـك حـنون ومحـب لبـنى الإنسان ، أصفح عن جميع خطاياى التى فعلـتها بعلـم وبجهالـة وأعطـنى أن أكـون مستحقاً للتناول من أسرارك المقدسة الطاهرة النقـية المحيـية لا تجعلهـا ديـنونة علـى أو ثقلاً لخطاياى بل اجعلها لتطهيرى وتكريسى كمـيعاد للحـياة الأبديـة والملكـوت الآتـى . أجعلها حماية لى وحصناً يدرأ عنى كل شر ويـنزع مـنى جمـيع خطايـاى . لأنـك أنـت إله الرحمة والمروءة والمحبة لكل البشر ، ونصعد إليك الصلوات لمجدك مع الآب والروح القدس الآن وإلى الأبد آمين .

### صلاة للقديس باسيليوس الكبير

أعلـم يـا سـيدى تمامـاً أنـنى أتناول بدون استحقاق جسدك ودمك الأذكى لأنى اثم ومجـرم ، يـا إلهـى وسـيدى المسـيح ، ولكـنى طمعاً فى كرمك ومحبتك ورحمتك آتى

إليك يا من قلت "من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فى وأنا فيه" لهذا تراءف على وارحمنى ولا تتهرنى بعيداً عنك أنا الخاطىء بل خذنى برحمتك واجعل أسرارك المقدسة لتطهيرى وتكريسى ، لإرشادى وحمايتى ودفع كل غواية عنى ورفع الفكر الخبيث وفعل الشيطان الذى يسرى بلا شعور فى أعضائى .

اجعلها شهادة من أجلك ومحبة لك ، تهذيبا لحياتى وانسحاقاً لروحى وقلبى . يارب اجعل أسرارك المقدسة للكمال وازدياد الفضائل وإتمام وصاياك وشركة الروح القدس لى فى رحلتى إلى الأبدية لأنها هى الإجابة الحسنة المقبولة فى ملكوتك المقدس المرهوب وليست للدينونة فى مملكتك . آمين .

## صلاة أخرى للقديس يوحنا فم الذهب

ياسيدى يسوع المسيح إلهى حل واصفح وأغفر لى خطاياى ، طهرنى أنا عبدك الخاطىء الغير مستحق ، إرفع عنى زلاتى وسقطاتى وآثامى التى ارتكبتها منذ حداثتى حتى هذا اليوم وهذه الساعة ، بوعى وبغير وعى ، التى نطقت بها ، أو قمت بفعلها ، أو تسببت فى فعلها ، أو فكرت فيها وسعيت إليها ، والتى فى داخلى وشعورى ، بددها يا الله ، بصلوات والدتك القديسة الطاهرة العذراء البتول مريم ، التى ولدتك بدون مشيئة إنسان ، رجائى الدائم الذى لن يخذلنى أبداً ، شفيعتى الأمينة ونجاتى الصادقة .

أسمح لى أن أتناول بلا دينونة أسرارك المقدسة الإلهية الأبدية واهبة الحياة المخشوع لها التى تعطى لغفران الخطايا والحياة الأبدية . ومن أجل تطهير وإرشاد وإبراء وتقوية النفس والجسد ، والتى جعلت لتحطيم وإزالة الأفكار الرديئة والإرادة السيئة والنوايا الخبيثة والنزوات الشيطانية التى تجلبها الأرواح الشريرة والسير فى الظلمات الحالكة ، لك الملك والقوة والمجد والعزة والسجود مع الأب والروح القدس الآن وإلى دهر الدهور آمين .

## صلاة لأحد القديسين

وقفت وراء أبواب هيكلك ولم أهجر فكرى الشرير ، ولكن يا يسوع إلهى ، كما بعدلك غفرت للعشار ورحمت المرأة الكنعانية وفتحت أبواب الفردوس للص اليمين ، افتح لى داخل أعماق محبتك الإلهية للبشر . واقبلنى أنا الخاطىء فقد أتيت إليك تائباً . استقبلنى كما قبلت المرأة الخاطئة والمرأة نازفة الدم . إذ أن الأولى احتضنت قدميك الطاهرتين المباركتين وبللتهما بدموع التوبة ومسحتهما بشعر رأسها لهذا أعطيتها الخلاص بغفران خطاياها ، والثانية حسب إيمانها منحتها الشفاء حالما لمست طرف ردائك . ولكنى أنا الضال أتجرأ وأتناول أسرارك المقدسة أصلى إليك أن لا تحرقنى بجمرها بل أمنحنى خلاصاً مثلهما وضياءاً ينير روحى وضميرى وقلبى . احرق خطاياى حتى الرماد . بصلوات وشفاعات القديسة الطاهرة التى ولدتك من الروح القدس وليس بمشيئة إنسان وببركة الجنود السمائية الملائكة الأطهار لأن لك المجد كل حين وإلى الأبد آمين .

# كيف أبدأ

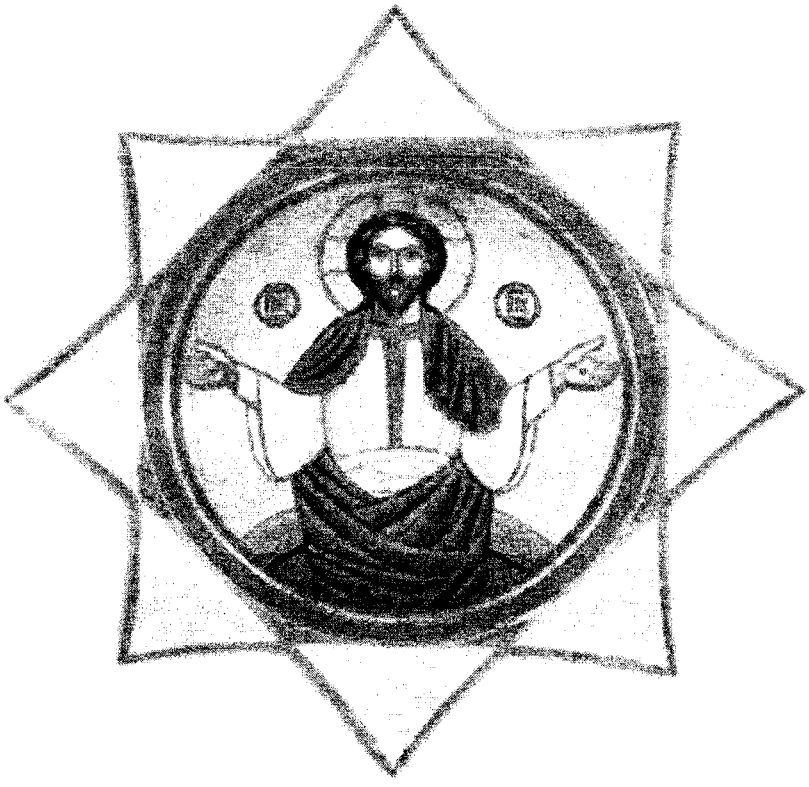

# كيف أبدأ

**لاشك أن كل شاب يسأل نفسه هذا السؤال الهام :**

+ كيف أبدأ الطريق الروحى ؟

+ ومن هو الذى يبدأ ؟ هل أنا أم يسوع نفسه ؟

+ وهل هناك بدايات خاطئة وأخرى سليمة ؟

+ وماهى علامات البداية التى تضع أرجلى فى الطريق إلى أورشليم ؟

+ من الذى يبدأ ؟

+ هل أنا الذى أسعى إلى المسيح أم هو الذى يسعى إلى ؟

+ هل أنا الذى أقبل إليه أم هو الذى يجتذبنى ؟

الحقيقة إن البداية إلهية تماماً .. فالمسيح وحده هو الذى سعى إلينا حينما تجسد وأعطانا من خلال تجسده حياة الشركة فى الطبيعة الإلهية .. ونحن إذ كنا أمواتاً بالخطايا مات المسيح لأجلنا .. وإذ كنا فى وادى ظل الموت جاء وأحيانا .. كنا أبناء غضب وأبناء معصية ولكنه هو الذى أقامنا معه وأجلسنا معه فى السماويات .. لأجل هذا نستطيع أن نقول إن يسوع هو الذى صنع المبادأة فى خلاصنا وهو لا يزال يعمل .. إنه واقف على الباب يقرع .. كل من يفتح له يدخل إليه ويأتى مع الآب ويصنع منزلاً ، وفى حياتنا الروحية يصنع الرب المبادأة عندما تلدنا الكنيسة ولادة جديدة بالمعمودية .. فمن خلال هذا السر المقدس ندفن معه ونموت معه لنقوم معه فى جدة الحياة .. فالولادة من الماء والروح هى بداية الحياة الجديدة وهى بداية الطريق الروحى ..

لم يكن لنا فضل عندما وضع الرب اسمه القدوس علينا وعندما اختارنا الآب لنكون رعية " وأهل بيت الله مع القديسين " ، وإذا كنت أيها الشاب قد نلت بالمعمودية الولادة الثانية والحياة الجديدة فإنه مطلوب منك أن تظهر إيمانك شخصياً وتحقق العهد الذى قطعه الإشبين عند ممارسة الدفن فى الماء المقدس ..

+ فهل تختار الطريق الواسع أم الضيق ؟

+ وهل تجحد الشيطان وكل مملكته أم تساير طرق العالم ؟

الله لا يغضبك غضباً في الطريق .. إنه تمم كل شئ على الصليب وقال " لقد أكمل " ولكن عليك أن تتقبل كل ما قدمه لك بإرادة واعية وقلب مخلص ..

+ هو لا يزال يقرع ، فهل تفتح ؟

+ هو لا يزال فاتحاً ذراعيه ، فهل تقبل ؟

+هو لا يزال ينادى ، فهل تستجيب ؟

يلزمك إذاً اختبار البداية الصحيحة إن لم تكن قد جزتها فى حياتك الروحية .. إن كنت قد تناسيت عهد المحبة وأهملت رسالة الصليب وأغفلت ما صنع لك فى المعمودية والميرون المقدس .. وإن كنت قد تركت أحضان الأبوة إلى الكورة البعيدة مفضلاً صحبة الأصدقاء الأشرار تائهاً فى كورة الخنازير .. إن يسوع يدعوك أنه ينتظر عودتك .. سوف لا يلقى عبء المقابلة على عاتقك وحدك ولكنه سوف يسرع ويركض لكى يقابلك .. المسألة تحتاج إلى أن تقوم وتنهض .

+ عندما تقف للصلاة معلناً العودة إلى الأحضان .

+ وعندما تبدأ المسير متجهاً نحو أحضان الأبوة الحانية فإن يسوع سوف يلقاك فرحاً مقدراً حبك وبنوتك وسيكشف لك عن صبره واحتماله وطول أناته وكيف انتظر طويلاً فى الطريق مؤملاً حدوث اللقيا والعودة ، وسوف يخلع عنك الثوب العتيق الممزق وسوف يلبسك ثوب البر وحلة النعمة وخاتم البنوة . ليتك مع زكا تسمع اليوم صوته . أسرع وأنزل لأنه ينبغى أن أكون اليوم فى بيتك ..

ليتك مع لاوى تكتشف نظرته الحلوة المباركة التى تدعوك فتقوم وتترك كل شئ وتتبعه ..

إن اختبار اللقيا مفرح . فيه تجديد عهد الحب وفيه تمتع بدفء الأبوة الحانية وفيه سلام وطمأنينة وثقة وفرح لا ينطق به ومجيد .

ليكن لنا يا أخوتى هذه البداية التى فيها نسلم الرب حياتنا كلها ، والتى فيها بروحه القدوس نقدم العهد على الحياة الأمينة المطيعة ، والتى فيها نودع كل ما يفسد والشهوات والعالم ونصير للرب شعباً ، وهو نفسه يكون لنا إلهاً .. ليتنا نقوم ونهض لأن الوقت مقصر ، واليوم يوم خلاص والوقت وقت مقبول .. مكتوب "إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم " فلنركض إليه فى صلاة ، فى توبة كاملة ، فى ندم وانسحاق ، فى عزم على السير بإخلاص وراءه ، فى اعتراف أمام الكاهن بكل ما فعلت وطلب الإرشاد للنمو فى الحياة المقدسة .

## لماذا لا أبدأ الآن ؟

قد أكون مرتبطاً بخطية محبوبة عندى وأخشى أن أبيعها .. والحقيقة أن الخطية خاطئة جداً .. إنها ظلمة .. إنها موت .. إنها تدمير للنفس والجسد . ألم تخدع آدم ؟ ألم تسقط شمشون ؟ ألم تذل داود ؟ ألم تغرى سليمان بحب النساء ، يهوذا بحب الفضة ؟ فمصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر ، مع أجناد الشر الروحية فى السماويات ..

ونـاموس الخطيئة ليس بعيداً عنا بل هو كائن فى طبيعتنا ، ولكن شكراً لله إذ لنا الغلبة فى شخص ربنا يسوع المسيح ، وكما كان يمسك الخاطئ بقرون المذبح فى القديم وينجو .. هكذا نحن أيضاً إذ نمسك بالمخلص ونثبت فيه ننجو من الغضب والدينونة وتكون لنا حياة أبدية .

فإذا كنت أيها الحبيب تشعر بثقل الخطيئة فليس من حل سوى الالتجاء إلى المخلص ، وكما رفع موسى الحية وكان كل من ينظر إليها يخلص من لدغة الحيات المحرقة هكذا أيضاً أضحى لكل من ينظر إلى المخلص ويؤمن بعمله الكفارى أى يخلص من لدغة الخطية القاتلة ..

وقد أكون خائفاً من كلام الناس وآرائهم عنى وبالأخص الأصدقاء الذين تعلقت بهم ، وأخشى أن ينفصلوا عنى إذا ما سرت فى الطريق الروحانى ..

يـا عزيـزى ينـبغى أن يطـاع الله أكـثر من الناس ويلزمنا أن نضحى بالعواط
والمشـاعر الخادعـة لنكسـب الحـب الحقـيقى ، يقدم لنا الكتاب شخصية نوح البار الذ
ظـل يبـنى الفلـك عشـرات السـنين ولم يعبأ بتهكمات الخطاة ، ويذكر لنا الكتاب أيض
لـوط الـبار الـذى كـان يعـذب نفسـه الـبارة ولم يرض أن يشترك فى نجاسات سد
وعمـورة ، ويحكـى لـنا الكـتاب سيرة موسى النبى العظيم الذى فضل بالأحرى أن ي
مـع شـعب الله علـى أن يكـون لـه تمتع وقتى بالخطية ، حاسباً عار المسيح غنى أعظ
مـن خزائـن مصـر ، لأنـه كان ينظر إلى المجازاة ، وبالإيمان ترك مصر غير خائ
من غضب الملك لأنه تشدد كأنه يرى من لا يرى ..

يعوزنـا إذاً حـياة الإيمـان الـتى تغلـب الظـروف والأجـواء ، وتـتحدى كـ
العلاقـات ، وتقهـر الممـالك ، وتسـد أفـواه الأسود وتطفئ قوة النار وتجرب فى هز
وجلد ..

يعوزنـا أن نتمـثل سـحابة الشـهود الـتى حولنا حتى نحاضر بالصبر فى الجر
الموضـوع أمامـنا محتملين الصـليب مسـتهينين بالخزى كما فعل المخلص رب المج
الـذى بعدمـا أكمـل جهـاده جلـس فـى يمين عرش الله .. فلنتفكر فى الذى احتمل ،
الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لكى لا نخور فى نفوسنا .

وإذا كـان دانـيال يقـيم كلامـاً ووزنـاً لـرأى الناس لما تشدد وصمد فى الإيم
ولأضـطر أن يسـجد للأصـنام كمـا فعـل غيره .. ولو أن الفتية الثلاث خافوا من كا
الملـك لمـا عـبدوا إلههـم ، ولا تمسـكوا فـى استماتة بإيمانهم ، ولا دخلوا أتون النا
المحمى سبعة أضعاف ..

ويعلمـنا الرسـول بولـس أن أقـل شـئ عنده أن يحكم فيه من يوم بشر .. ولا
مـع هـذا لا يشـعر بشـئ فـى ذاته وإنما الذى يحكم فيه هو الرب ( ١كـو٤ : ٢ ــ ٤ )
والقديـس أثناسـيوس الرسـولى يـتحدى جمـيع الهـراطقة أتباع أريوس الذين كانوا

قالوا فى القصر الإمبراطورى وبين رجال الدين . وعندما قالوا له العالم كله ضدك يا أثناسيوس قال وأنا ضد العالم ..

هذا الإيمان العتيد وهذه الشهادة الصلبة تعوزنا كثيراً فى هذه الأيام حتى لا نخشى رأى صديق عابث ، أو إنسان مستهتر ، أو شخص غير مؤمن ..

وقد أكون معتزاً بشخصيتى وآرائى واتجاهاتى رافضاً الصليب .. فهو يمثل أمامى جهالة أو عثرة أو ضعفاً .. وفى الحقيقة أن المتكبر يعثر بالصليب ، وقد اشترط الرب يسوع أن الذى يريد أن يتبعه يلزمه أن ينكر نفسه ويحمل الصليب .. لذلك يلزمنا أن نبيع كبرياءنا واعتزازنا بكرامتنا وأنانيتنا حتى نستطيع أن نتتلمذ للوديع المتواضع القلب .. وكيف يمكننا أن نكون تلاميذاً للحمل ونحن ذئاب وكيف نستطيع أن نكون للقدوس البار أبناء ونحن ملوثون بنجاسة الذات المتألهة .. إن العالم يريد شهادة لا بالكلام ولا بالعظات وإنما بالسيرة المتضعة الوديعة الحانية المترفقة ، ونحن لهذه الحياة مدعوون .. وقد أكون تائهاً حائراً مشتتاً غير مستقر لا أعرف لنفسى طريقاً ولا لحياتى منهجاً ؟!

وهذه أيضاً عقبة تحتاج مواجهة .. فالمسيحى المؤمن له اتجاهات محددة ووجهة نظر ثابتة مستقرة . إنه ليس ريشة فى مهب الرياح . لقد امتدح الرب يوحنا المعمدان لأجل صلابته وتمسكه بالحق . والذى يجعل شبابنا تائهاً غير محدد الأهداف هو عدم وجود اختبار حى وشركة حقيقية مع المخلص .. والذى يزيد شبابنا توتراً وتمرغاً وتشتتاً هو قبول جميع الآراء والاتجاهات والسعى نحو التصالح مع المتناقضات فلا مانع من السير فى الطريق الروحى حيناً ولا مانع أيضاً من مسايرة الأشرار حيناً أخرى .. أما الرسول بولس فيقول لنا " لا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم .." (رو١٢ : ٢)

يعوزنا الشباب الذى عملت النعمة فى قلبه فأضحى واضحاً عابداً بقلب مخلص ونية صافية وهدف صادق . فى العهد القديم حاول الشيطان أن يتفاوض مع

موسى فى عملية الخروج وحاول فرعون تمييع القضية . تارة يقترح تقديم الذبائح فى مصر ، وتارة يقترح إبقاء البنين فى الديار عندما يسافرون لتقديم العبادة ، وتارة يطلب عدم أخذ الماشية والحيوانات معهم . أما موسى فرد على هذه المفاوضات بقوله " لا يبقى ظلف " .. نحتاج إلى الرؤية الواضحة التى لا تؤثر عليها موجات وإرسالات تفسد الصورة أمامها .. ونحتاج إلى أذن مرهفة السمع تستطيع أن تميز صوت الراعى من بين أصوات الغرباء .. وتحتاج إلى البصيرة الأمينة التى تكشف وتعرف وتحكم وتفصل باستقامة ..

هذه كلها ينالها أولاد الله فى مخدع الصلاة وفى الأمانة للوصية وفى طاعة المرشد الروحى النصوح .

وقد أكون كارهاً لحياة البذل والتضحية محباً لحياة الكسل . والحقيقة أن الرب يسوع قال لنا طوبى لذلك العبد الذى إذا جاء سيده يجده ساهراً .. فى موضع آخر قال لنا الأمين فى القليل أمين فى الكثير .. والذى أخذ الوزنة وطمرها نزع منه الوزنة وألقى به إلى الخارج .

فالشاب الذى يستكين لحياة البطالة تفسد روحياته بل وجسدياته أيضاً ، فيكون كالبركة التى لا تتحرك مياهها فتنتن ، والحديد الذى إذا أهمل علاه الصدأ ، وكالقفر الذى تأوى إليه البوم وتعوى فى جنباته الذئاب . والذى يقاوم روح الكسل والتراخى هو التأمل فى محبة المسيح وقراءة سير القديسين الأطهار والشهداء ، والتدرب على الصلاة والتأمل فى المجد العتيد أن يستعلن فينا ، والأكاليل التى نالها آباؤنا الأطهار ، والتى هى من نصيبنا إذا قمنا واستقمنا ..

**بدايات خاطئة**

ومن المفيد للغاية أن نوضح خطورة البدايات المضللة لأن عدو كل بر يشجع الشاب على البداية ، ولكنه يحرفه عن البداية السليمة التى توصله إلى أورشليم السمائية ومن أخطر البدايات المضللة .

## ناموس الخلقى

وهذا الناموس هو الذى يعجب به كثير من الناس حتى المسيحيين أنفسهم .. يكفينا أن نكون على خلق مهذب لا داعى للتروحن . إن الروحانية مبالغة وتهور واندفاع ماذا يريد الله منا سوى أن نكون لطفاء خدومين ؟! إن هذا المنهج لا يتفق مع المسيحية لأنه ما لم ندخل فى الشركة مع الله فإننا نظل بدون خلاص . الخلاص الحقيقى هو أن نكون متصلين بالله .. وكل بر ذاتى وكل أعمال الجسد مهما كانت ذات طابع أخلاقى راقى فهى ميتة لأنها من الذات تنبع وإلى الموت النهاية والخاتمة ويقول القديس يوحنا البشير " المولودين ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله ولدوا " ، وهذا يعنى أن الرجولة التى ليست هى من خلال الطبيعة الجديدة مرفوضة تماماً كما رفضت المشيئة الحيوانية الدموية والمشيئة الإنسانية الجسدية . المسيحى يحيا على مستوى المعجزة . إنه يحيا بالنعمة ويعيش لكى يشهد للحق . " أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا " . أما الذين يعيشون حسب ناموس الأخلاق وحدها فليسمعوا قول الرسول بولس " الجميع زاغوا وفسدوا معاً ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد " ( رو٣ : ١٢ ) ، أما الذى يعمل فلا تحسب له الأجرة على سبيل نعمة بل على سبيل دين ، وأما الذى لا يعمل ولكن يؤمن بالذى يبرر الفاجر فإيمانه يحسب له براً " ( رو ٤ : ٤ ، ٥ ) ، وليس معنى هذا أن المسيحية ترفض الأعمال الصالحة وتشجب الأخلاق الكريمة ، ولكن المقصود هو أن هذه كلها يلزم أن تكون ثمرة من ثمار الروح القدس فينا ، ونتاجاً لعمل النعمة فى حياتنا الداخلية ..

## الغيرة الطائفية

وقد يشجع الشيطان الشاب على أن يبدأ لا من خلال التوبة والسير فى درب القداسة ، وإنما على أن يبدأ من خلال ممارسة أنشطة تخدم الطائفة ويزكى فيه غيرة ليست حسب المعرفة .. وكثيراً ما يخدع شباب كثير بهذه المتاهات ، ولكن الشاب الروحى يعلم أنه لا يعيش لأجل ، وأن يسوع لم يأت لأجل تكتلات إجتماعية

ومصالح زمنية وأن المسيحية ترفض أى مسلك سلبى تجاه الوطن والمواطنين الذ
يختلفون معنا ديناً ومذهباً . إن التكتل الطائفى ليس هو النشاط الروحى وإنما
خداع وتضليل وتعصب وتدين مزيف . إن الشاب المسيحى الحقيقى يحرص ع
أن تكون له عضوية حية بالكنيسة أى بجماعة المؤمنين الذين يعيشون منتظر
مجيء الرب مثابرين على الجهاد القانونى .. ويحرص أيضاً على أن تكون
حركة وطنية طليقة لا تنكمش ولا تتعصب ولا تتقوقع لأن المسيحى ملح يذو
ليصلح الأرض ، ونور يتوهج ليضيء للجميع ..

وثمة متاهة أخرى هى الإستعاضة عن الحياة الداخلية بالأنشطة الإجتماع
مثل الرحلات والحفلات وخدمات الأسر دون أن يكون هناك أى تدقيق فى الج
الروحى للنمو فى التوبة والعبادة والتحرر من كل أباطيل العالم ..

إذا كانت هذه هى بعض البدايات المضللة . فما هى علامات البد
الصحيحة ؟

أولاً : أن أحب الرب يسوع من كل قلبى واتخذه لنفسى ملكا ومخلص
وعريساً وصديقاً .. أحرص على أن أعطيه قلبى كى يبدد منه كل ظلمة ويطهر
فساد وذلك بالعبادة وممارسة كافة وسائط النعمة ..

ثانياً : أن أكره الخطيئة وأجدها ومهما حاول الشيطان أن يسقطنى ف
أتوب وأنهض مجدداً العهد مرة أخرى قائلا لا تشمتى بى يا عدوتى لأنى و
سقطت أقوم .. الفخ إنكسر ونحن نجونا ..

ثالثاً : أن أحب الأخوة وأعيش مهتماً بما هو للآخرين لا بما هو لنفسى
الرسول يقول إننا قد انتقلنا من الظلمة إلى النور لأننا نحب الأخوة .. والح
الكنسية هى حياة شركة الأخوة المتماسكة بروح الحق والنامية فى النعمة وإختب
الشركة والتناول من جسد الرب ودمه الأقدسين ..رب المجد يدعونا قائلا تعالوا
( مت ١١ : ٢٨ ) . "من يقبل إلى لا أخرجه خارجا ( يو ٦ : ٣٧ ) فلنطرح
إهتمامات عالمية وكل ثقل الخطية ولنسر وراءه مطيعين وصاياه سائرين فى نف
الطريق وعلى نفس الدرب الذى سار فيه قبلا آباؤنا القديسون .

# الروحانية الارثوذكسية

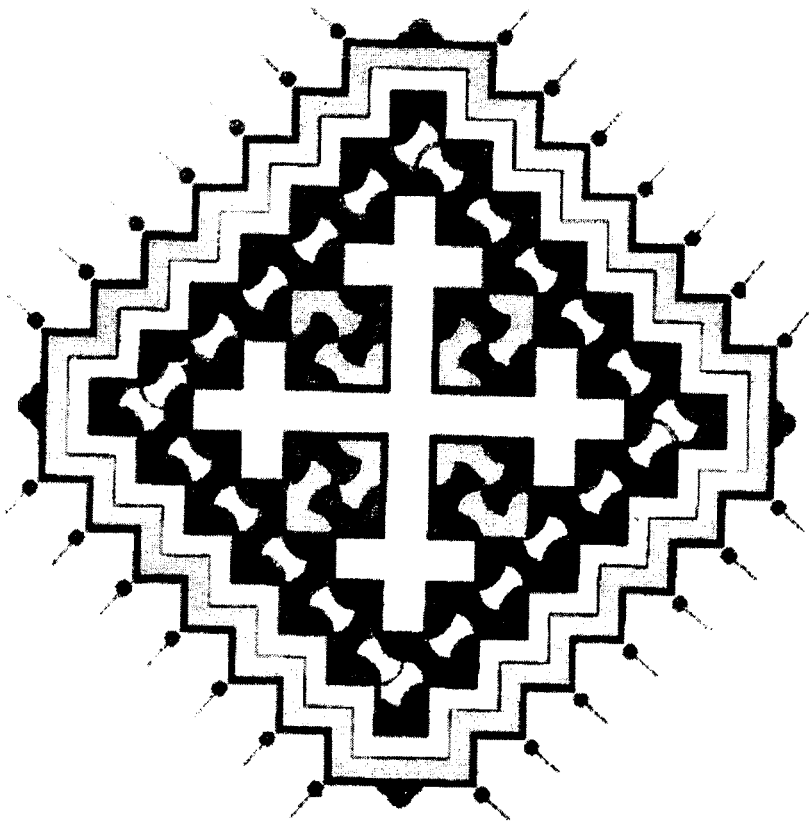

# الروحانية الأرثوذكسية

قـد يسـأل أحدهم هل هناك فارق بين الروحانية الأرثوذكسية والروحانية الكاثوليكية والروحانية عند الطوائف الأخرى ..

نعـم إن العقيدة والأصول الإيمانية لها أكبر الأثر فى توجيه الحياة الروحانية وصبغها صـبغة معيـنة .. فالأرثوذكسية لها إيمان بالثالوث القدوس وبالطبيعة الواحدة لشخص السيد المسيح من الطبيعتين اللاهوتية والناسوتية .. وهذه الطبيعة متحدة بلا اختلاط ولا امتزاج ولا تغيـير .. كمـا تعلم الكنيسة أيضاً أن السيد المسيح له مشيئة واحدة وهذا الاتجاه العقيدى له أكبر الأثر فى توجيه التعليم ، كما له أكبر الأثر أيضاً فى توجيه الحياة الروحانية .

وهـناك ظـروف أخـرى غير العقيدة أثرت على أنواع الروحانية تتعلق بالأوضاع الاجتماعية والسياسية ، فالكنيسة الغربية بسبب ظروفها التاريخية وإخضاعها الإمبراطورية الرومانية تحت قيادتها حتى أن بابا روما توج الإمبراطور شارلمان يوما من الأيام قد اتجهت إلى بسط نفوذها وسلطانها حتى انتهت إلى أن أصبحت دوله لها سفراؤها وبنوكها واقتصادها العـالمى .. هـذا كان له التأثير على الفكر الكاثوليكى وعلى الروحانية الكاثوليكية .. ثم إن النهضـة العلمـية والتقدم الفلسفى فى أوربا ، وحرص الكاثوليكية على أن تركب كل موجة تحـدث فـى أوربا ، فتارة تخضع الحركة الفنية تحت نفوذها فى مطلع النهضة الأوربية ، وتـارة أيضـاً تفـتح أبوابها أمام كل فكر وفلسفة بعد أن كانت تهاجم العلماء هجوما عنيفا وصـل إلى حد حرق العلماء ومحاكمتهم كمجدفين أيام العصور الوسطى .. كل هذا كان له أثره فى الحياة الكاثوليكية والغربية عامة .

أمـا الكنيسـة الشـرقية فلأجل ظروفها السياسية والاجتماعية وابتعادها عن السياسة ومراكـز الحكم والسلطان وانتشار الحركة النسكية الرهبانية مبتدئة بمصر وممتدة إلى بلاد الشـام ثم اليونان ثم روسيا .. هذه المؤثرات كان لها أكبر الأثر فى صبغ الفكر الأرثوذكسى والروحانـية الأرثوذكسية بطابع معين نستطيع أن نسميه الطابع النسكى والمستيكى (السرى) والاهتمام بالعمق الداخلى أكثر من الاهتمام بالمؤسسات أو المطبوعات أو الدخول فى تيارات

الأحـــزاب والأيديولوجـــيات المتضـــاربة ، فالطـــابع الأرثوذكسى طابع روحانى والكنيسة الأرثوذكســـية كنيسة صوفية باطنية جوانية على حد تعبير الأنبا أغريغوريوس (*) فقد جابه قادتها الروحانيون الفلسفة والفلاسفة ومع ذلك عرفوا أن لا يخلطوا الدين بالفلسفة . هذا الخلط الذى هو أصل الهرطقة ..

وكنيستنا الأرثوذكسية تنظر إلى طبيعة السيد المسيح نظرة صوفية روحانية ينحل كل ما يبدو أمام الفكر البشرى أنه متناقض أو محال .. هذه التجربة الصوفية أو الروحانية تعلو على كل تناقض عقلى وفلسفى . العقل الفلسفى يحاول أن يخضع الديانة لذات المنهج العلمى الـــذى تخضـــع له كـــل فروع المعرفة المادية ، ومن هنا فقد يدخل إلى الدين مناهج التحليل والتصـــنيف والاســـتنباط والاســـتقراء وما إليها من أجل أن تجعله أكثر إساغة وقبولا للعقل الفلسفى . أما نحن الأرثوذكس فأننا نفهم روح الدين ونعلم أنه يلزم للعقل أن يخضع للتجربة الروحية الصوفية !

فمنهج الأرثوذكسية منهج روحى نسكى بينما منهج الغرب منهج عقلى تحليلى وهذا له أكبر الأثر على الحياة الروحانية وعلى نوع التعليم الدينى .

إن ما يمثل الروحانية الأرثوذكسية هو المؤمن الذى له أعماق روحية وله شركة عميقة واختبارات نامية مع الله ، وله حرص شديد على الاشتراك مع المؤمنين فى الكنيسة فى جميع الخدمات من عبادة وتسبيح واحتفال بالأعياد والمناسبات الكنسية ، وله علاقات حسنة مع كافة المواطنين مهما كان دينهم أو جنسهم أو مذهبهم ..

ويلزمـــنا بادئ ذى بدء أن نشير إلى أن هدف الحياة الروحية فى الاتجاه الأرثوذكسى هـــو التأله على حد تعبير أثناسيوس الرسولى فى تجسد الكلمة ، أى أن نكون شركاء الطبيعة الإلهـــية كما قال معلمنا بطرس الرسول فى رسالته الثانية .. وهذا الهدف كلما وعته الكنيسة حرصـــت أن يكون كل نشاط وكل خدمة وكل تعليم هادفا إلى إيجاد هذه الشركة المقدسة مع الثالوث القدوس ..

---

* – الأرشيدياكون وهيب عطاالله (الأنبا أغريغوريوس) ، تعليم كنيسة الأسكندرية فيما يختص بطبيعة السيد المسيح ص ١٢ – ١٤

فـــلا يرضى الأرثوذكسى أن يكون الله قطبا خارجيا ويبقى هو قطبا آخر أمامه ، ولا يوافـــق الأرثوذكســـى علـــى التعليم الذى يجعل الحياة الروحية ممارسات شكلية أو أنشطة اجتماعية أو خدمات طائفية أو تأدية طقسيات خالية من الروح والحياة ..

الروحانـــية الأرثوذكسية التى تؤمن بالطبيعة الواحدة تعلم بأن الإنسان مدعو فى الرب يســـوع إلى حياة الشركة فى المسيح . لهذا فإن سر الأفخارستيا يمثل محورا هاماً بل حجر الـــزاوية فى الحياة الروحية الأرثوذكسية لأنه من خلال الاتحاد بالجسد والدم الأقدسين نكون جمـــيعاً جسداً واحداً وروحاً واحدا وقلبا واحدا كما تتحد بالرب نفسه إذ يثبت هو فينا ونثبت نحن فيه .

لهـــذا نجد أن التعليم الأرثوذكسى النقى لا يتخذ شكل ( الكاتشزيم ) كما لا يتخذ شكل التدرايـــب الجافـــة التى يمارسها الإنسان بذاته كوسيلة للصعود إلى الله والارتفاع إليه . إن الروحانية الأرثوذكسية هى إختبار الحياة فى المسيح ولا ندرى هل يصبح المؤمن فى أعماق الله أم أن الله يملك على أعماق الإنسان ! ولكن الذى يحدث فعلا هو شركة كيانية عميقة تؤكد قـــول الـــرب فى صلاته الشفاعية الأخيرة " أنا فيهم وأنت فىّ ليكونوا مكملين إلى واحد " . فالروحانية الأرثوذكسية لا ترضى بالحياة لأجل المسيح فقط ، ولا بالحياة مع المسيح فقط ، وإنمـــا تهـــدف إلـــى الحياة فى المسيح ومن خلال هذا الاتجاه تنطلق كل خدماتها وعباداتها وأنشطتها المختلفة ..

**النعمة والارادة**

وإذا كانت الروحانية الأرثوذكسية تنظر إلى عمل الفداء الذى صنعه الرب يسوع على أنـــه هو الألف والياء فى الحياة الروحانية ، فأن ما أصاب الفكر الغربى من صراعات حول أيهمـــا أهـــم الـــنعمة أم الإرادة ، كما حدث أثناء السجال الطويل بين القديس أوغسطينوس وبيلاجـــيوس .. لم يظهر فى الفكر الأرثوذكسى لأن الأرثوذكسية اختبار عملى ، لم تفلسف الحياة الروحانية بل تحرص على أن تلقى كل مؤمن فيها وتلقى الزخم الروحى فى أعماقه ..

١ ــ كاتشيزيم : التعليم الدينى عن طريق السؤال والجواب .

فالحياة الروحانية فى الاتجاه الأرثوذكسى هى عمل النعمة ولكن يلزم أن تكون الإرادة حاضـــرة لتقبل هذه النعمة .. وبدون النعمة لا فائدة من الجهاد وبدون الجهاد لا يمكن للنعمة أن تـــبقى وتدوم وتنمو فى حياة المؤمنين ، فنحن لا نكمل أن لم نجاهد قانونيا .. ويلزمنا ان نـــتمم خلاصنا بخوف ورعدة وليست الخبرة الروحية قائمة على أساس ان أصعد أنا بجهدى الـــى الـــرب لان الله هو الذى نزل إلينا. وإنما الخبرة الروحية هى التى تقوم على اساس ان أهيئى حياتى لسكنى الرب فى .. وان اعد له المذود كى يولد فى . ان اتقبل من الكنيسة كل وسائط النعمة التى تملأ كيانى فرحاً ونعيماً ويصبح الملكوت حقيقة حاضرة وعربوناً لما هو آت .. فما هو أخروى ليس مستقبلياً فقط وإنما هو يعاش فى الحاضر واثناء المعاناه اليومية.

## إبراز عمل الثالوث القدوس

وفـــى كل صلاة أو خدمة تهتم الارثوذكسية بإبراز عمل الاقانيم الثلاثة بعكس الفكر الغـــربى الذى يركز على عمل المسيح وحده ، فنجد عندنا مثلا الكاهن عندما يعطى البركة الرسولية يقول " محبة الله الآب ، ونعمة الابن الوحيد ، وشركة وموهبة وعطية الروح القدس تكـــون معكم" وفى صلوات الاجبية نجد صلوات تقدم للآب السماوى " نشكرك ايها الآب ابا ربـــنا والهـــنا ومخلصنا يسوع المسيح " واخرى تقدم للابن بل ان هناك قداس يخاطب الآب وآخـــر يخاطب الابن وليس معنى هذا ان الكنيسة تفصل الآب عن الابن وانما هى تعلم بان الاقانيم الثلاثة تعمل فى وحدة جوهر المحبة .

تقـــول الكنيسة عن عمل الاقانيم بالنسبة لمريم العذراء " الآب اختارك والروح القدس ظللك والابن تنازل وتجسد منك " .

فى تعليم القديس اريرينيئوس * نجد ثلاث انواع من الرؤية لله :

الرؤية الاولى : وهى بواسطة الهام الروح القدس ويسميها رؤية نبوية يستعلن شبه مجد الله .

الرؤية الثانية : وهى بواسطة يسوع المسيح ويسميها بنوية وهى للمختارين .

* كتاب حياة الصلاة الارثوذكسية ص ١٩٧ طبعة عام ١٩٦٨ .

الـرؤية الثالثة : رؤية الآب وهى رؤية الوجة للوجه لحياة الملكوت والرؤية النبوية بالروح القدس تمهد للرؤية النبوية فى المسيح ، والرؤية النبوية فى المسيح تحضر الانسان الى رؤية كاملـة لـلآب ، والآب يهـب الانسان عدم الموت والانسان فى كل هذه يتحقق انه يرى الله بالفعل لان هذه الرؤى الثلاثة متداخلة جداً وكل منها يحتوى الاخر خلفه.

## روحانية شركة وليست روحانية فردية

عندما اراد الرب ان يصنع الفصح قال اصنع " الفصح مع تلاميذى" وكانت شهوة قلبه ان يـأكل الفصح معهم لان هذا هو القصد الذى من اجله جاء ان يوحد الجميع فى واحد كما انه هو والآب واحد . وكانت صلاته الشفاعية تطلب من الآب هذه الوحدة للتلاميذ ولكل من يؤمـن به . فالروحانية الأرثوذكسية لا تعرف الروحانية الفردية فمنذ أن يولد المؤمن ولادة ثانية بالمعمودية وهو يغرس فى الكنيسة غرسا . وجميع أسرار الكنيسة وخدماتها تهدف إلى هـذه الوحدة المقدسة التى تجعل المؤمن جسداً وروحا واحدا وفكرا واحدا وقلبا واحدا بإيمان واحد لرب واحد وإله واحد ورجاء ودعوة واحدة ..

لذلـك علمنا الرب يسوع أن نقول الصلاة الربانية بصيغة الجمع أبانا الذى وليس أبى الذى فى السموات .. ويؤكد لاهوتية الأرثوذكسية أن المؤمن يخلص من خلال الكنيسة وليس خارجها إطلاقاً وليس معنى أن الأرثوذكسية تلغى العلاقة الشخصية وتتجاهل الشركة الخاصة الـتى بيـن المؤمن ومخلصه ، ولكنها إذ تؤكد هذه العلاقة تضعها فى إطار وحدة المؤمنين برباط الكمال الذى هو رباط المحبة ووحدانية الروح .

وإذا تأملـنا صـلاة القداس مثلا نجد هذه الوحدة واضحة فلا الأسقف وحده يمكنه أن يعمل القداس ، ولا الشماس وحده يستطيع هذا ، ولا الشعب بدون الأسقف والشماس يقدر أن يشترك فى القداس وإنما الجميع فى وحدة متناغمة يشتركون معاً .

## وحدة السمائيين مع الأرضيين

وتهـتم الروحانـية الأرثوذكسية بوحدة السمائيين مع الأرضيين بقدر إهتمامها بوحدة المؤمن مع الله ووحدة المؤمن مع الكنيسة . فالعلاقة القوية التى تربط المنتصرين الذين كملوا

فى الإيمان مع المجاهدين الذين لا يزالون يركضون نحو الجعالة هى محور من أهم محاور الروحانـــية الأرثوذكسية .. لذلك تحرص الكنيسة على أن تمتلئ بالأيقونات فى كل مكان .. علـــى الحجاب وعلى الجدران فى الهيكل ، حتى يشعر المؤمن أن هؤلاء القديسين أحياء مع إبراهيم وأسحق ويعقوب وأنهم يجاهدون معه ومع الكنيسة التى يعيش عضوا فيها . وفى هذا يقول الرسول بولس " إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة ولنحاضر بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع " (عب ١٢ : ١ - ٢) .

فالكنيســـة الأرثوذكســـية تـــنظر إلى السماء والأرض وقد اتصلنا ببعض فى اتحاد لا ينفصـــل . ففـــى القداس الإلهى عندما تبدأ الصلاة يفتح ستر الهيكل ويصير كل شئ مكشوفا وتكون الصلاة علانية لأن المسيح قد جعل الاثنين واحدا أى السمائيين والأرضيين . وتصلى الكنيسة قائلة . " إذا ما وقفنا فى هيكلك المقدس نحسب كالقيام فى السماء " .

وفى قداس القديس أغريغوريوس تصلى الكنيسة قائلة " الذى أعطى الذين على الأرض تســـبيح الســـارافيم إقـــبل مـــنا نحـــن أيضاً أصواتنا مع غير المرئيين واحسبنا مع القوات السمائيين " .

كمـــا تذكـــر الكنيسة سواء فى الصلوات السرية أو العلنية الملائكة ورؤساء الملائكة والقديسين ، وصلاة المجمع فيها طلبة وتضرع من الكنيسة المجاهدة لأجل الكنيسة المنتصرة " تفضل يا رب أن تذكر جميع القديسين الذين أرضوك منذ البدء آبائنا القديسين رؤساء الآباء والأنبـــياء والرسل والمبشرين والإنجيلين والشهداء والمعترفين وكل أرواح الصديقين الذين كملـــوا فـــى الإيمـــان " وعـــندما يرفع الكاهن البخور يصلى سرا قائلا " اذكر يا رب آباءنا وإخوتنا الذين سبق رقادهم فى الإيمان الأثوذكسى نيحهم جميعهم مع قديسيك " .

وبيـــن هـــذه الســـحابة المقدسة التى يقبل الله صلواتنا فى صلواتهم رائحة بخور ذكية يتنسمها فيرضى عنه شعبه ويغفر لهم جهالتهم تبرز مكانه العذراء والدة الإله القديسة مريم ، فللعذراء وضع خاص فى العبادة الأرثوذكسية فهى ليست أم يسوع فقط بل هى أم كل مؤمن

أيضـــاً ، وفيها تقابل الجنس البشرى كله مع الخالق يسوع المسيح كصديق ومخلص .. فهى ليست فقط أم يسوع المسيح بل هى أيضاً أم الخليقة كلها . هى حواء الثانية التى أصلحت زلة المـــرأة الأولى . هى كمال العهدين القديم والجديد لأنها الكائن البشرى الذى اقترب جداً إلى الـــثالوث القدوس ، اسمها دائم الذكرى في صلوات الأرثوذكسية ، وأيقوناتها توجد فى جميع بـــيوت المســـيحيين المتدينين ، وشفاعاتها كثيرة ومقبولة أمام الله من أجل الذين يحبون إبنها ويعبدونه من كل قلوبهم ..

## تقديس المادة فى الروح

تـــبرز فى الروحانية والفكر الغربى ثنائيات كثيرة مثل ثنائية الفرد والجماعة ، المادة والروح ، الزمن والأبدية . ولكن فى الأرثوذكسية لا توجد هذه الثنائيات ، ونذكر مثلا المادة والـــروح فإن الكنيسة ترفض الفكر الأفلاطوني الذى يعتبر المادة ضد الفكر والروح ، وإنما تعتـــبر المادة مجالا أساسيا لعمل الله فى خلاص الإنسان . فمنذ أن اقتبل الأبن الكلمة طبيعة الإنســـان فى إقنومه وأتحد اللاهوت بالناسوت لم تعد المادة نجسة بل مجالا مباركا وواسطة تجـــرى الكنيســـة نعـــم ومواهب الروح القدس من خلالها . فالماء والزيت والخمر والخبز مجـــالات ضرورية لنيل أسرار الكنيسة ، والصلاة على مائدة الطعام تقدس الطعام وإذ يأكله المؤمـــنون بنســـك وشكر وفرح وتهليل وبساطة قلب ، فتتحول اللقمة فى أجوافهم إلى بركة تدخل الأحشاء فتعطى قوة تشدد الجسد لخدمة الروح ، كما أن الجنسية فى الإنسان تتقدس من خـــلال سر الزيجة فيصير المضجع غير نجس والعلاقة الجسدية بين الزوج والزوجة تعبير عن علاقة روحية هى أسمى ما يربط الإنسان بالآخر .. بل أن أجسادنا نفسها سوف تقوم فى مجـــد عندما يأتى الرب فى مجده ومجد أبيه لأننا أبناء نور ، أبناء قيامة . وستسطع أجساد القديســـين بالنور والبهاء بعد القيامة ، والجسد نفسه سيشارك الروح بركات الدهر الآتى كما شاركها أتعاب الجهاد فى أرض الغربة .

بل وتؤمن الأرثوذكسية أن الخليقة المادية كلها سوف تتمجد مع قيامة الإنسان وتمجيد جسده ، لأنه كما فسدت المادة وتلوثت بفساد الإنسان كاهن الخليقة هكذا ستتمجد عندما يتمجد

هـو . وفـى هذا يقول بولس الرسول " فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معا إلى الآن هكـذا فقـط بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضاً نئن فى أنفسنا متوقعين التبنى فداء أجسادنا . ( رو ٨ : ٢٢ - ٢٣ ) .

فـى الـيوم الأخـير لن يخطف الإنسان من بين الخليقة بل إن الخليقة كلها ستخلص وسـتتمجد معه ، الكون والخليقة التى فسدت بسقوط آدم تعود مرة ثانية إلى وضعها الطبيعى فـى اتفاق وانسجام لتصير أرضاً جديدة ، " ثم رأيت سماء جديدة وأرضاً جديدة لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا " (رؤ ٢١ : ١) .

مـن هـذا المنطلق لا ترى الكنيسة غرابة فى تقديس المذبح والأيقونات وتكريسها فى بيت الله ، وتسمح للمؤمنين بتقبيلها وطلب شفاعة القديسين أصحاب الأيقونات المكرسة وإنارة الشموع أمامهم ..

هـناك فـارق كبير بين نظرة الأرثوذكسى الشرقى ونظرة المسيحى الغربى .. فعقلية الغـربى التحليلـية قـد رسمت خطاً فاصلا واحداً واضحاً بين الشئ وأسمه ، بين الشخص وصورته ، بين الروح والجسد .. أما فى الشرق فنحن أكثر يقظة لهذا التداخل فاسم الشخص جـزء من شخصيته ، والصورة وثيقة الصلة بالإنسان ذاته . ويعتقد الأرثوذكسي أن التجسد كشـف عن وجود وحدة عضوية بين ما هو إلهى وما هو مخلوق وأثبت أن الأشياء المادية ليست أقل قيمة من غيرها فى تنفيذ العمل الالهى ..

والشـرقى يستطيع أن يتكلم مع السمائيين فى صورهم بل ويعتقد أن المقابلة الروحية بين المسيح وقديسيه وبين أعضاء الكنيسة تزداد عمقاً وقوة إذا تركزت فى الأيقونة . فالخشب والرسـم والمعـدن يتشكل بالفن والصلاة إلى نقطة تقابل بين الله والإنسان لا تقل عن مقابلة العقل مع العقل .

والأرواح المقدسـة المنتقلة تعين صلاة العين بدرجة لا تقل عن صلاة الشفتين ، ومن هـنا نسـتطيع أن نفهـم الـدور العظـيم الذى تلعبه الطقوس وممارسات الكنيسة فى حياة الأرثوذكسـى ، وبإختصـار فأنـه لـيس هـناك ثنائـية المادة والروح فى روحانية وفكر

الأرثوذكسى .. إن المسيحى من وجهة نظر الأرثوذكسية يخلص بالعالم ولا يخلص من العالم .

## ارتباط الزمن بالأبدية

فى الفكر الأرثوذكسى والروحانية الأرثوذكسية ليس هناك تضاد بين الزمان والأبدية بل هناك تلاحم واتصال . ففى المسيح يسوع حدث هذا الارتباط الصميمى طالما نؤمن بوحدة اللاهوت والناسوت لأجل هذا أصبح الزمان داخلا فى أعتاب الأبدية وأصبحت الأبدية هابطة على تاريخنا زاحفة عليه ساحبة إياه فى تخومها اللانهائية ، وإذا ما اتخذنا صلاة القداس مثالا لذلك فأننا فى صلاة الليتورجيا لا نفرق بين السماء والأرض لأنهما اتحدا سويا فى القداس وبناء على ذلك لا نفرق بين الزمن والأبدية لأن لحظات الصلاة هى مجال لاستجلاء الأبدية واستحضارها على الأرض . ونفس هذا الاختبار يحسه المؤمن فى صلاة المخدع عندما يصلى بالروح والذهن ، فإن الأبدية تنفتح لتحمل دقات الساعة مع دقات وأنات القلب سويا وتحسب هذا الجهاد وتكتبه فى سفر تذكره وتعطيه خلودا أبديا .

وإذا كان الرب يسوع قد قال بفمه الطاهر " ها ملكوت الله داخلكم فمعنى هذا أن الأبدية حاضرة هنا الآن " .. وإن لم نثق أنها حاضرة معنا الآن فلن ندخلها فى الآتى . كل ما هو أخروى سيحدث فعلا فى المستقبل فى المجئ الثانى فى الأبدية ولكنه يبدأ الآن . " الآن وقت مقبول " . " الآن ساعة خلاص " الآن ساعة انفتاح الأبدية ودخولها قلب الإنسان وجعله مملكة للرب " إليه نأتى وعنده نصنع منزلا " وعندما يستقر الرب فى القلب ألا تكون الأبدية كلها حاصلة فعلا ! .

لأجل هذا تتميز الروحانية الأرثوذكسية باختبار عربون الملكوت من هنا ، وتسعى نحو الامتلاء من الفرح الداخلى كعربون للفرح السمائى عندما يأتى أوان الزفاف ويأخذ العريس العذارى المستعدات معه .

وهذا الاختبار الصوفى هو وحده الذى يقضى على العزلة فى حياة الإنسان . وهو وحده الذى يحل المتناقضات ، وهو وحده الذى يعطى للجنس والمادة تجليا فى حياة المؤمن ،

وهـو وحـده الذى يلغى القلق والسأم والملل والخوف من الموت هذه التى هى نتاج سل
الزمان على الإنسان ..

وفـى هذا يقول الفيلسوف برديافف " يوجد طريقان ممكنان لمعاناة الزمان ، أحدهم
نجـرب الحاضر دون تفكير فى المستقبل والأبدية ، والثانى أن نجعل من الحاضر وال
شيئاً واحداً . الموقف الأول يقوم على النسيان .. أما الموقف الثانى فيتغلب على شر الز
ويفضى بنا إلى الأبدية ، فى هذه الحالة لا تكون اللحظة لحظة نسيان وإنما تكون على ال
لحظـة امـتلاء خاص تمثل حياة الإنسان تثيرها الذاكرة لا جزءاً من حياته المنعزلة و
تستطيع الروح أن تتغلب على الخوف والفزع من المستقبل .

وهـذا ما تعمله الخبرة الروحية فى الأرثوذكسية .. ختام القول أنه ليس هناك ض
للمسـيحيين علـى أنهـم يسيرون فى الطريق الصحيح أفضل من حفظ وحدانيتهم ومما
عضـويتهم الحـية فى الكنيسة والتعمق فى شركتهم مع الله ورفض كل ثنائية يطرحها ا
والفلسفة والمنطق . والتجاوب مع كل وحدة يحدثها الروح فى الحياة الداخلية .

## مثال للتأمل الروحى والاختبار الأرثوذكسى

احمله فى حضنك مثل مريم أمه ، ادخل مع المجوس وقرب قرابينك ومع الرعاة
بولادتـه ، ومـع الملائكـة ناد بتسبيحه ، خذه من سمعان الشيخ ، واحمله أنت أيضا
ذراعـيك . احملـه مع يوسف وانزل به إلى مصر . حين يقوم مع الأطفال اطلبه إليك و
شفتيه ، واستنشق منه رائحة جسمه المحى الكل ..

كن تابعاً لصبوته فى جميع أدوار تربيته لأن هذا يمزج فيك محبته بالتصاقك به دائ
فتفوح من جسدك المائت رائحة الحياة التى من جسده .

قف معه فى الهيكل واسمع كلماته المملوءة حكمة التى خاطب بها الشيوخ حتى انذ
من تعليمه ..

وحيـن يسأل ويجيب اصغ إليه واعجب لحكمته . قف هناك عند الأردن وأستقبله
يوحنا ، وادهش واعجب من تواضعه حين تراه يخفض رأسه ليوحنا ليقبل منه العماد بالما

اخـــرج معه إلى البرية واصعد معه الجبال واجلس هادئا عند قدميه مع الوحوش التى ساعت لتتآنس بربها . وهناك قم لتتعلم الحرب والقتال مع الأعداء .

قـــف علـــى البئر مع السامرية لتتعلم السجود بالروح والحق وارفع الحجر عن لعازر لتعلم ما هى القيامة من الأموات .

قف مع الجموع المحتشدة وخذ لك لقمة من الخمس خبزات لتتعلم بركة الصلاة ! اذهب لتوقظـــه من نومه فى قاع السفينة حينما تضطرب الأمواج حولك . ابك مع مريم وبل رجليه بدموعـــك فتســـمع منه كلمة تسند قلبك ، ضع رأسك مع يوحنا على صدره لتسمع دقات قلبه الذى ينبض بحب العالم كله !

خـــذ لـــك كســـرة خبز من الذى بارك عليه وقت العشاء لتتحد بجسده وتثبت معه إلى الأبد .

قـــم مد رجلك ليغسلها لك لتتطهر من ادناسك وخطاياك . اخرج معه إلى جبل الزيتون لتتعلم مـــنه الســـجود وانحـــناء الركب حتى يتصبب عرقك مثله ، قم استقبل معه شاتميك وصـــالبيك ومـــد يـــدك معه للقيود . اهمل وجهك مثله للطم والبصاق وعر ظهرك لضرب السياط . قـــم يـــا أخـــى ، لا تخر ، احمل الصليب فقد حان وقت الرحيل .. مد يدك معه لمسامير ولا تمنع رحيلك اشرب معه المر ..

قم باكراً والظلام باق واذهب إلى القبر لنرى القيامة العجيبة ، اجلس فى العلية وانتظر مجيـــئه والأبواب مغلقة ، افتح أذنيك لتملأهما كلمات السلام التى خرجت من فمه . هيا مع الباقين إلى مكان منفرد واحن رأسك لتأخذ البركة الأخيرة قبل الصعود .

" من أقوال الشيخ الروحانى ( يوحنا سابا ) "

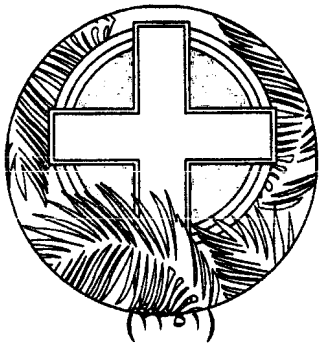

# الناموس والنعمة

# الناموس والنعمة

لقد تعود علماء النفس أن يقسموا حياة الإنسان إلى مراحل نفسية ثلاث هى : الطفولة والمراهقة والنضج .. وإذا كانت هناك تقسيمات فرعية إلا أن هذه المراحل الثلاث هى المراحل الأساسية التى يمر فيها كل إنسان . ولكل مرحلة علامات ودلالاتها ، وعندما ينمو الإنسان يأخذ فى الخروج من المرحلة التى عاشها ليدخل فى المرحلة التالية حتى يتجاوزها إلى المرحلة الثالثة وهكذا .

ونحن نجد بنعمة الله تقسيما موازيا لهذه المراحل السيكولوجية عند التحدث عن القامات الروحية نستخلصها من خلال تاريخ البشرية وخاصة شعب الله فى الكتاب المقدس . فهناك مرحلة الإنسان قبل الناموس أو ما نسميها مرحلة آدم الأول، لأن فيها يعيش الإنسان وفقاً للضمير الذى أودعه الله فى آدم الذى سقط ، وعاش على الأرض بأسلوب ومنهج معين ..

ثم هناك مرحلة أخرى اسمها مرحلة شريعة سيناء ، أو ما نطلق عليها مرحلة موسى .. هذه المرحلة تتسم بالوصايا الطقسية والأدبية وكافة الشرائع التى أعطاها الله لموسى على جبل سيناء ..

وظل شعب إسرائيل يتعامل مع الله من خلال هذه الشريعة والوصايا التى أطلق عليها الكتاب كلمة الناموس .. ولكن بمجيء الرب يسوع له المجد إلى عالمنا هذا ظهرت مرحلة أخرى ليست كسابقتها ولكنها امتداد لها نحو الكمال ، وهذه المرحلة هى التى نطلق عليها مرحلة النعمة أو الحياة حسب المسيح .

وقد يحدث فى حياة الإنسان أن يمر على هذه المراحل الروحية اضطراراً مع نموه فى مراحل العمر الزمنى .. فيعيش أولا ابناً لآدم الأول وهو طفل .. بينما حيا متديناً على مستوى التهود وهو مراهق ، ثم يتلامس مع النعمة ويختبر حياة الشركة والاختبار الداخلى مع المسيح . وقد يحدث فى حالات بعض الناس أن يقروا على مرحلة دون أخرى .

وقد يحدث فى حالات أخرى أن يتثبت الإنسان فى مرحلة ويبقى عندها لا يستطيع أن يتجاوزها .

وإذا ما أخذنا كل مرحلة بالتأمل والفحص البسيط أمكن لكل واحد منا أن يحدد موقعه من هذا الطريق ويعرف فى أى مرحلة يعيش ، ومن أى نوع من أنواع التدين يحيا ؟! .

## مرحلة آدم الأول

هى مرحلة التمركز حول الذات ، تعتبر النفس فيها ذاتها محور الكون كله تماماً كما يفعل الطفل الصغير الذى ينظر إلى العالم من خلال ذاته فهو يتصور أنه يملك كل شئ .

وإذا ما امتدت يداه إلى أى شئ أعتبره ملكاً له مهما كان هذا الشئ ومهما كان صاحبه ، وهو يعجب بأبيه ويعتبره أعظم الموجودات لأنه أبوه هو ، وهو يحب أمه لأنها تعطف على ذاته وتشبعها وتملأها حنانا وحنوا ، وهو لا يريد أن يوجد غيره من يحتل عرش الأمومة والأبوة .

فإذا ما ولد صغير آخر ينافسه فإنه يغير منه غيرة مرة ، وكثيراً ما يحاول إيذاءه .. وهو يتعامل مع الأشياء من خلال اللذة والألم . فالشئ الذى يلذ له يصبح حسناً عنده حتى لو كان ساماً ، والشئ الذى يؤلمه يكون مكروها لديه حتى لو كان دواء شافياً .. ولهذا فهو يستخدم الفم كوسيلة استكشافية واستطلاعية لكافة الأشياء التى يقع عليها بصره أو تلمسها يده .. وشحنة الليبدو (الغريزة الجنسية) لا تتركز عند الأعضاء التناسلية بل تكون موزعة على الجسد كله ، لهذا يجب أن يحضن ويداعب ويقبل ويلمس جسمه كله برقة وحنو شديد .

أليست هذه المرحلة هى حالة آدم بعد السقوط . فشهوة الأكل أسقطته .. ولذة التفاحة فى الفم أغرته . والرغبة فى التأله والاستقلال قد ملأته ، وأضحى متمركزا فى ذاته ، وعلاقاته مع الآخر تلوثت ، فهو يتسلط على حواء وهى تسعى وراءه

وتشتهيه بل وقد امتدت روح الغيرة فى أولاده إلى الحد الذى فيه قام قايين على أخيه هابيل فقتله .

وهذه المرحلة قد يتثبت عندها الإنسان مهما كبر فى العمر ومهما تقدمت به الأيام . قد يكون رجلاً كبيراً بل وشيخا طاعنا ونفسيته نفسية الطفل ، وقامته الروحية لم تتجاوز مرحلة الذاتية أو (النرجسية نسبة إلى نارسيس فى الأساطير اليونانية الذى كان يعجب بجمال وجهه وظل ينظر معجباً بوجهه على صفحة المياه حتى مات) وكثيراً ما يكون هذا الكبير عائشاً على مستوى اللذة والألم لم يتجاوزها إلى المراحل التالية التى هى الحلال والحرام ثم الحق والباطل ، وكثيراً ما يكون الجسد هو صاحب السلطان الأول على غالبية التصرفات والسلوك ، بل وكثيراً ما تكون أحاديث مثل هذا الإنسان كلها منصبة على تمجيد ذاته والإطناب فى شرح أعماله المجيدة وانتصاراته الرائعة ، الأمور التى يمج منها الناس ويرفضونها ويشمئزون من تكرارها ويضطرون إلى سماعها عن مضض مثل هؤلاء الناس يتعبون كثيراً فى حياتهم الزوجية لأن الزواج شركة بذل وعطاء وحب وانفتاح ، وكيف يمكن أن يحب من عاش أسيراً فى حبس ذاته ، وكيف يمكن أن يعطى من بات ذليلاً لأنانيته وعجبه وكبرياء قلبه .

**يشرح الرسول بولس هذه المرحلة فى مواقف كثيرة وآيات عدة نذكر منها :**

+ كما لم يستحسنوا أن يبقوا الله فى معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق . مملوئين من كل إثم وزنا وشر وطمع وخبث مشحونين حسداً وقتلاً وخصاماً ومكراً سوءاً نمامين مفترين مبغضين لله ثالبين متعظمين مدعين مبتدعين شروراً غير طائعين للوالدين .. بلا فهم ولا عهد ولا حنو ولا رضى ولا رحمة (رو ١ : ٢٨ ــ ٣١) .

+ " الجميع زاغوا وفسدوا معاً . ليس من يعمل صلاحا ليس ولا واحد . حنجرتهم قبر مفتوح . بألسنتهم قد مكروا . سم الإصلاح تحت شفاههم . وفمهم مملوء لعنة

ومرارة أرجلهم سريعة إلى سفك الدم . فى طرقهم اغتصاب وسحق وطريق السلام لم يعرفوه (رو ٣ : ١٢ ـ ١٧) .

+ فإن الذين هم حسب الجسد فبما للجسد يهتمون .. لان اهتمام الجسد هو موت .. فالذين هم فى الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله (رو ٨ : ٥ ـ ٨) .

إن هذه المرحلة هى التى يسميها الكتاب مرحلة الحياة حسب الجسد . مرحلة سلطان الإنسان العتيق الفاسد حسب غرور وشهوات هذا العالم .. مرحلة العبودية للخطية الكائنة فى الأعضاء ، والتى ورثها كل مولود امرأة لأنه بالآثام حبل به وبالخطايا اشتهته أمه .

فى هذا المستوى يندرج جميع الذين رآهم يوحنا فى قائمة المرفوضين الذين ليس لهم نصيب فى الدهر الآتى . " وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة فنصيبهم فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذى هو الموت الثانى " (رو ٢١ : ٨) وإذا كان أبونا آدم رقد على رجاء المسيا ونزل إليه المسيح من قبل الصليب وأدخله إلى الفردوس فإن الذين ورثوا منه خطيئته ولم يؤمنوا إيماناً حياً ولم يعيشوا على رجاء المجئ الثانى فهولاء هم الأموات بالخطية .

## مرحلة موسى (الناموس)

يمكننا تصوير هذه المرحلة من خلال نظرة الإنسان إلى الله ، ونظرته إلى الآخرين ، ونظرته إلى نفسه .

ففى هذه المرحلة والتى تمثلها الحياة حسب الناموس نجد أن الإنسان لا يستطيع أن يتقابل مع الله إلا من خلال الشريعة فقط . قال الشعب لموسى "تكلم أنت معنا فنسمع ولا يتكلم الله معنا لئلا نموت . فقال موسى للشعب لا تخافوا لأن الله إنما جاء لكى يمتحنكم ولكى تكون مخافته أمام وجوهكم حتى لا تخطئوا . فوقف الشعب من بعيد وأما موسى فاقترب إلى الضباب حيث كان الله" (خر٢٠: ١٩ ـ ٢١) .

قال الرب لموسى .. " اذهب انحدر ثم أصعد أنت وهرون معك . وأما الكهنة والشعب فلا يقتحموا ليصعدوا إلى الرب لئلا يبطش بهم . ( خر ١٩ : ٢٤ ) .

وهكذا عاش شعب إسرائيل فى العهد القديم لا يتواجه مع الله إلا من خلال موسى والأنبياء .. وكانت العلاقة التى تربط الشعب بالله منحصرة فى عدة وصايا أدبية وطقسية ( الناموس ) يلزم ممارستها بكل دقة ، والذى يخالف واحدة منها موتاً يموت .. على أن هذا الناموس لم يستطع أن يصلح ما فسد . إنما كل الذى فعله أنه كشف الفساد الذى فى الداخل كما تدخل الشمس حجرة مظلمة مليئة بالأتربة فتكشف الغبار وتوضح ما فى الحجرة من أوساخ وهذا ما عبر عنه الرسول فى روميه " وأما الناموس فدخل لكى تكثر الخطية " ( رو ٥ : ٢٠ ) .

وفى موضع آخر يقول الرسول " لم أعرف الخطية إلا بالناموس فإننى لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لا تشته ، ولكن الخطية وهى متخذة فرصة بالوصية أنشأت فى كل شهوة لأن بدون الناموس الخطية ميتة . أما أنا فكنت بدون الناموس عائشاً قبلاً . ولكن لما جاءت الوصية عاشت الخطية فمت أنا .. (رو ٧ : ٧ ـ ٩ ) ، ومعنى هذا أن كل ما عمله الناموس الذى هو روحى وصالح ومقدس أنه كشف الفساد الذى فى طبيعة الإنسان . فوصية لا تشته هى التى سلطت أضواء مقدسة على الطبيعة الفاسدة الكائنة فى أعماق الإنسان ، وبينت رغبات القلب وتحركاته وميوله الرديئة ، حتى التى لم تخرج إلى حيز التنفيذ ..

وهكذا تتكشف الخطية بالوصية أنها خاطئة جداً . والرسول يشرح حالته أنه كان سابقاً قبل أن يتقابل مع الرب يسوع عائشاً حسب الناموس ولكنه كان له حرفية الناموس ، لم يكن له بر الله الذى نلناه فيما بعد فى المسيح . فلما جاءت الوصية بقوتها ظهرت الخطية فى فسادها ودنسها وعاشت أيامه ظاهرة بينما ماتت عنده كل أعماله وآراءه الطيبة التى احتفظ بها عن نفسه ( البر الذاتى ) وأكد له الروح القدس أنه كان بدون المسيح ميتاً ، فعاشت الخطية ومات هو .. وهذا هو النفع

الجزيل للناموس أنه كشاف كما أنه مؤدب ومربى لكى يهذب النفس ويعدها لتتقبل الحياة حسب الروح ، الحياة الجديدة التى يحيا فيها بر المسيح وليس بر الإنسان وكثير من الناس يعيشون وفقاً لروح التهود حتى ولو كانوا قد نالوا سر المعمودية وهم صغار ، إلا أنهم لم يعيشوا حسب الحياة الجديدة والولادة الثانية التى وهبت لهم مجاناً فى هذا السر العظيم المقدس .

**ويمكننا أن نصور مثل هذا التدين فى النقاط الآتية :**

١ــ الخوف من الله وممارسة العبادات ، لا عن حب بل عن خوف ورعب .

٢ــ اتباع مستوى الحرام والحلال . فالإنسان هنا دائماً يسأل هل هذا حرام أم حلال؟ لهذا يسعى وراء كل من يعطيه فتوى تحلل له أو تحرم له ؟ تماماً كما كان يفعل الفريسيون فى المجتمع الذى عاشه الرب يسوع فى فلسطين . هذه المراهقة النفسية والروحية تظل ثابتة فى حياة الإنسان لأنه لم يتجاوز هذه المرحلة إلى حياة النعمة ، حياة حرية مجد أولاد الله .

وهذه المرحلة يسميها الرسول بولس فى غلاطية مرحلة الحياة عند أولاد الجارية العبدة وليس أولاد الأم الحرة " قولوا لى أنتم الذين تريدون أن تكونوا تحت الناموس ألستم تسمعون الناموس فإنه مكتوب أنه كان لإبراهيم ابنان واحد من الجارية والآخر من الحرة..

كل ذلك رمز لأن هاتين هما العهدان أحدهما من جبل سيناء الوالد للعبودية الذى هو هاجر ..

لأن هاجر جبل سيناء فى العربية . ولكنه يقابل أورشليم الحاضرة فإنها مستعبدة مع بنيها .

وأما أورشليم العليا التى هى أمنا جميعاً فهى حرة .. لكن ماذا يقول الكتاب اطرد الجارية وابنها لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة . إذاً أيها الأخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد الحرة (غلا٤ : ٢١ ــ ٣١).

٣- وأما عن نوعية التدين فهو غالباً ما يكون سطحياً وشكلياً لأن الحياة كلها مصبوغة بالخوف ومتسمة بتأدية الفرائض والواجبات وممارسة الطقوس الشكلية مع إفراغها من كل مضمون روحى وضعت لأجله .

كثيراً ما نجد فى كنائسنا أناس يعيشون على هذا المستوى ، يؤدون كل الممارسات ، ويحضرون كل العبادات بانتظام ، ويتممون كل الطقسيات وأما قلبهم فبعيد عن الله . مثل هذه العبادة مكروهة عن الرب . ليس العيب فى الطقس والشكل ولكن العيب كل العيب فيمن تحجر عن الشكل وأفرغ الشكل من المضمون والجوهر والعمق الروحى .

أما من جهة نظرة التهود إزاء الناس فهى تسير على مستوى السعى نحو إرضائهم أو إغضابهم لأن التدين فى هذه المرحلة يخلو من أهم عمق له وهو " الحق " وهذه العلاقة تتناغم مع السطحية فى التدين ..

وأما نظرة الموسوى إزاء نفسه فهى تمتلئ من البر الذاتى والشعور بصلاحية أعماله .. فهو دائماً يقول عن نفسه " اللهم إنى أشكرك إنى لست مثل باقى الناس الأشرار " ، وهو كثيراً ما يحرص على الإفادة من الدين لتضخيم ذاته وتفخيمها وتسمينها .. وهو لا يطيق إطلاقاً أن يدخل سيف الحق إلى الداخل ليجرح هذه الذات المنتفخة ويصلبها ويميت أهواءها وميولها الرديئة إذ أن كثيراً ما يكون التدين هنا غلافاً سميكاً وقبراً جميلاً يخفى عظاماً نتنة .

## ٢- الحياة حسب المسيح

تتميز هذه القامة الروحية بالحياة الداخلية .. " ها ملكوت الله داخلكم " . فالله هنا ليس بعيداً عن الإنسان وليس مجرد شرائع وطقوس وممارسات ولكن الله هو نور وحياة فى داخل الإنسان " أنا فيهم وأنت فى ليكونوا مكملين إلى واحد " (يو ١٧ : ٢٣) . فالذى نال الولادة الثانية بالمعمودية ، والتقديس والتثبيت بسر الميرون ، وتناول جسد الرب ودمه الأقدسين باستحقاق فى جوفه وأحشائه كيف لا

يحيا الله داخله ؟! إن الرب يسوع نقل الإنسان من المستوى الموسوى إلى الحياة حسب النعمة والحق " لأن الناموس بموسى أعطى ، أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا " ( يو ١ : ١٧ ) .

وماذا يقصد بالنعمة ؟! النعمة هى العطايا الغنية التى أخذناها مجانا وصار لنا استحقاقها من خلال التجسد والصليب والفداء والقيامة وصعود المسيح إلى السماء .

+ فالمؤمن بالنعمة يتبرأ من خطية آدم وينال بر المسيح .

+ والمؤمن بالنعمة يتقدس أى يحيا المسيح فيه فيقدس كيانه ويصير جسده هيكلا للروح القدس .

+ والمؤمن بالنعمة يصبح ابناً . وبالنعمة يخلص " بالنعمة أنتم مخلصون " ، ومن خلال وسائط النعمة ينال كل هبة سماوية بواسطة الروح القدس العامل فى الكنيسة .

هذه النعمة هى التى عبر عنها بولس فى رسالته إلى أفسس أعظم تعبير بقوله " مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى باركنا بكل بركة روحية فى السماويات فى المسيح . كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة . إذ سبق فعيننا للتبنى بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته . لمدح مجد نعمته التى أنعم بها علينا فى المحبوب . الذى فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته . التى أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة . إذ عرفنا بسر مشيئته حسب مسرته التى قصدها فى نفسه . لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شئ فى المسيح ما فى السموات وما على الأرض فى ذاك الذى فيه أيضاً نلنا نصيبا معينين سابقاً حسب قصد الذى يعمل كل شئ حسب رأى مشيئته . لنكون لمدح مجده نحن الذين قد سبق رجاؤنا فى المسيح ( أف ١ : ٣ – ١٢ ) .

**ومن خلال هذا النص المقدس يمكننا أن نبين أن غنى النعمة قد بين لنا :**

١ــ أننا مختارون من عند الرب من قبل تأسيس العالم ..

٢ــ أننا مدعوون لنكون قديسين وبلا لوم قدام الآب من خلال الخلاص الموهوب لنا من الابن .

٣ــ أنه لنا الفداء غفران الخطايا بدم الصليب .

٤ــ أنه عرفنا بأسراره الإلهية ومقاصده الأزلية وأنه لنا نصيب فيه حسب قصد الذى يعمل كل شئ حسب رأى مشيئته .

٥ــ أن هدف هذه النعمة التى أعطتنا الحرية والتبنى والفداء والتبرير والتقديس وكل بركات الخلاص .. هدفها النهائى هو جمع كل شئ فى المسيح ليكون المسيح هو الكل فى الكل .

وباختصار فإن القديس أثناسيوس يقول : لقد صار الله إنساناً لكى يصير الإنسان بنعمته إلها .. وهذه الشركة فى الألوهة هى التى تكلم عنها إيريناوس والتى عبر عنها الرسول بطرس فى رسالته بقوله " كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما للحياة والتقوى بمعرفة الذى دعانا بالمجد والفضيلة . اللذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة لكى تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية ( ابط ١ : ٣ ، ٤ ) .

وأما الحق فهو الشق الثانى من التدين المسيحى الحقيقى ، فالرب يسوع أعطانا نعمته لكى نشهد له . " وتكونون لى شهوداً فى أورشليم وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض " ( أع ١ : ٨ ) .

والكنيسة الحقيقية تسمى الكنيسة الشاهدة لأنها تشهد لعريسها ومخلصها بحياتها وسلوكها ومحبة أعضائها وطهارتهم وعفتهم وتجردهم وطول أناتهم .. وتشهد أيضا أن يسوع حى فيها وأنه لا يزال يعمل فى التاريخ وأن إنجيله إنجيل معاش وعملى وليس مجرد نظريات أو أيديولوجيات أو شرائع وقوانين وعظات : الكلام الذى أنا أكلمكم به هو روح وحياة " .. لقد أثبتت كنيسة الرسل بحياتها أن كلامه حياة ، وأثبتت بروحها أن الابن لا يزال يعمل بالروح القدس فيها ..

ولقد كانت شهادة المسيحيين الأوائل شهادة جريئة حارة أمينة إذ يقول سفر أعمال الرسل " وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع ونعمة عظيمة كانت على جميعهم " ( اع ٤ : ٣٣ ) .

وفى هذه الآية المقدسة تتلاءم النعمة مع الشهادة للحق . لأن الشهادة بدون النعمة مرفوضة إذ تصبح شهادة شياطين أو مزيفين ، والنعمة بدون شهادة تكون كنور وضع تحت مكيال ، ووزنة طمرت فى الرمال .

والذى يميز حياة أولاد الله هو ذلك الروح الواحد والقلب الواحد والإيمان الواحد والمحبة الواحدة إذ يقول الكتاب المقدس وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة ولم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له بل كان عندهم كل شئ مشتركاً . " ( اع ٤ : ٣٢ ) .

وهذه الحياة الخارجية تعبير عن أعماق الحياة الداخلية فالمحبة أثمرت مودة والاتضاع والقداسة أثمرت شركة .. والمسيحية الحقة أظهرت كنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية .

فالحياة المسيحية ، من منظار كنسى ، هى حياة أولاد الله مجتمعين معاً بروح متذكرين وصية الرب ووعده بالمجئ الثانى اللآتى المخوف المملوء مجداً متناولين من الجسد والدم الأقدسين مجددين العهد مع المخلص أن يعيشوا وفقاً للإنجيل الذى إليه دعاهم .. " فقط عيشوا كما يحق لإنجيل المسيح حتى إذا جئت ورأيتكم أو كنت غائبا أسمع أموركم أنكم تثبتون فى روح واحد مجاهدين معاً بنفس واحدة لإيمان الإنجيل " ( فى ١ : ٢٧ ) .

**أيها الحبيب**

+ إن كنت تعيش حسب الجسد متمركزا حول الذات فأنت لا تزال تحيا ابنا لآدم الأول ، هذه الحياة التى عبّر عنها الرسول إن كل من يحيا فيها يكون ابنا للغضب وآنية للهلاك .

+ وإن كنت تعيش حسب الناموس متمماً الفرائض والطقوس لا تمس لا تجس لا تذق . فهذا التهود لا يصلح لشئ سوى أن يبرر ذاتك أمام نفسك ، ولكنه لا يمنحك البر الذى فى المسيح .

+ إما أن كنت قد اختبرت المسيح فى قلبك وذقت النعمة وتمتعت بحرية مجد أولاد الله فتمسك بالذى عندك وجاهد وثابر على احتمال الآلام وأثبت مع إخوتك المؤمنين مجاهداً معهم بنفس واحدة لإيمان الإنجيل .

25

Silver
Anniversary

٢٥

اليوبيل الفضى

# علامات الكنيسة

# علامات الكنيسة
# واحدة ـ مقدسة ـ جامعة ـ رسولية

## مقدمة

مـــاذا يقصد بكلمة كنيسة ؟ . فى التعبير اللغوى هى فى الأصل كلمة يونانية تعنى اجتماع أناس كثيرين مدعوين لغرض واحد فى مكان واحد . ولهذا كانت تطلق على المحافل المدنـــية والدينية .. وهى فى المفهوم الشائع يعنى بها المبنى الذى تقام فيه الشعائر الدينية أو بيت الله . والبعض يطلق هذا الاسم على الرعاة كما جاء فى (١ع ٢٠ : ٢٨ ، ١بط ٥ : ٢ و٣) . والبعض يعنى بها جماعة المؤمنين على الأرض (مت ١٨ : ١٧ ، لو ١٧ : ٢١) ويشترك معهم القديسون الذين انتقلوا إلى السماء (رؤ ٤ : ٤ـ٦) والتعريف الجامع لمعنى الكنيسة هو جماعة المؤمنيـــن الذيـــن لهـــم الإيمان الرسولى الواحد ويجتمعون فى بيت الله حول أسرار الكنيسة برياســـة الأسقف ، ويحسون باشتراك الطغمات السمائية والقديسين المنتقلين معهم ، والحقيقة إنـــنا نستطيع أن نقول أن الكنيسة هى ملكوت الله على الأرض ، وهى جسد المسيح السرى ذاك الذى رأسه الرب يسوع نفسه ولا يزال بروحه القدوس يمارس سلطانه وعمله فى مجال هذا الجسد ، ويمكنا من خلال ألقاب وعلامات الكنيسة حسبما جاء فى قانون الإيمان أن نتأمل قلـــيلاً فـــى كـــل علامة طالبين من الرب أن يعطينا نعمة كى نحقق قصده فينا وفى كنيسته الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية .

## ١ ـ واحدة :

يمكنا أن نفهم هذه العلامة من خلال تعرفنا على طبيعة الكنيسة ، فالهدف من تجسد ابن الله والغرض ذاته من تعاليمه وموته وقيامته هو تأسيس علاقة جديدة بين الله والناس أو بالأحـــرى وحـــدة جديدة "وأنا قد أعطيتهم المجد الذى اعطيتنى ليكونوا واحداً كما اننا نحن واحـــد.. مكملين إلى واحد ، وليعلم العالم أنك أرسلتنى ( يو ١٧ : ٢٢ ـ ٢٣) والوحدة مع الله كأســـاس لوحـــدة الكنيسة كانت هدف خلقة آدم فى الجنة وعندما مزعت الخطيئة هذه الوحدة نـــزل الابن الكلمة متحداً بطبيعتنا الجسدية ليعيد لنا حياة الشركة بين الإنسان والله ، وقد أكد الكتاب المقدس هذه الوحدة، وشبه المسيح نفسه بالراعى الواحد للقطيع المخلص الأمين وعبر

عـن نفســه بالكــرمة والمؤمنيــن بالأغصان ، وطالبهم أن يثبتوا فيه كما يثبت هو فيهم ، والرسول بولس شبه هذه الوحدة بوحدة العريس مع العروس (اف ٥ : ٣٢) وكما أنه لا انفصام بيــن الــرجل والمرأة فى إطار الحياة المسيحية إلا بالخيانة ، هكذا تبقى الوحدة بين المسيح كرأس للكنيسة وبين الأعضاء كجسد طالما يعيشون وفقاً للإنجيل الذى دعاهم إليه ..

والوحــدة مــع الله تتضمن أيضا الوحدة بين الناس ، وهى وحدة يصفها المسيح له المجد بنفسه أنها حقيقة مرئية من العالم وشهادة لرسالته .. فبرؤية الوحدة التى بين المسيحيين يعرف العالم المسيح ويؤمن به .. فهذه الوحدة إذاً ليست حقيقة روحية غير مرئية فحسب بل أنهــا تظهــر أيضاً فى واقع حياة العالم ومرئياته . ومن غير وحدة المسيح مع المؤمنين لا يســتطيع المسيحيون أن يؤدوا رسالتهم لأن العالم لا يمكنه أن يرى فيهم الحياة الجديدة التى منحها إياهم .

ولهــذا السبب عينه نجد فى نشأة الكنيسة منذ البداية أن جميع الذين آمنوا كانوا معا وكــان كــل شــئ عندهم مشتركاً . فكان المسيحيون يجتمعون باستمرار الاحتفال بالعشاء الــربانى، ولم يستطع شئ ، ولا حتى الاضطهادات الرومانية ، أن تمنعهم من الاجتماع معاً لأن طبيعة إيمانهم فى حد ذاتها معناها ضمناً أن الله ليس حالاً فى كل فرد على حدته بل فى الكنيسة بأكملها التى هى جسد المسيح ، وبانتمائه كعضو فى هذه الجماعة فقط يمكن للفرد أن يكون عضواً فى المسيح .. إن المسيحيين الأوائل يعتبرون اجتماع كل كنيسة باسم المسيح أى فى وحدة المحبة شاهداً على انتصار المسيح على حب الذات والأثرة والخطية البشرية .. لقد كتب أحد الآباء الأولين وهو القديس اغناطيوس أسقف إنطاكية رسالة إلى كنيسة أفسس يقول فيها "كونوا أكثر غيرة على الاجتماع معاً لتقديم الشكر إى لإقامة سر الافخارستيا ، ولتسبيح الله لأنه متى اجتمعتم كثيراً قهرتم قوات الشيطان وبددتم خطره بانسجام إيمانكم ووحدتكم .

ولقد كان من عوامل تدعيم وحدة الكنيسة وخاصة فى العصر الرسولى حياة الشركة الــتى عــاش فــيها ومن أجلها المؤمنون فى المسيحية الأولى (١ع ٢ : ٤٢) فقد باع الجميع مقتنــياتهم ووضعوا الأموال عند أقدام الرسل ، وصارت الملكية مشتركة والأموال مشتركة

كتعبير عن الحياة الداخلية المشتركة . وقد امتدت هذه الروح فى جميع الكنائس التى أسسها معلمنا بولس الرسول إذ كانت كل كنيسة تحرص على إرسال المساعدات المالية للمسيحيين الفقراء فى أورشليم كتعبير عن المشاركة فى مواهب الروح وعطاياه وهباته وفرح الخلاص ونعمة الإيمان المشترك .

إن كل الذين يعيشون بروح الشركة المقدسة يقدمون انتفاضه ضد القوى الشريرة الآثمة التى تعمل على التفرقة . وإذا كانت الوحدة هى هدف من أهداف خلقة الإنسان وقسم هام من خطة الله ومقاصده فى الخليقة فهى علامة لازمة للكنيسة التى جعلها الله فى العالم لتعلن عن عمل المسيح فى مصالحة الناس مع الله . إن الكنيسة يجب أن تكون وحدة لتستطيع أن تجعل العالم كله وحدة فى المسيح .

وليس هناك آية تبين بأجلى بيان السر العميق للكنيسة المسيحية ، فبقوة الروح القدس يتحول الأفراد المبعثرين المتفرقين عند اجتماعهم معاً حقيقة قوية منتصرة متجلية "حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة بأسمى هناك أكون فى وسطهم" (مت ١٨ : ٢٠) ..

وهذه الحضرة الحقيقية التى لله وسط الكنيسة تجعل من الخدمات المسيحية المختلفة أسراراً حقيقية للمسيح .. فسر الأفخارستيا هو إحدى أسرار وحدتنا مع الله ووحدتنا فى المسيح مع بعضنا البعض . وللأسقف مركز وعمل كبير فى هذه الوحدة ويستكمل وظيفته القدسية فى ممارسة الأسرار بمسئولياته الرعوية التى تستلزم منه أن يؤمن فى الحياة العملية للكنيسة الوحدة المعطاة له سراً من الله خلال الأفخارستيا .. فخدمة الكهنوت إذاً هى عمل المصالحة والوحدة . والرسول بولس يتحدث عن وحدة الكنيسة بقوله "نحن الكثيرين جسد واحد فى المسيح وأعضاء بعضاً لبعض كل واحد للأخر" (رو ١٢ : ٥) والكنيسة وإن تكن أعضاء كثيرة إلا أنها جسد واحد كما يعبر الرسول يقول "لأنه كما أن الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هى جسد واحد ، كذلك المسيح أيضاً ! لأننا جميعا بروح واحد أيضا اعتمدنا إلى جسد واحد .. وجميعنا سقينا روحا واحداً" (اكو ١٢ : ١٢ و ١٣).

فمصـــدر وحدة الكنيسة هو الإيمان الواحد " لأن لنا رب واحد إيمان واحد معموديـ
واحدة إله وآب واحد للكل الذى على الكل وبالكل وفى كلكم" (اف ٤ : ٥) .

والقديـــس ابيفانوس يقول "إن الكنيسة وإن كانت متفرقة على وجه الأرض إلا أنها
تحفـــظ البشارة باجتهاد كأنها ساكنة فى بيت واحد وتؤمن بأسرار واحدة كأن لها نفسا واحد
وقلبا واحداً ، فالكنائس التي في غلاطية ومصر وليبيا وسائر أطراف المسكونة لم تأت بشيء
مخالف ، بل إن بشارة الخلاص تسير فى كل مكان بذاتها الواحدة ، كما أن الشمس المخلوقة
من الله تنير العالم أجمع وهى واحدة لا أكثر" .

فكنيســـة الله واحـــدة لأن رأسها واحد هو المسيح وروحها واحد هو الروح القدس
وهدفها واحد هو تتميم مقاصد الآب ، وإيمانها واحد ومعموديتها واحدة ، ولكل كنيسة محلية
أسقف واحد لأنه وكيل الله فى الحفاظ على الإيمان ورعاية الأنفس .. وهى واحدة أيضا فى
روح المؤمنين وفكرهم وحسهم ووجدانهم ، ورغماً عن تنوع مواهبهم فهم يعيشون معا بروح
واحد متعاونين منسجمين محبين تشكل جوقتهم المتحدة المقارنة سيمفونيه جميلة لا نشاز فيها
وفى الصلاة الجماعية يتجاوز المؤمنون أنفسهم ليأخذوا من روح الرب نعمة واتحاداً ومحبة
لـــيكونوا علـــى صورته حقاً .. وتعمل طقوس الكنيسة على جمع المؤمنين باسم المسيح كى
يتحدوا بالروح القدس .

ولا تمثل المواهب المختلفة والثقافات المتعددة مصدراً للانقسام والاختلافات بل على
العكس فإن هذه تخصب شخصية الكنيسة وتبقى على حيويتها ورسالتها . فقد وهب الله بروح
واحـــدة وزنـــات متـــنوعة لأعضاء متنوعين فى الكنيسة .. فقد وهب للبعض موهبة الشفاء
وغيرهم موهبة التنبؤ وللبعض الآخر القدرة على التعليم أو القدرة على التدبير .

وفى ثلاث من رسائل بولس يشرح مواهب الروح الظاهرة (رو ١٢، ١كو ١٢ ، اف٤) وقد
أكد الرسول إن هذه ليست قدرات طبيعية وإنما هى مواهب الروح التى قصد الله منها إعداد
الجسد السرى ليكون صحيحاً نامياً قوياً .

وهذه الاختلافات فى عطايا الروح سبب ومصدر لتماسك الأعضاء بعضهم مـــــع

بعض فى وحدة لا سيما وأن كل واحد يحتاج إلى الآخر ، والذى يربط الجميع هو رباط المحبة رباط السلام رباط الكمال (كـو ٣ : ١٤) فلا بديل للمحبة لأنه بدونها ستصبح سائر المواهب والخدمات عديمة القيمة .. فالمحبة هى موهبة الروح التى تعنى امتلا حياة المسيحى من الطبيعة الإلهية ، وعن طريق عمل روح الله يستطيع المسيحى أن يعبر عن حياة الله فى داخله .. أنها محبة أبدية لا يمكن أن نعبر حدودها ولا نستطيع أن نتجاوز أبعادها .

وبمـــا أن الكنيسة واحدة ووحدتها قائمة على أساس الإيمان الرسولى وحده فإن كل مـــن يخالف هذا الإيمان لا يمكنا أن نسميه عضواً فى الكنيسة لأنه فصل نفسه عن عضوية الجســـد ، فالجســـد الواحـــد لا يتجزأ ولا ينفصل عن بعضه ولا ينقسم . وإذا انفصل بعض الأعضـــاء عـــن الجســـد فهم لا يكونون جسداً آخر . ومن المحال أن تسمى هذه الأعضاء المنفصـــلة جسداً واحداً بل بالأحرى تدعى أعضاء منفصلة لا رابطة بينها ولا وحدة لها ولا يصـــح أن نطلـــق لقب كنيسة على جماعة المؤمنين الذين لا يسيرون وفقاً للتعليم الرسولى المسلم مرة للقديسين .. لقد شاهد أحد الآباء البطاركة السيد المسيح وثوبه ممزق ، فسأله من الذى عمل هذا يا سيد ؟ قال "أريوس" إن المبتدعين هم أخطر أعداء لكنيسة الله .

إن الكنيسة هى عمود الحق وقاعدته وإن تخلت عن الحق لأجل إضافة أعداد فإنها لا تكـــون كنيسة ، وهى إن تنازلت عن النعمة الموهوبة لها من خلال حياة الشركة والصلاة والالتفاف حول الجسد والدم الأقدسين اكتفت بالأنشطة والممارسات الاجتماعية والدعوة إلى التأمل والنظر إلى المصالح الطائفية .. فإنها لا تكون أمام الله كنيسة بالمعنى الصحيح .

لأجل هذا نفهم حرص كنيستنا على الترحيب بالدعوة إلى اتحاد الكنائس لأن هذا هو قصـــد الله ومـــلء رغبته ولكن يلزم أن يكون هذا الاتحاد قائما على أساس الإيمان السليم . إيمان أثناسيوس وكيرلس وديوسقوروس .

ولـــيس من شئ يعمل على انقسام الكنيسة أكثر من حب التسلط والرئاسة ، كما أنه ليس من شئ يحزن قلب الله أكثر من انقسام الكنيسة .. إن هذا الانقسام يشكل خطيئة لأن الله خلـــق الكنيســـة لتكون وحدة والخطية هى التعدى على مقاصد الله وخططه وإرادته . وأكبر

نجـــاح يحرزه الشيطان هو استخدام مسيحيين بالإسم لعمل انقسامات فى الجسد حتى لا تبدو الكنيســة وفقــا للنموذج الذى وضعه الرب طاهرة كالشمس ، جميلة كالقمر ، مرهبة كجيش بألوية .

نحــتاج فــى هــذه الأيــام إلى صلوات كثيرة ترفع كى يتحنن الرب الإله ويجمع المتفرقين إلى واحد ، وكما جعل العظام الجافة والنتنة تحيا وتتآلف وتلتئم ويتكون منها جيش عظيم جداً (حز ٣٧) نطلب ونتضرع إلى شخصه المحبوب وإلى روحه القدوس أن يعمل عمله السرى فيوحد القلوب ويجمع النفوس ويمركز الأشخاص فى مجال النعمة والحق ويعرف كل الكــنائس والهيئات والمنظمات الدينية العالمية بالإيمان الرسولى الصحيح كى تصبح الكنيسة حقــا واحدة لأن رأسها واحد ورجاؤها واحد مستجيبين فى ذلك إلى نداء الرسول بولس الذى نردده كل صباح فى صلاة باكر "أطلب إليكم أنا الأسير فى الرب أن تسلكوا كما يحق للدعوة التى دعيتم بها بكل تواضع ووداعة وبطول أناة محتملين بعضكم بعضا فى المحبة مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام . جسد واحد وروح واحد كما دعيتم أيضاً فى رجاء دعوتكم الواحد . رب واحد إيمان واحد معمودية واحدة . إله وآب واحد للكل الذى على الكل وبالكل وفى كلكم" (افسس ٤ : ١ ــ ٦) .

ونستطيع إن نستخلص مما سبق أن مقومات وحدانية الكنيسة ووحدتها هى :

١ ــ الإيمان الرسولى الواحد والمعمودية الواحدة .

٢ ــ ارتباطها بالرأس الواحد الذى هو المسيح يسوع .

٣ ــ رجاء الدعوة الواحد .

٤ ــ الجسد الواحد الذى يتناوله جميع المؤمنين ومن خلال اتحادهم به تختفى الأنا والذات فى كل ليبقى المسيح الواحد ويكون الجميع جسداً واحداً .

٥ ــ الروح الواحد والفكر الواحد والقصد والاهتمام المشترك ، والنظرة إلى الحياة من خلال إنجيل واحد .

ـ المحبة الواحدة التى تحفظ وحدانية الروح والحرص الشديد من جميع المؤمنين على ترابط الجميع لا على مستوى التكتل الطائفى ولا على مستوى المصالح النفعية ، وإنما على مستوى الحق وحده .

ـ الأسقف الواحد الذى يخضع له المؤمنون ومهما كانت رعيته مختلفة جنساً أو لغة أو ثقافة أو طبقة اجتماعية فهو المسئول الواحد عن جميع المؤمنين المشتركين فى الإيمان الواحد .

**ـ مقدسة :**

هذه هى العلامة الثانية .. وهى تختص بجوهر حياة الكنيسة وسلوكها وعلاقتها بالعالم .. يلزمنا أن نحدد أولاً مفهوم القداسة "فليس القداسة فى المنظار الإنجيلى أعمال وبر الإنسان فهذه مرفوضة ولكن القداسة هى عمل الله فينا ..

**القداسة لها جانبان :**

جانب سلبى وهو الاعتزال عن الفساد ورفض جميع أهداف وطرق وأنماط العالم سواء كانت جسدية أو نفسية ، عاطفية أو فكرية .

وجانب ايجابى وهو عمل الروح القدس فى المؤمن . فعل الإيمان فى حياة أولاد الله الشركة مع المسيح الذى يحيا ويملك على قلوبنا ، ولا يمكن أن يكون الشخص مقدساً بالتمام إلا إذا كان فى حالة طاعة كلية ومستمرة لله وإلا إذا كان حريصا على ألا يشترك فى أعمال الظلمة بل بالحرى يوبخها .

فالمسيح هو قداسة الكنيسة ، ومن خلال حضوره فيها تتقدس ، ومن خلال شركتها معه تتطهر ؛ ودمه يقدس ويطهر ويغسل كل عضو من الأعضاء إلى التمام .

والروح القدس هو روح القداسة والطهارة والعفة ، هو الذى يحرق كل زوان وأشواك ويطهر كل الأركان الضعيفة ويبدد كل ظلمة داخلية . هو نار مطهرة ونور كاشف ، والروح القدس هو الذى يأخذ مما للمسيح ويعطينا . هو الذى يهبنا كل العطايا . هو أساس قداستنا وثبوتنا فى القداسة الحقيقية . لهذا فإن القداسة تستلزم حياة الألفة والطاعة لروح الله والانقياد لصوته والانسياق فى تياره المقدس الالهى .

والمؤمن يتقدس بحلول القدس عليه فى سرى المعمودية والميرون المقـدس . ك
يتطهر بفعل الروح القدس فى سرى التوبة ومسحة المرضى . وينال غفران الخطايا وال
الأبدية من خلال سر الافخارستيا . فأسرار الكنيسة ووسائط النعمة هى المجـارى المقد
التى أعدها الرب ليجرى من خلالها تيار الروح لتطهير وتقديس جميـع أعضـاء الكنيس
المختارين .

إن الذين اختبروا الموت والقيامة مع المسيح . هؤلاء صلبوا ودفنوا الإنسان العتي
الفاسد وصاروا يعيشون حسب الإنسان الجديد فى البر والقداسة والحق .

إن منهج القداسة هو أن يتعانق روح المسيح وأرواحنا فيدخلان فى عهد أبدى . أ
امتزاج روحى سماوى حسبما قال الرسول بولس " كل من ارتبط بالرب فهو روح واحد

فالله وحده هو القدوس ، والقداسة هى عطية الله نفسه فكل من يملك الرب على ه
وكل من يدخل فى معييته هذا يكون مقدساً . ففى القديم قال الرب " أنا الله مقدسكم " .

فنحن قد صرنا مقدسين فى المسيح والرسول بولس يكتب رسائله إلى الكنائس وي
جميع المؤمنين قديسين ذلك لأن سكنى الله فينا هو الذى يجعلنا قديسين ويعطينا كل امكان
حياة القداسة .

وفى هذا يقول الرسول بولس "دم المسيح الذى بروح ازلى قدم نفسه لله بـلا عيـب يطه
ضمائركم من اعمال ميتة لتخدموا الله الحى" (عب ٩ : ١٤) وفى موضع آخر يقول قد صال
الان فى جسـم بشـريته بـالموت ليحضـركم قديسـين وبـلا لـوم ولا شـكوى أما
(كو ١ : ٢٢) .

وقد كانت أوامر الله فى العهد القديم بالحرص على قداسة حتمية الاجتمـاع وهيك
سليمان واوامره الخاصة بأن تكون الذبيحة المقدمة طاهرة وبلا عيب انما هى إشارات إ
حياة الكنيسة المقدسة بدم المسيح وعمل الروح القدس فالكنيسة هى ملكـوت القداسـة ع
الأرض .. هى التى قال عنها صاحب النشيد "أختى العروس جنة مغلقة عين مقفلـة ينبـ
مختوم" (نش ٤ : ١٢) .

## مكملين القداسة فى خوف الله :

ومع أننا قديسون أمام الآب بسبب مركزنا الذى صار لنا فى المسيح يسوع ، ومع أننا قد ولدنا ولادة ثانية بالمعمودية وختمنا بسر الميرون ونلنا جميع وسائط النعمة والخلاص إلا أن الرسول ينبه أذهاننا بقوله "فاذ لنا هذه المواعيد أيها الأحباء لنطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح مكملين القداسة فى خوف الله" (٢كو ٧ :١) .

لأجل هذا حرص الرسول بطرس على تطهير الكنيسة الأولى من كذب حنانيا وسفيرة وشجب السيمونية التى عرضها سيمون الساحر ، وابعاد بولس للرجل الذى زنا عن كنيسة كورنثوس إلى أن تتحقق من توبته الصادقة .

يقول العلامة ترتليان المحتج المسيحى "يا مولاى لماذا تضطهد الكنيسة . إن وجدت فينا زانياً أو سارقاً أو قاتلا أو أى واحد أدين فى جرم . خذنا كلنا ومزقنا أربا" هذا يقين الرجل بان الكنيسة طاهرة كالشمس ولهذا كان احتجاجه مرهباً كجيش بالوية .

وتاريخ الكنيسة ملئ بسير القديسين والقديسات .

فهذا الشاب الذى قطع لسانه والقى به فى وجه العاهرة لكى ينقذ عفته منها عندما ربطوه فى شجرة وارسلوها غواية وإثارة لافساده .

وهذه برباره العفيفة التى ترفض السجود للأصنام وعندما يأمر الوالى بتعرية جسدها تماما فإنها تصلى أن يحفظ الرب عفتها فترسل السماء شعاعاً نيراً يغطى جسدها العارى ويحميها من الأعين الزائغة وتستشهد عفيفة طاهرة .

وهذه الأخت التى قلعت عينها لما عرفت من شاب أن عينيها قد أثارت فيه الهوى والغرام .

لقد عاشت الكنيسة طيلة تاريخها متذ كرة القول الالهى . إنه بدون القداسة لن يعاين أحد الرب .

ولم تكن القداسة قداسة السلوك الخارجى فحسب بل قداسة المشاعر والعواطف والافكار والنيات .. إن المحرقة كانت تفتش فى أعماقها ولا تقدم إلا إذا كانت طاهرة فى الداخل والخارج . وكنيسة الله ذبيحة حية مقدسة ، ومحرقة طاهرة مقبولة مرضية أمام الله .

شكراً لله الذى جعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه (رؤ ١ : ٦).

ملوكاً بالتحكم فى غرائزنا والسيطرة على شهواتنا ..وكهنة بالانفصال عن روح العالم وممارسة حياة التكريس . وتقديم ذبائح التسبيح والشفاه المعترفة بفضل الله .

شكراً لله الذى أحب الكنيسة واسلم نفسه لأجلها لكى يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شئ من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب ( اف ٥ : ٢٥ ــ ٢٧ ) . والكنيسة مقدسة لأن جميع تعاليمها وأسرارها مقدسة وتقدس جميع الأعضاء والذين يعيشون داخل الكنيسة وهم لا يتقدسون ببر المسيح ولا ينكرون الفجور والشهوات العالمية لكى يعيشوا بالتعقل والبر والتقوى فى العالم الحاضر . أولئك الذين لا يقدمون أجسادهم ذبيحة فهم ليسوا أعضاء فى الكنيسة الحقيقية حتى ولو كانوا أمام الناس أعضاء مهمين ذوى مراكز وخدمات هامة .

حقيقة إن الكنيسة تفتح أبوابها للخطاة والزناة وهى موجودة فى العالم لدعوة الخطاة لأن الأصحاء لا يحتاجون إلى طبيب بل المرضى ، ولكن الكنيسة كانت حريصة على أن تتوب الخطاة وتبكت الزناة ليقلع الجميع عن فجورهم وفسادهم ، وبعد أن تتأكد من توبتهم تضعهم فترة فى خورس التائبين قبل أن تنقلهم إلى خورس المؤمنين الذين هم أعضاء الكنيسة الحقيقيين المثابرين على التناول من جسد الرب ودمه .

والأمر الذى يلزم أن نعيه أن نعمة القداسة ليست فضيلة فردية فى الكنيسة ولكنها هبة جماعية ووزنة مشتركة بين كافة الأعضاء لكى تبقى الكنيسة شاهدة لعريسها قدوس القديسين. لأجل هذا تحرص الكنيسة على ألا تبقى أو تتهاون فى دنس الجسد والروح فى حياة أى عضو من أعضائها حتى تكون صلاتها المرفوعة عن الجميع منادية المسيح : بأنه حياتنا كلنا وخلاصنا كلنا وقيامتنا كلنا ، صلاة مقبولة صادقة غير غاشة .

يقول أحد الآباء إن قطبى التدبير المسيحى للخلاص هما التجسد والمجئ الثانى . بالتجسد دخل اللاهوت فى المادة وأحتضنها واتحد بها وقدسها . بالتجسد نزل الله من المجد ليقدس الخليقة ، وهذه هى الحركة الهابطة .

أمـــا القطب الثانى فهو المجئ الثانى الذى فيه ستتغير الطبيعة الإنسانية كلها وتتحول إلـــى كيان روحى ممجد بل ويتقدس الكون كله إذ يصنع الرب الإله حسب وعده سماء جديدة وأرضاً جديدة .

هذه هى الحركة الصاعدة بين هذين القطبين تعيش الكنيسة فى الزمن مجاهدة ساعية نحـــو تنفيذ مقاصد الله وتحقيق خطته الأزلية . إنها تستخدم وسائط النعمة بكافة أنواعها من أســـرار وصـــلاة وإنجـــيل كـــى يتقدس الإنسان ويتغير من طبيعة جسدية أرضية إلى حياة روحانية. وكلما كانت الكنيسة ساهرة على قداستها وصون ابنائها وتثبيتهم ضد تيارات العالم الفاسدة وكلما كانت شاهدة للرب بقداسة أعضائها وتعففهم وتجردهم ونسكهم ، أسرعت ساعة المجئ الثانى .

ذلـــك اليوم السعيد الذى فيه تنتهى المعاناه ويبطل الجهاد والتعب ويدخل الجميع فى ملكوت القداسة . فى يوم لا ليل له .

**٣ ـ جامعة :**

إن جامعـــية الكنيســـة لا تعنى فقط اتساعاً أو إمتداداً جغرافياً وشمولا يضم كافة بنى البشـــر من كل جنس ولغة وأمة ، على مثال ما رآه يوحنا الرائى فى أورشليم السمائية وانما هى تعنى أولا وقبل كل شئ طابعاً إيمانيا لكل مؤمن يرحب فى داخله بجميع الناس ليمجد الله مع الكل ويحب الكل ويعمل الخير للجميع .

فالجامعـــية مضـــادة للطائفية والقبلية الدينية . فالذين يتقوقعون فى تعصبات لمصالح زمنـــية أو لتفرقة عنصرية جنسية او لونية . هؤلاء لا ينطوون تحت لواء الكنيسة الجامعة . إن الرب يسوع قبل صعوده أمر تلاميذه أن يتلمذوا جميع الأمم (مت ٢٨ : ١٩) وأن يذهبوا إلى العالم اجمع ويكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها (مر ١٦ : ١٥) . ولهذا فان الكنيسة تتسع لكل البشر مـــن كـــل لسان وقبيلة وأمة ، لا فرق بين سكيثى ويونانى ، عبد وحر ، يهودى واممى بل المســـيح الكل وفى الكل (كـــو ٣ : ١١) . والقديس كيرلس الاورشليمى يقول ان الكنيسة تدعى جامعـــة لوجودهـــا فى كل المسكونة " فى كل الأرض خرج منطقهم والى اقاصى المسكونة أقوالهم " والكنيسة يطلق عليها الجامعة لأنها لا يحدها مكان ولا يحدها أيضاً زمان فهى كانت

فى الماضى ولا تزال وستظل هكذا صامدة كالطود إلى يوم مجئ الرب يسوع . من أجل هذا تصلى الكنيسة قائلة " كما كان وهكذا يكون من جيل وإلى جيل وإلى دهر الدهور آمين " . وهى جامعة باعتبار ان تعاليمها وتقليدها الرسولى صالح لجميع الناس .. وانها جميع العقائد والأصول الإيمانية عن الأمور التى ترى والتى لا ترى .

وهى جامعة لأنها لا تكتفى بالأعضاء المنظورة بل تضم الأعضاء الذين كملوا فى الأيمان وانتقلوا وتنيحوا بسلام . هؤلاء أعضاء أحياء يشتركون مع المجاهدين فى عبادتهم ويصلون عنهم ويؤازرونهم جهادهم " لذلك نحن أيضاً إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة ولنحاضر بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا " (عب ١٢ : ١) . من أجل هذا تحرص الكنيسة على ذكر مجمع الآباء القديسين فى صلاة القداس الإلهى وترفع البخور وهى تصلى من أجلهم ويقول الشماس : إننا لسنا أهلا أن نتشفع فى طوباوية أولئك القديسين بل هم القيام أمام عرش الله يصلون عنا . وهكذا تمتزج سحابة البخور وصلوات المجاهدين مع صلوات القديسين لتكون بخورا طاهرا مقبولا أمام الله. فإن الملائكة ورؤساء الملائكة يحضرون جميع خدمات الكنيسة والملاك الطائر الى العلو حاملا صلوات القداس تصلى الكنيسةطالبة منه أن يذكرها أمام عرش النعمة . والكاهن فى كثير من صلواته يتشفع بالقديسين والملائكة قائلا: لتكن صلواتهم ونعمتهم ومحبتهم وقوتهم وشفاعتهم معنا جميعاً . آمين

والكنيسة جامعة أيضا لأنها تجمع الأسقف والكاهن والشماس والشعب فى وحدة واحدة وفى سيموفنية نادرة . إن الذى يحضر القداس الإلهى بروح خشوعية يدرك مدى الانسجام القائم بين صلوات الأسقف والكاهن والشماس والشعب . إن القداس لا يمكن أن يقام بالأسقف وحده أو بالكاهن وحده أو بالشماس وحده أو بالشعب دون الكاهن أو الشماس لأجل هذا فإن جامعية الكنيسة تكمن فى أعماقها فى حفظ الكنيسة على جميع رتبها ودرجاتها فى وحدة وانسجام وتآلف سواء فى العبادة أو فى اختصاصات الخدمة ، وبقدر ما تتمثل كل درجة من هذه الدرجات بوضوح مؤدية واجباتها المنوطة بها ، عاملة فى روح الإتضاع

والوحـــدة مع كافة الآخرين بقدر ما تتضح جامعية الكنيسة .. وبقدر ما تكون الكنيسة ونوده تضم كل يوم نفوس الذين يخلصون وتنقذ من النار شعلات متوهجة وتقدم للعالم خدمة إنجيلية وكرازة خلاصية شاملة فى كل القطاعات وفى كافة المجالات بقدر ما تحقق علامتها الأصيلة وهى أنها كنيسة جامعة بالمعنى الحقيقى .

**٤ ــ رسولية :**

إن كنيســـة المسيح الحقيقية هى المبنية على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفســـه حجر الزواية (أف ٢ : ٢٠) فالكنيسة الرسولية هى التى تستند فى تعاليمها وتقليدها إلى مـــا ســـلم مـــن الرسل أنفسهم واحتفظت به تراثاً حيا وذخيرة نقية طاهرة من كل تغيير أو إخـــلال.. وليس معنى هذا أن الكنيسة الرسولية متحجرة .. إنها تحفظ الإيمان سليماً ولكنها تواجه مشكلات الجيل بأسلوب عصرى دون أن تخرج عن الإطار الذى وضعه الآباء وإنما هى من خلاله تتحرك لأنها إذا خرجت عن روح الآباء تصير كالسمكة التى تخرج من الماء. والكنيسة تكون رسوليه عندما يكون الأساقفة فيها قد وضع عليهم أيدى تسلسلت قانونياً حتى تصـــل إلى أيدى الرسل أنفسهم . فالكنيسة القبطية كهنوتها رسولى لأنه مستمر حتى مرقس الرسول وهى عندما احتفلت بعودة رفات مارمرقس إلى الديار المصرية إنما تعبر عن أصالة الشـــعب الذى يعتز برسوليه كنيسته ، والكنيسة تكون رسولية عندما يكون الأساقفة والكهنة يـــؤدون خدماتهم بسلطان رسولى إذ أعطاهم الرسل سلطان الحل والربط "الحق أقول لكم كل مـــا تـــربطونه علـــى الأرض يكون مربوطاً فى السماء وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً فى السماء" (مت ١٨ : ١٨) . " إقبلوا الروح القدس . من غفرتم خطاياه تغفر له ، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت (يو ٢٠ : ٢٢ ، ٢٣) .

ولكـــن الكنيســـة لا تكون رسولية بوجود الرتب الكنسية الرسولية فقط ، ولا بوجود التعلـــيم الرسولى فقط وإنما يلزم أيضا أن تكون حياة المؤمنين متفقة مع الحياة الرسولية فلا يكفـــى أن نعـــتز برفات مارمرقس ، بل يلزمنا أن نحيا مثلما عاش كاروزنا أيضا ، والحياة الرسولية كما صورها لنا سفر أعمال الرسل تتمثل فى الفقر الاختيارى . فكلما كان المؤمنون حريصـــين علـــى حياة النسك والتجرد وممارسة الأصوام والصلوات الطويلة ، كانت حياتها

رسولية .. فالقديس العظيم الأنبا أنطونيوس امتداد سليم للحياة الرسولية . أما إذا لجأت الكنيسة إلى الترف وتكدس الأموال والانشغال بالأوقاف فإن هذه الأشواك كفيلة أن تخنق روحها الرسولية ، ولعلنا نذكر قصة الصحفى الذى تجول مع بابا رومه فى الفاتيكان وقال له البابا أنظر هذا كله لقد مضى الوقت الذى فيه كان يقول بطرس ليس لى فضة ولا ذهب ، فرد الصحفى للتو قائلاً : وأظن أنه قد مضى أيضا الوقت الذى يقول فيه خليفة بطرس للمقعد قم فيقوم .

ويرتبط بالنمط الرسولى الحرص على الكرازة ببشارة نعمة الإنجيل لأجل هذا تقول الكنيسة وهى مجتمعة حول الجسد والدم الأقدسين "آمين آمين آمين بموتك يارب نبشر وبقيامتك المقدسة وصعودك للسموات نعترف" .

إن الكنيسة الرسولية هى الكنيسة التى تتجه نحو المشرق لا بالعيون الجسدية فقط بل بالبصائر الروحية ، وإذ تنتظر مجيء الرب بفارغ الصبر إنما تعيش كغريبة ليس لها إقامة ههنا بل تنتظر المدينة التى لها الأساسات .

إن الكنيسة واحدة وحيدة فى إيمانها ورجائها وشخصيتها ورسالتها ، وهى مقدسة بربها وروحه القدس وبطهارة وعفة جميع أعضائها .

وهى جامعة تضم كل أمة ولسان وعشيرة وتجمع السمائيين والأرضيين بكل درجاتهم.

وهى رسولية فى تعليمها وإيمانها وسلطانها الكهنوتى وحياة أبنائها المجاهدين الأمناء.

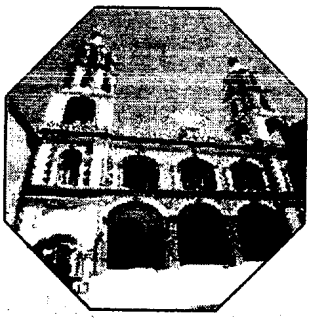

# نريد أن نرى يسوع

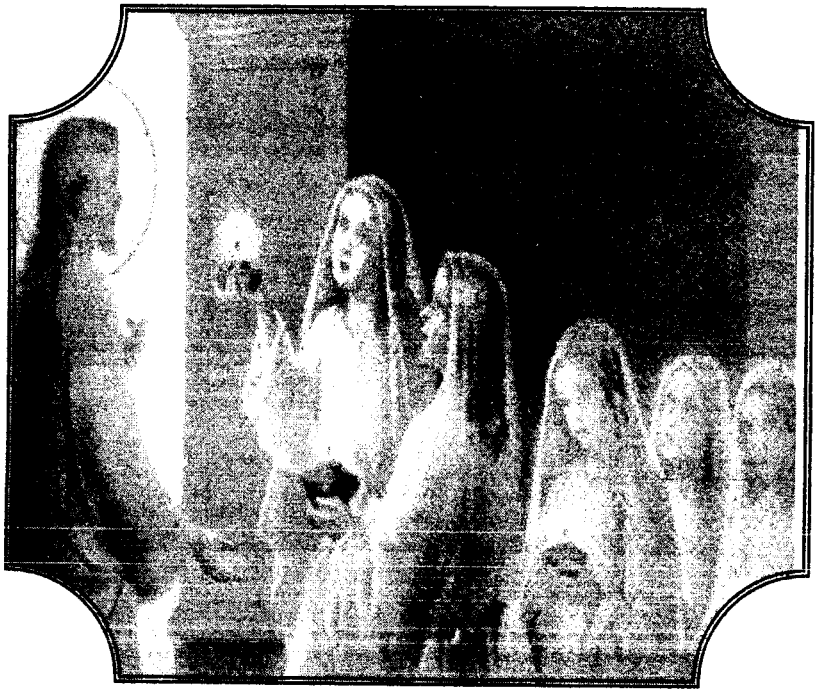

# نريد أن نرى يسوع (يو ١٢: ٢١)

هذه هى الطلبة التى تقدم بها يونانيون .. أتوا إلى فيلبس وقالوا له " نريد ان نرى يسوع" ومن منا لا يريد ان يرى يسوع . إن رؤيته مشبعة للنفس ومروية للقلب ومفرحة للغاية . كل الذين رأوه استنارت حياتهم ووجوههم لم تخز . كل الذين عاينوا ولو بصيصاً من مجده احتقروا جميع العالم وهزءوا بكرماته لأنهم رأوا الحق فاستهانوا بالباطل .. رأوا الطريق فرفضوا الضلال ، رأوا النور فلم يطيقوا أن يعيشوا فى الظلمة فيما بعد .. ونحن الآن لأننا فى الجسد لا نستطيع أن نرى بالعين يسوع وهو أيضا بعد أن تمجد لا نعرفه حسب الجسد وإنما نعرفه معرفة روحية وإنما نستطيع أن نراه الرؤية الروحية بعين الإيمان فى داخل القلب . حقيقة أن الرب ظهر لبعض القديسين فى رؤى وأحلام . ولكن هذه ظهورات خاصة كما حدث ليولس الرسول وكما كان يحدث للأنبا بيشوى ، وكما حدث لكثيرين نعرفهم من خلال السنكسار أو من تاريخ الكنيسة . وأما نحن المؤمنون فلنا أن نعرف يسوع ونراه رؤية روحية بالإيمان وفى داخل القلب . لا نراه شخصاً أمامنا بالجسد ولكنا نراه بالروح القدس .. وقد ميز (١) القديس ايريناؤس بين ثلاثة أنواع من الرؤية :

## الرؤية الأولى

وهى بواسطة إلهام الروح القدس ويسميها رؤية نبوية فيها يستعلن شيء مجد الله .

## الرؤية الثانية

وهى بواسطة يسوع المسيح ويسميها رؤية بنوية ، وهى للمختارين .

## الرؤية الثالثة

رؤية الآب وهى رؤية الوجه للوجه لحياة الملكوت . وفى هذا المجال سوف لا نلمس إلا النوع الأول من الرؤية هذه التى وإن كانت غير واضحة وغير مفهومة تماما بسبب أنقسام معرفتنا " لأننا نعلم بعض العلم ونتنبأ بعض التنبؤ .. فإننا ننظر

(١) راجع كتاب حياة الصلاة الارثوذكسية الفصل الخاص برؤية الله .

الآن فـــى مـــرآة فـــى لغـــز " ( ١كو ١٣ : ٩ و ١٢ ) . لأنه طالما نحن فى الجسد يستحيل علي
أن نـــرى الله فـــى هـــذا الدهـــر رؤيـــة واضـــحة . ولكننا نعيش بالإيمان مترجين الساع
الـــتى فـــيها نعايـــن الله وجهـــاً لوجه .. ويركز الآباء القديسون على النسك وصفاء القلب
كوســـائل لتحســـين الـــرؤية . فكمـــا أن جهاز الراديو أو التليفزيون إذا ما كان سليماً كان
اســـتعداده لتقـــبل الصـــورة أو الإذاعـــة تقـــبلاً واضحاً ، هكذا القلب بالنسبة لمعاينة الله
لهذا قال الرب : " طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله " (مت ٥ : ٨) .

والقديـــس العظـــيم الأنـــبا انطونـــيوس (٢) يضـــع أربـــع أســـس لاختـــبار النظرة
الروحانية ورؤية الله هى :

١ ــ ينبغى التخلص من جميع الشهوات والخطايا وآثارها .

٢ ــ يجب أن يمارس الإنسان أنواع الفضائل التى توصلنا إلى درجة النسك .

٣ ــ الاشتياق نحو الله ومحبة الحق .

٤ ــ بـــنظرة الحـــق الـــذى هـــو الله نصير أحراراً من الخطية وننتقل إلى درجة أولاد الله
الذين لا يخطئون .

وفـــى هـــذا المجـــال ســـنذكر بعـــض المجـــالات الـــتى تشجعنا وتسهل لنا الرؤية
النـــبوية الـــتى فـــيها يعلـــن لـــنا الـــروح القـــدس شبه مجد المسيح وفرح المسيح الذى لا
ينطق به ومجيد .

## ١ ــ إذا اجتمع اثنان

لقـــد وعـــد الـــرب بقولـــه " إذا اجـــتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فأنا أكون فى وسطهم.
وهكـــذا فـــى كـــل اجـــتماع محـــبة يـــأتى الـــرب لـــيأخذ مكان القيادة ، ويعطى للمحبين
المجتمعيـــن وحدانـــية الفكـــر والقلـــب ، وكلما كانت الجلسة مهيأة بالروح القدس لحضور
الـــرب كـــان حضـــوره أكـــثر وضـــوحاً ، ويحس المصلون المجتمعون حول كلمة الله أن
نعمـــة عظـــيمة تغطـــيهم وأن فـــرحاً مذهـــلاً يغمـــر أفـــئدتهم وأن سلاماً داخليا يشع من

٢ــ المرجع السابق ص ٢٠٩ طبعة سنة ١٩٦٨ .

بهم .. وهذه كلها علامات حضور الرب ودلالات دخوله العلية ، كما دخل فى الزمان .

وداود النبى بروح النبوة ترنم وتغنى بجمال هذه الوحدة فقال : " هوذا ما أحسن وما أحلى أن يسكن الأخوة معاً كالطيب الكائن على الرأس الذى ينزل على اللحية . لحية هرون النازلة على جيب قميصه ، مثل ندى حرمون المنحدر على جبال صهيون لأن هناك أمر الرب بالبركة والحياة إلى الأبد .

وأى بركة وأى حياة أبدية سوى حضور الرب وسط هذه الجماعة المصلية العابدة المملوءة حباً ووحدانية .

## ـ فى القداس الالهى

وفى سر الافخارستيا يحضر الرب بشخصه . إنه يحل فى القربان المقدس ، يتحول الخبز إلى جسده الحقيقى والخمر إلى دمه الحقيقى . ومن أجل هذا تقول الكنيسة الإنجيل فى الكنيسة مطوبة أولاد الله الذين يسمعون الإنجيل ويشاهدون الرب على المذبح " إن أنبياء وابراراً كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا ، وأما أنتم فطوبى لأعينكم لأنها تبصر ، ولآذانكم لأنها تسمع " .

ويحكى لنا تاريخ الكنيسة كيف أن بعض الآباء رأوا شخص المسيح عيانا وهو جالس على الصينية ، وقد كان هذا الظهور إما لدحض بدعة من البدع أو معجزة من المعجزات . ولكن عين الإيمان تستطيع أن ترى بالقلب ، والرب طوب الذين يؤمنون ولم يروه بعيون أجسادهم .

ولكن كثيرين يحضرون القداس الإلهى وأحيانا يخدمون كشمامسة ويسمعون الصوت مناديا قائلاً " لنقف بخوف الله ورعدة وخشوع " ومع هذا لا يكون فى القلب خشوع ولا خوف ولا تقوى وهذا هو الذى يمنع الرؤية الداخلية . إن الكنيسة تؤكد ابراراً سواء فى نداءات الشماس أو صلوات الكاهن قائلة " أنت هو القيام حولك

الشاروبيم والسارافيم ،ستة أجنحة للواحد وستة أجنحة للآخر فبجناحين يغطون وجوههم وباثنين يغطون أرجلهم ويطيرون باثنين ويصرخون واحد قبالة واحد منهم يرسلون تسبحة الغلبة وبالخلاص الذى لنا بصوت ممتلئ مجداً " ومن أجل هذا أيضا تعد الكنيسة المؤمنين للتقابل مع الرب على المذبح فتقيم صلاة وتسبحة عشية ثم تسبحة نصف الليل ، ثم رفع بخور باكر ثم قداس الموعوظين . كل هذا لتمهد أذهان المؤمنين وأرواحهم وقلوبهم وتنفض عنهم كل اهتمامات العالم التى علقت بهم حتى إذا ما جاء قداس المؤمنين تكون استعداداتهم قد أصبحت لائقة لمقابلة الرب والتناول من جسده ودمه الأقدسين .

## ٣ ـ حفظ الوصية

يقول الرب يسوع " من يحبنى يحفظ وصاياى . ومن يحفظ وصاياى أظهر له ذاتى " لقد بين لنا الرب أن الإنسان الأمين فى حفظ الوصية يستطيع أن يرى الرب فى حياته ويوسف البار فى العهد القديم إذ تمسك بوصية العفة يقول للمرأة الشرير كيف أفعل هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله هذا هو الله الذى كان يراه بعين الإيمان ولكن المرأة لأجل شهوة قلبها وفساد جسدها لم تستطع أن تلاحظ وجود الله إطلاقا إن الشاب الجرىء الذى لا يخاف أحداً ولا يشتهى شيئاً ، هذا هو الذى يؤهل لرؤية الله فى حياته وخدمته وعندنا نموذج لهذا فى العهد القديم وهو إيليا النبى الذى كان يقول " حى هو الله الذى أنا واقف أمامه .. " .

إن هذه الحضرة هى التى أعطته الجرأة ومكنته من أن يقف أمام آخاب وإيزابيل دون أى خوف أو رعب .

## ٤ ـ عندما تقدم توبة

فى كل مرة نحس بخطايانا ونندم على حياتنا ونبدأ فى اتخاذ مواقف ص ذاوتنا ، ونعزم بكل القلب على حياة التوبة الحقيقية ، ينفتح القلب لحضور الرب الذى كان واقفاً على الباب يقرع طالباً أن يدخل مع الآب ليصنع منزلاً .

ولعلنا نذكر قصة الزائر الذى كان يشير إلى صاحب البيت عن الحجرة المظلمة المغلقة ، وكان صاحب البيت يتضايق من هذه الإشارة كثيراً ورفض أن يستقبله حتى لا يشير إلى الركن المظلم ، ولكنه عندما عزم على أن يفتح له مرة أخرى تقدم الضيف الذى كان هو بنفسه الرب يسوع . ومد يده وفتح الغرفة الظلمة وأضاءها بنوره وطهرها بروحه وصنع خلاصاً في قلب كان مظلما .

وهكذا كلما تنقى القلب من نجاسة العالم وخبثه وشره ، كان مهيئاً لمعاينة الرب " طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله " ، وليس أفسد من الرياء والخبث والبر الذاتى كأمراض خطيرة تمنع رؤية القلب لله .

من أجل هذا نجد أن الكتبة والفريسيين الذين كانوا يشعرون فى أنفسهم أنهم أبرار كانوا يرفضون نداء المسيح الداعى إلى التوبة وتطهير الداخل .. هؤلاء كانوا أكثر المقاومين للرب ولم يستطيعوا أن يعرفوا الحق لأجل خبث قلوبهم واعوجاج سريرتهم .

لقد قال أحد الآباء إنه فى دموع التوبة علينا أن نرى صورة الرب يسوع واضحة . أنه يأتى ليأخذ هذه القطرات ويضعها فى زق لأنها غالية جدا عنده .

## ٥ ـ عندما نتألم معه ولأجله

وهذا مجال اختبره آباؤنا القديسون والشهداء والمعترفون ، فما أن نقرأ سيرة أحد هؤلاء حتى نجد أن الرب لا يكتفى بالرؤية النبوية بل يظهر لهم عيانا فى حلم أو رؤية لكى يشددهم أكثر فالقديس العظيم استفانوس رئيس الشمامسة عندما بدأت الحجارة تنهال عليه لشهادته الجريئة أمام اليهود رأى السماء مفتوحة وابن الله قائم . عن يمين العظمة .. والقديس مار مرقس الرسول كاروز الديار عندما سجن وهو متألم بالآم قاسية مبرحة وهو مزمع أن يتقدم فى الغد للشهادة ظهر له الرب يسوع . والقديس العظيم مارمينا عندما عزم على أن يذهب للإستشهاد طوبه الرب وظهر له وأعلن له أنه سيعطيه ثلاثة أكاليل .

والقديس العظيم مارجرجس الرومانى ، كم من مرة يظهر له الرب ويشدده ويصنع معه معجزات فى جسده أثناء الاضطهادات القاسية التى لحقت به .

والقديس العظيم الأنبا رويس سأله المؤمنين ذات مرة لماذا يا أبى لم تبك عندما ضربك الوالى ضرباً مبرحاً . قال لهم يا أولادى منذ أن بدأ الضرب ينهال على رأيت الرب يسوع أمامى وعلى رأسه إكليل الشوك ، فمن شدة حبى له ومن شدة اختطافى لهذه الرؤية لم أشعر بما أنا فيه بل كنت فرحا للغاية .

وهكذا فإن جميع المؤمنين من جيل وإلى جيل يتحملون الآماً قاسية من أجل شهادتهم للحق ، وفى كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلصهم .. إن كنا نتألم معه فسوف نتمجد معه أيضاً . وكما تكثر الآم المسيح فينا وهكذا تكثر تعزياته أيضا . وكلما نتألم من أجل البر فأننا نصنع صنعة مسيحية ونحمل فى أجسادنا سمات ربنا يسوع المسيح كى تظهر رائحة المسيح الذكية فينا .

## ٦ــ عندما نعمل أعمال الرحمة

وفى كل مرة تلتهب قلوبنا حباً وعطفاً على الفقير والمسكين واليتيم والضعيف والغريب ، وفى كل مرة نسرع لخدمتهم كى نطعمهم أو نسقيهم أو نكسوهم فإننا نتواجه مع الرب يسوع شخصياً لأن كل جراحات البشرية وعذاباتها تفتح باب الرؤية لمن ينحنى عليها يداويها ويخففها . وعندما نلمس هذه الجراحات إذ بنا مع توما نلمس جراحات الناهض من القبر ونقول معه " ربى وإلهى " .. الم يقل هو بفمه الطاهر " بما انكم فعلتموه بأخذ أخوتى هولاء " ( مت ٢٥ : ٣٧ ) ، والأسفار المقدسة والتاريخ المقدس يشهد كيف استطاع كثير من المؤمنين أن يتصدقوا أو يستضيفوا يسوع فى صدقتهم لإخوتهم دون أن يعملوا (٣) كابراهيم أب الآباء ، والقديس أنبا بيشوى الذى كان يظهر له الرب له المجد . وفى أحدى المرات طلب منه أولاده أن يروا الرب . فلما خرجوا فى الجبل ودق ناقوس الدير أسرع الكل

٣ ــ راجع كتاب الحب المقدس " حبنا لاخوتنا الفقراء للقس تادرس يعقوب من ص٥٤-٥٨

جو الدير للصلاة فالتقى بهم رجل عجوز طالبا منهم من يحمله للدير فاعتذر الكل لضيق الوقت . أما المبارك بيشوى الرجل المسن حمل هذا الرجل وسار به فوجده خفيفاً جداً .

وعند الباب ثقل عليه جداً فعرف أنه الرب ، وللحال قال له " أنت مالئ السموات والأرض كيف أستطيع أن أحملك " ؟!

وقد حكى لنا بلاديوس كيف أن رئيس دير أباً لمائتى راهب . هذا زاره السيد المسيح بصورة شيخ مسكين فسأل البواب أن يقول للمعلم عنه فدخل فوجده يخاطب آخرين . فصبر ثم عرفه فقال له دعنا فى هذا الوقت . فتأخر البواب وعند الساعة الخامسة زارهم رجل موسر فتلقاه رئيس الدير بسرعة فقدم ربنا سائلا قائلا " أنا أريد يا معلم أن أكملك " . أما الرئيس فدخل مع ذلك الغنى مسرعا ليعد له طعاما بمعنى أنه غريب وبعد الأكل شيعه إلى الباب ونسى المسكين إلى المساء ، ولم يقل الغريب المسكين . ثم إنصرف الرب بعد أن راسله على لسان البواب قائلا " قل للمعلم إن كنت ترى كرامة وتشريف فذلك لأجل سالف تعبك . إنى مرسل لك أقواما يزورونك من أربع جهات الدنيا . وأما خيرات ملكوتى فلا تذوقها . فعرف حينئذ أن الشيخ المسكين هو الرب فتندم وتألم .

وقد تحدث ذهبى الفم فى مواعظ كثيرة عن كيفية التقابل مع الرب خلال الرحمة فقد قال على لسان الرب يسوع " إذا صنعت مع أحد رحمة أمد يدى أيضا مع ذلك المسكين وأتناول ذلك الفلس الذى أعطيته اياه .

لقد بلغ عنى أنى متسربل بالنور كالرداء ولكنك متى كسوت عرياناً أشعر أنا بدفء وإننى تسترت وتعتقد أننى جالس عن يمين أبى فى السموات ولكنك متى ذهبت إلى سجن تفتقد المسجونين ترانى جالساً هناك ..

إن رأيت إنساناً بائساً فاذكر أنه وإن كان الظاهر ليس هو المسيح لكنه هو الذى يسألك ويأخذ منك فى زى ذاك .

لكنك تستحى وتستنكف إن سمعت أن المسيح يسأل . لكن لتستنكف إن سأل، ولم تعطه ..

إذا كان السيد المسيح خالقك لا يستحى أن يمد يده ويتناول الصدقة المعطاة للمساكين فبالأولى بنا الا تأنف من خدمة المساكين وإراحتهم .

لأنه بخدمتهم تتقدس أيدينا فإذا رفعناها فى الصلاة ينظرها الله البارى تعالى مباركة فيتحنن عليها ويعطينا سؤلنا تماماً .

وفى موضع آخر يقول ذهبى الفم (٤) على لسان الرب يسوع الديان العادل .

- أعطيتمونى كسرة يابسة ، فنلتم ملكوت السموات .
- وهبتمونى درهما من الفضة ، فأخذ تم نعيم الفردوس الالهى .
- كسرتمونى ثوباً ممزقاً ، فكسوتكم ثوباً من النور سندسياً لا يبلى .
- سقيتمونى كأس ماء بارد ، فأرويتكم ماء الحياة والراحة .
- آويتمونى فى منازلكم فذهبت بكم لتكونوا فى زمرة الملائكة القديسين .
- اعطيتمونى عطايا زائلة ففزتم بأمور باقية لا تضمحل .
- اهلتمونى لمائدة زائلة ، فظفرتم ببر أبدى .
- خلصتمونى من السجن والاعتقال واعتقتمونى من ألمى فوهبت لكم حضن ابراهيم مقعداً حسناً .

ولذهبى الفم أقوال شهيرة ذكرها فى عظاته تشرح كيف أن المسيح نفسه هو الفقير والمسكين والمحتاج ، نذكر منها :

بينما كلبك متخم ، يهلك المسيح جوعا (٥) إنك تحترم هذا المذبح حينما ينزل إليه جسم المسيح ولكنك تهمل وتبقى غير مبال حينما يفنى ذاك الذى هو جسم المسيح (٦) .

---

٤ ــ المرجع السابق ص ٤١ .
٥ ــ العظة ١٧ على كورنثوس الثانية .
٦ ــ العظة ٢٠ على كورنثوس الثانية .

" مـــاذا ينـــتفع تزيينـــ مـــائدة المســـيح بأوان ذهبية إذا كان هو نفسه يموت جوعاً ؟ شـبعه أولا حيـنما يكـون جائعـا ، وتـنظر فـيما بعد فى أمر تجميل مائدته بالنوافل " (٧) .

وللقديس أوغسطينوس تأملات رائعة فى عمل الرحمة إذ يقول :

أعـطِ لله فسـتجبر علـى الأخـذ .. لأنه سيقول للقائمين عن يمينه أولا " تعالوا إلى يا مباركى أبى .. رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم .. " لماذا ؟

لأنى جعـت فأطعمـتمونى . عطشـت فسـقيتمونى . كنـت غريـباً فآويـتمونى . عـرياناً فكسـوتمونى . مريضـاً فـزرتمونى . محبوساً فأتيتم إلى " فيقولون " يارب متى رأيـناك .. مـاذا يعـنى هـذا ؟ المديـن يجبر الدائنين على الاستلام والدائنون يعتذرون . لكـن المديـن الأميـن لـن يـتركهم يتحملون خسارة . هل تترددون فى الأخذ ؟ فأننى قد أخذت منكم . هل تجهلون هذا ؟ ، لقد اخذت وأنا الآن أسدد .

لقـد تسـلمت أرضـاً ، وأسـدد سـماء .. تسـلمت خـبزا ، وأعطـى ذاتى خبزاً أبيـا .. زرتمونـى فـى السـجن ، فأعطـيكم حـرية (٨) يقول الله سأتبادل معك بما هو أفضل مما أعطيتنى .

وإذا كانـت هـذه هـى المجـالات المـباركة الـتى فيها نستطيع بالروح القدس أن نعاين الله بالإيمان فى قلوبنا ، فلماذا يا ترى لا يتمتع الكثيرون بهذه الرؤية .

فإمـا لأنهـم يـنظرون إلـى ذواتهـم ويهـتمون بأنفسهم .. وهذا الحبس موت لأن الـذى يعـيش فـى أسـر ذاتـه موتـاً يمـوت ، وأنا الذى ينطلق من حبس نفسه ، فهذا يخرج إلى النور .. إلى الحرية .. إلى الحياة .

وإمـا إنهـم يـنظرون إلـى الناس .. والنظرة إلى الناس تنشئ إما شهوة أو غضباً كلاهمـا وجهـان لشـئ واحـد وهـو فعل الذات إزاء الناس ، النظرة إلى الناس تحجب الـرؤية كضـباب كثـيف يمـنع الاكتشاف . " كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجدا

---

٧ـ العظة ٥٠ على متى .

٨ـ حبنا لاخوتنا الفقراء للقس تادرس يعقوب ص٤٤ .

بعضكم من بعض .. " . إنها تمنع الإيمان نهائيا لأنه مكتوب : أحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم شريرة . ولكن أولاد الله يتميزون أنهم حريصون على أن يضعوا صليب المسيح بينهم وبين العالم قائلين مع الرسول بولس : عزمت ألا أعرف بينكم أحداً إلا يسوع وإياه مصلوباً .

## صلاة

أعطنا يارب أن نراك فى مخدع الصلاة وفى بيعتك المقدسة حيث اجتماع المحبة وشركة الأخوة ، وكذا فى احتمال الضيق من أجل الشهادة لاسمك ، وفى المعاناة المرة لأجل حفظ الوصية ، وفى كل عطاء محبة هبنا يارب أن نعطى لا بذواتنا بل بعمل نعمتك حتى منك نأخذ وإليك نعطى ونحوك ننظر ونعاين فنحيا .

# الغيرة المقدسة

# الغيرة المقدسة

## ضرورة الغيرة

تتميز مرحلة الشباب بالحماس والغيرة ، بل وأحياناً بالاندفاع .. وهذا أمر طبيعى لأن الشباب ملئ بالحيوية والطاقات الجبارة . فالحماس علامة من علامات الصحة النفسية والحياة السوية عند الشاب وإن اختلف مجال الحماس عند الشباب باختلاف أنماطها وأمزجتهم وثقافاتهم وأهداف الحياة ، إلا أن الاهتمام والرغبة الشديدة فى تحقيق الأهداف والتحمس للدفاع عن المبادئ . هذه كلها علامات ومظاهر هامة للحياة الشبابية .

هناك من يتحمس للمبادئ والأفكار لأن أهم ما يشغله الجانب العقلى . وهناك من يغار على الدين والمعتقدات لأن أهم ما ينفعل له هو التدين والنشاط الروحى . وهناك من يتحمس للإنسانية والخدمات الاجتماعية البحتة أنه يعيش على مستوى الإنسانية وصعيد الحياة الاجتماعية .

وهناك من يتحمس للأيديولوجيات السياسية والاقتصادية ، فتاريخ الزعماء السياسيين يبين لنا كيف كانت الأيديولوجيات السياسية ذات تأثير عميق فى حياتهم حتى أنهم كرسوا كل طاقاتهم للدفاع عنها .

فقد قرأت خطابا للزعيم الماركسى لينين ، كتبه فى أوقات كان فيها مضطهداً، وكانت روسيا القيصرية تطارد كل من يعادى نظام حكمها ..

يقول الرجل " إننا لا نذهب إلى السينما ولا إلى الملاهى ولا إلى الحفلات ولا نبنى القصور ولا نقتنى السيارات الفخمة ، لنوفر كل ما نستطيع أن نوفره لنشر مبدأنا . وحياتنا كلها تتجه إلى هدف واحد هو نشر مبدأنا . وهذا المبدأ هو حياتى وعملى ودينى وهوايتى ، هو طعامى وشرابى ، ولأجله اعمل النهار وبه احلم فى الليل . هو يملك كل حواسى وتقديرى للناس والكتب والأفكار والأعمال ، إنما يقاس

بمقدار أثرهم فى خدمة هذا المبدأ ونشره . بل وأنى على استعداد لأن اذهب فى سبيل هذا المبدأ إلى السجن بل إلى الإعدام " .

هذا أمر أعرضه لكى تتوبخ نفس وجماعات الشباب التى تقول عن نفسها أنها جماعات مسيحية متدينة .. إن كان أهل العالم يكرسون أنفسهم لقضيتهم إلى هذا الحد فكم بالأحرى للشباب المسيحى أن يكرس نفسه ، بل أن يسكب حياته فى ولاء تام مملوء بالحب والفرح للفادى المخلص .

وإذا كان الرب يسوع يستحق شيئا فهو يستحق الحياة كلها . وقد قال طاغور الشاعر الهندى إني لا أستطيع أن أكون مسيحيا لأنى لو صرت مسيحيا لا أستطيع أن أنام .

هذا الفهم الأصيل للمسيحية .. أنها قضية تجعل كل من يؤمن بها لا يحيا إلا مكرساً حياته لأجلها .. ينظر إلى العالم كله من خلال صليبها ، هذا ليس نوعاً من التعصب والانغلاقية ولكنه صدى حقيقى لتيار الحب الإلهي ..

إذا كان الله قد أحبني إلى هذا الحد من الحب أنه بذل ابنه الوحيد من أجلى فكيف لا أحبه إلى الحد أن ابذل حياتى بالتمام لأجله .

فى هذا يقول الرسول بولس " وهومات لأجل الجميع كى يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذى مات لأجلهم وقام " ( ٢كو ٥ : ١٥ ) .

وليس معنى انشغال المسيحى الشديد بحب الرب يسوع أنه يهمل الآخرين .. وليس معنى تكريس المؤمن حياته للمخلص أنه يترك العالم ، أو أن يهمل واجباته العائلية والاجتماعية والوطنية ..

إن الغيرة المسيحية الحقيقية عندما تملأ قلب المؤمن تجعله أميناً فى محبته لله وبالتالى أميناً فى محبته للناس ، ولا أظن أنه يوجد مواطن صالح بالمعنى الحقيقى مثل المؤمن الذى يحب الله من كل قلبه ، ولمحبة الله فاعلية فى حياته إلى الحد أنه يحب جميع الناس بلهيب الحب الإلهي الذى انسكب فى قلبه بالروح القدس .

فليس فى المسيحية ثنائية المجال بل ثنائية الإرادة بمعنى أن جميع مجالات الحياة التى يضع الرب يسوع المؤمن فيها تتقدس بحياة المسيح الذى فيه ..

فالوظيفة والمهنة والأسرة وكل شئ فى الوجود يصبح فى حياة المسيحى مجالاً مباركاً لتقديم الشهادة الحقة ليسوع المسيح الحى المقام من بيت الأموات .

فالرب يسوع عندما صلى عن تلاميذه للآب الصلاة الشفاعية الأخيرة قال : "لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير " . والكتاب الذى قال لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم ، قال أيضا هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية .

فمعنى كلمة العالم فى المفهوم الأول هو تيار الفساد الذى يسرى وروح الانحراف والتمرد ورغبة الذات فى التملك ، والظلمة التى تتمثل فى الفساد والخطيئة والشيطنة . أما العالم فى المفهوم الثانى فهو الخليقة ، والناس الذى خلقوا على صورة الله ومثاله .

ومعنى هذا أن الحماس بالنسبة للشباب المسيحى يمثل ضرورة نفسية كما يمثل ضرورة روحية .

فهو ضرورة نفسية لأنه علامة الحيوية والصحة والإيجابية والتفاؤل والإقدام .. وهو ضرورة روحية لأن أول خطوات الطريق المسيحى هو الاهتمام ، وهذا يقود إلى الحب ، والحب لهيب لا يعرف البرودة والموت .

## أنواع الغيرة والحماس

إذا كنا قد أكدنا أهمية الحماس والغيرة فى حياة الشباب إلا أنه من اللازم أن نوضح انه حسب أقوال الرب يسوع .

ليس كل نشاط أو غيرة أو حماس مقبولاً أمام الرب فهناك كثيرون سيقولون له فى يوم مجيئه باسمك تنبأنا ، وباسمك أخرجنا شياطين . فيقول لهم اذهبوا عنى يا ملاعين إني لا أعرفكم .

ولنفحص الآن أنواع الغيرة والحماس ، ولنفرق بين ما يميز الحماس البشرى الجسدى ، وما تتسم به الغيرة التى ليست حسب المعرفة ، وما يظهر الغيرة المقدسة التى تحرك لواعج الحب وتسكب رفقاً من الحمية المباركة فى قلب الإنسان .

## الحماس الذاتى

كان الفريسيون شديدى التحمس فى إتمام فرائض ديانتهم ، ومع هذا فقد كانت كافة عباداتهم غير مقبولة ..

ذلك لأنهم كانوا يطلبون مجد أنفسهم وليس مجد الله ، نحن نجد أن الجسد مستعد أن يبدى كل قبول وتأييد لكل شكل من أشكال الدين ليرضى الذات ، ولا يعطى المجد لله وحده .

ففى الجو الدينى كثير من الشباب يتحمس للأشخاص وبعض الرؤساء ليس لأنهم يحبون الحق الذى فيهم ولكنهم يحبونهم لأن ذاتيتهم متعلقة بهؤلاء تماماً ..

كيف يحب الطفل أمه لا لأنها شخص يحب فى ذاته ولكن لأن ذاته متعلقة بها تمام التعلق . وهناك آخرون يتحمسون لأعمال وأنشطة تفيدهم مادياً .

وهؤلاء يتاجرون بالدين ويتخذون منه مجالاً للاحتراف وقد شابهوا الذين استخدموا الهيكل سوقاً للتجارة يوم أن دخل رب المجد وصنع سوطاً وقال بيتى بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة للصوص .

وهناك آخرون يتحمسون لأداء الممارسات الدينية كنوع من الإشباع العاطفى أو قضاء لأوقات الفراغ .

ففى كثير من الجمعيات والهيئات الدينية تجد الحماس الذاتى غير موجه لمجد الله وخلاص الأنفس وبنيانها وإنما يتجه نحو أرصدة الجمعية وقرارات مجالس الإدارة والمنازعات الشخصية بين الكبار .

حتى أنه من الصعب عليك فى وسط هذا الجو الخانق والضباب القاتم أن تجد صورة المسيح واضحة أمام أذهان هؤلاء المتحمسين .

والـرب لا تهمـــه الأعمـــال فـــى حـــد ذاتهـــا بقدر ما يهمه القلب الذى يجب أن يفعـــل مشـــيئته ويـــنفذ إرادتـــه المـــباركة .. وقـــد قال أحد الآباء إن الله مزمع أن يدين العالم بكلمة كيف ..

- كيف أمارس نشاطى الدينى ؟
- كيف أتعامل مع الآخرين ؟
- كيف أنظر إلى الحياة ؟
- كيف أخدم ؟ كيف أعمل الامور الكبيرة والأمور الصغيرة ؟

إنـــنا لـــو دققـــنا فـــى الإجابة عن السؤال كيف فإن حياتنا الداخلية تصلح ، ودوافعنا تضبط ، ومشاعرنا وأهدافنا تستقيم .

إن المحـــارب الجســـدى يفكـــر فـــى نفســـه أكثر مما يفكر فى من جنده . أنه يؤثر كرامـــته وراحـــته وصـــيته وســـمعته عن راحة الخراف وطاعة الوصية فى أمانة وتقوى إن الـــذات عـــندما تلـــوث حمـــاس الإنســـان تفســـد شفافيته وطهارته ، وتصيبه بالارتباك والتشويش والضرر والقلق والسعى وراء مديح الآخرين .

ومـــن أفضـــل الأمـــثلة علـــى الجهـــاد الـــذى يرفض المجد الذاتى شخصية جدعون فى العهد القديم ..

ذاك الـــذى حـــارب حـــروب الـــرب بـــنجاح عظيم ، وبعد أن أنهى مهمته الجبارة رفض أن يملك على بيت إسرائيل لا هو ولا أهل بيته .

ولعـــل مـــا يمـــيز الحمـــاس الذاتـــى أنه يتأثر بظروف الزمان والمكان . فهو ينشط فـــى أجـــواء معيـــنة وينســـحب فـــى ظـــروف أخـــرى ، تـــبعاً لمحركات الذات وأهوائها وميولها ، أما رجل الله فهو يؤثر فى الظروف المحيطة به ولا يتأثر بها ..

يحكـــم علـــيها وهـــى لا تحكـــم فـــيه .. ومـــن أجمـــل الأمثلة على غلبة أولاد الله الحقيقيـــن لظـــروف الحـــياة ســـير آبائنا الشهداء القديسين الذين عاشوا فى حرارة الإيمان وجسارته بلا مانع ولا عائق فى أصعب ظروف الحياة الاجتماعية .

أننا نلاحظ أن شباباً كثيراً يخدم فى حقل التربية الكنسية فى فترة الدراسة الثانوية والجامعية ، ولكن جذوة حماسهم تخمد عندما يتوظفون ويتزوجون ..

وهذا أمر خطير لأن المفروض أن الإنسان الروحى يزداد حباً كلما ازداد مع الرب عشرة واختباراً ، ويزداد حماساً وغيرة كلما تعمقت عشرته وشركته .

## غيرة ليست حسب المعرفة

يتحدث الرسول يعقوب عن هذا النوع من الغيرة بقوله " من هو حكيم وعالم بينكم فليرِ أعماله بالتصرف الحسن فى وداعة الحكمة .

ولكن إن كان لكم غيرة مرة وتحزب فى قلوبكم فلا تفتخروا وتكذبوا على الحق . ليست هذه الحكمة نازلة من فوق بل هى أرضية نفسانية ، شيطانية .

لأنه حيث الغيرة والتحزب هناك التشويش وكل أمر ردئ ، وأما الحكمة التى من فوق فهى أولاً طاهرة ، ثم مسالمة مترفقة مذعنة مملوءة رحمة وأثماراً صالحة عديمة الريب والرياء " ( يع ٣ : ١٣ - ١٧ ) .

ومن هذا النص المقدس يمكننا أن نتبين أن الغيرة التى ليست حسب المعرفة هى التى تتميز بأن مصدرها النفسى أى الذات وبالتالى فهى شيطانية وليست إلهية ، ثم أنها تتميز بالتشويش ولا تتميز بالهدوء والترتيب والروح الوديع ..

ثم أنها تتميز بالمرارة بينما الغيرة الروحية تتميز بالحكمة والوداعة والتصرف الحسن .

والغيرة التى ليست حسب المعرفة هى غيرة التعصب والتحيز ، والتعصب بعمى القلب والبصيرة .

لنتذكر أن شاول الطرسوسى كان غيوراً ولكنه كان متعصباً فما الذى عمله فى تعصبه ؟ قتل الأبرياء وشتت القطيع الوديع وافترس الكنيسة التى فى أورشليم جماعة الحملان ، الذين لم يكن عليهم اتهام سوى أنهم يحبون ويعبدون يسوع الناصرى .

ولنتذكر أن التعصب قاد الكنيسة الغربية إلى إقامة محاكم التفتيش لمقاومة البروتستانتية حتى أن أحد الرهبان الذين قادوا حركة محاكم التفتيش فى أسبانيا قال عند احتضاره : اشكر الله إني قد أفنيت آلافاً من البروتستانت خدمة لكنيستى ..

هذا النوع من التدين المغلق وهذا النوع من العقلية المظلمة لا يمكن أن تكون مسيحية بالمعنى الصحيح لأن المسيح أحب أعداءه ورفض استخدام السيف دفاعاً عن نفسه ومات فدية عن العالم عندما تآمرت الكنيسة والعالم ضده ..

لنحترس إذاً من التعصب الدينى لأنه جرثومة تقتل الحياة الروحية كلها . ولنحترس من التحيزات التى تجعلنا نفقد رؤية الحق ، لأن العين عندما تتلوث بالتحيز لا تستطيع أن تشاهد الحق ..

ولكن هناك فارق كبير بين التعصب والتمسك ، فالشباب المسيحى الحقيقى متمسك بدينه وعقائده إلى حد أنه مستعد أن يموت لأجل الشهادة .. والشباب المسيحى الحقيقى جرئ وصريح وعنده فى فمه الإجابة الصادقة لكل من يسأله عن سبب الرجاء الذى فيه .

والشباب المسيحى الحقيقى لا يخاف أحداً لأنه يحيا فى النور والحق والحب ، وكيف يخاف من ويحيامثل هذه الحياة !! إن الجبن واللوم والمكر والخبث هى رذائل المتعصبين وهى آفات الجو الدينى عند الأقليات التى لا تعرف يسوع حّق المعرفة .

## الغيرة فى الإله

" من يعثر وأنا لا أعثر ، من يسقط وأنا لا ألتهب " الغيرة الإلهية قاسية كالهاوية لهيبها نار لظى الرب .. من يلمسه لهبها ولا يحترق غيرة على خلاصه وخلاص الآخرين ؟

فالحب الإلهى هو مصدر الغيرة الحقيقى وينبوعها الصافى ، إنه تلك النار التى تصفى الإنسان من عبادته لذاته ، وتنقيه من تحيزاته وتعصباته التى يميل إليها

جسده . هذا الالتهاب هو الوديعة التى استودعها المسيح لأرضنا " جئت لألقى ناراً على الأرض وما أريد إلا اضطرامها " . هذا الالتهاب الذى هو سر نزول ابن الله وتجسده ، وسر تحمله الآلام وصلبه لا يزال هو سر المسيحية ونقطة البداية الصحيحة للغيرة المقدسة ومصدر اشتعالها حتى النهاية أن يلقى الإنسان بنفسه فى مغامرة الى الحب الإلهي ويدع حبال المساحة تقع عليه فتكرسه وتشده إلى الرب بالتمام .

هذا منتهى مشيئة الله ومنتهى رجاء المسيح : أن تكون هناك شعلات نارية ملتهبة تضيء وجه الأرض المظلم وغيرة مقدسة تدفئ العالم المتجمد فى برودة الخطية .

فى العصر الرسولى كانت الكنيسة كلها حارة غيورة فالمؤمنون لما اضطهدوا لم يهدأوا بل تشتتوا كما يتطاير شرر النار وجالوا مبشرين بالكلمة ، والمؤمنون الذين عاشوا فى السراديب ظلت قلوبهم تتقد بحب مسيحهم مفضلين أن يعيشوا فى ظلام السراديب محتفظين بأمانتهم لمن أحبهم وأحبوه من أن يعيشوا بالتنعم بين الرؤساء والعظماء ناكرين حب الفادى الأمين .

ومن الفضائل المسيحية التى تلهب روح الغيرة فضيلة القداسة والعفة والطهارة . فكلما كان الجسد عفيفاً وكلما كانت الغرائز سامية ، وكلما كان الإنسان ملتهباً بروح العفة والقداسة .كان غيوراً على مجد الله وحريصاً على خلاص الآخرين ..

وفى العهد القديم قصة عن غيور امتلأ قلبه بروح القداسة . ذاك هو فينحاس بن العازار بن هرون الكاهن الذى امتدحه الرب بقوله لقد غار غيرتى فى وسط إسرائيل وبسببه لم أفن بنى إسرائيل .. هذا الجبار عندما رأى رجلا إسرائيلياً يقدم امرأة مديانية فاسدة عند باب خيمة الاجتماع قام من وسط الجماعة وأخذ رمحاً بيده

وطعن الرجل والمرأة فى بطنها ، فأمتنع الوبأ عن إسرائيل وكان الذين ماتوا بسبب خطيئة الزنا أربعة وعشرين ألفاً ( عدد ٢٥ : ٦ - ٩ ) .

إن الذى انسكب فى قلبه حب المسيح بالروح القدس إنسان غيور بلا شك . إنه لا يفتأ يصلى طالباً من الرب أن يعين ضعفه ، وطالباً أيضا أن ينفذ مشيئته الإلهية وحدها ، وهكذا يكون الغيور روحياً رجل إيمان وطاعة .

ومن علامات طاعته أنه لا يطلب نتائج من الطريق ، ولا ينتظر شيئاً لأنه تقابل مع الرب ونال من كانت تنتظره نفسه . ولذلك عندما يمتحنه الرب فى تجربة وألم فإنه لا يجزع ولا تفتر غيرته ، بل يعلم يقيناً أن الرب أدخله مدرسة الطاعة كما أدخل أباه إبراهيم من قبل ، ليخرج أكثر نضجاً وأعمق اختباراً ، ولا يندهش من هذا لأنه كتب عن رب المجد " أنه تعلم الطاعة مما تألم به" ( عب ٥ : ٨ ).

ويرتبط بعدم طلب النتائج نعمة الانتظار والصبر ، فرجل الله يعلم أن الرب لا يهمه الزمن ، ولكن يهمه فقط الدلالة الأبدية الموجودة فى الزمن ، فيوحنا المعمدان خدم بضعة أشهر ، والرب يسوع خدم نيفا وثلاث سنين . من أجل هذا فإن الغيور يتدرب بالنعمة كيف ينتظر وقت الرب .

ولطاقة الحب دور كبير فى الغيرة ، لأنها تمنحها المبادأة والإيجابية فى أصعب ظروف تحتم الانكماش والسلبية ، فالناس بطبيعتهم يفقدون حماسهم إذا فشلوا ، أو إذا ملوا وسئموا ، أو إذا كبروا فى السن وضعفت صحتهم . أما رجل الله فإن الحب يعطيه ناراً تزداد إلتهاباً ، ولا تقوى عليها سلبيات الحياة .

## نموذجات للغيرة المقدسة

فى العهد القديم نجد نموذجاً ممتازاً يؤكد الاتجاه الإيجابي فى الحياة ، وصمود الغيرة ضد تيارات السلبية الميتة ، **ذلك هو نحميا الغيور** .. هذا الرجل الذى حملته غيرة الرب أن يبنى أسوار أورشليم ولا يعود بعد عاراً ، ويحكى سفر نحميا الصعاب الشديدة التى قابلته .

وتحكى غيرة نحميا قصة لهيبها الذى أحرق عشب المعوقات من دسائس ويأس ومقاومة قاسية .

**لنتتبع خطوات هذا الغيور لنرى كيف غلبت غيرته الصعاب الكثيره :**

سمع نحميا بالأنباء السيئة عن أن سور أورشليم منهدم وأبوابها محروقة بالنار .. وكان يعيش فى قصر ارتحشستا الملك ومع هذا فقد كانت غيرته حارة فجلس وبكى وناح أياماً وصام وصلى أمام إله السماء ..

أن نحميا لم يكن مترفاً رغم أنه عاش فى قصر الملك . إن الترف يميت الغيرة لأن الغيور مستعد أن يبيع راحته كلها لأجل غيرته .

وعندما وقف نحميا أمام الملك لم يكن جباناً خائفاً ، وإنما أعلن للملك عن سر حزنه بكل جرأة وقوة ، والغيرة المقدسة لا تعرف الخوف وإنما يكمن فيها جسارة الإيمان .

وعندما حمل نحميا ما أعطاه الملك لكى يبنى السور ووصل إلى أورشليم . سمع سنبلط الحورونى وطوبيا العبد العمونى وجشم العربى فساءهم هذا مساءة عظيمة لأنه جاء رجل يطلب خيراً للمدينة فهزأوا به واحتقروه وقالوا ما هذا الأمر الذى أنتم عاملون ؟ أعلى الملك تتمردون .. أما الغيور فأجابهم بكل قوة وصلابة وعناد مقدس " إن إله السماء يعطينا النجاح ونحن عبيده نقوم ونبنى ، وأما أنتم فليس لكم نصيب ولا حق ولا ذكر فى أورشليم " ( نح ٢ : ٢٠ ) .

وعندما تكاتف الأعداء على نحميا الذى جاء إليهم يطلب خيراً ، ليرمم سور مدينتهم المنهارة ويرفع عنهم عارهم .. لم ييأس ولم يحزن بل ازدادته الظروف السيئة شجاعة وغيرة ، وتشددت معه أياد كثيرة للخير ، وقالوا له لنقم ولنبن ، واستطاع أن يقيم حراساً ضد الأعداء نهارا وليلاً .. وقسم نحميا رجاله : نصف يبنى ونصف يحارب ..

يصف نحميا الغيور حالته هذه بقوله " وقلت فى ذلك الوقت أيضا للشعب ليبت كل واحد مع غلامه فى وسط أورشليم ليكونوا لنا حراساً فى الليل وللعمل فى النهار ، ولم

أكـــن أنـــا ولا أخوتي ولا غلماني ولا الحراس الذين ورائي نخلع ثيابنا ، كان كل واحد يذهب بسلاحه إلى الماء " (نح ٤ : ٢٢ - ٢٣) .

وعـــندما علـــم نحمـــيا أن الأغنـــياء يســـتغلون فرصـــة الحـــرب ويقرضون النساء والبـــنات بالـــربا لـــم يخـــش ســـطوتهم بل صرخ فى وجوههم ووبخهم وقال لهم ردوا لهم هـــذا الـــيوم حقولهـــم وكـــرومهم وزيوتهـــم وبيوتهم والقمح والخمر والزيت الذى تأخذونه مـــنهم ربـــا . فقـــالوا نـــرد ولا نطلـــب مـــنهم . هكـــذا نفعل كما تقول . وهذا هو نموذج الغـــيرة المقدســـة الـــتى لا تجـــابى الوجـــوه ولا تخـــاف الناس . والتى لا تعرف اليأس ، ولا تكـــل أو تمـــل مـــن العمـــل والخدمـــة . والـــتى تســـتند علـــى الأذرع الإلهية وتنظم صفوفها وتحسب دائماً حساب النفقة .

والـــنموذج الثانى من العهد الجديد وهو **بولس الرسول** .. وتعتبر غيرة بولس نموذجاً رائعاً للشباب وقدوة صالحة لكل من يريد أن يحيا حياة الغيرة المقدسة .

ويكفيـــنا أن نعرض لبعض مواقف ومقتطفات " فى كل شئ نظهر أنفسنا كخدام الله فى صـــبر كثـــير فى شدائد فى ضرورات فى ضيقات فى ضربات فى سجون اضطرابات فى أتعـــاب فـــى أسهار فى أصوام ، فى طهارة فى علم فى أناة فى لطف فى الروح القدس فى محـــبة بلا رياء فى كلام الحق فى قوة الله بسلاح البر لليمين ولليسار . بمجد وهوان بصيت ردئ وصيت حسن " (٢كو ٦ : ٤ - ٨) .

**وفى موضع أخر تبرز غيرته فى قوله :**

" ومـــن ميليتس أرسل إلى أفسس واستدعى قسوس الكنيسة . فلما جاءوا إليه قال لهم أنـــتم تعلمون من أول يوم دخلت أسيا كيف كنت معكم كل الزمان . أخدم الرب بكل تواضع ودموع كثيرة وبتجارب أصابتني بمكايد اليهود . كيف لم أؤخر شيئا من الفوائد إلا وأخبرتكم وعلمتكم به جهراً وفى كل بيت . شاهداً لليهود واليونانيين بالتوبة إلى الله والإيمان الذى بربنا يسوع المسيح . والآن ها أنا اذهب إلى أورشليم مقيداً بالروح لا أعلم ماذا يصادفنى هناك . غـــير أن الـــروح القـــدس يشهد فى كل مدينة قائلاً إن وثقاً وشدائد تنتظرنى . ولكننى لست

أحتسب لشئ ولا نفسى ثمنية عندى حتى أتمم بفرح سعيى والخدمة التى أخذتها من الرب يسوع لأشهد ببشارة نعمة الله .. لذلك اسهروا متذكرين أنى ثلاث سنين ليلاً ونهاراً لم أفتر عن أن أنذر بدموع كل واحد .. فضة أو ذهب أو لباس أحد لم أشته . أنتم تعلمون أن حاجاتى وحاجات الذين معى خدمتها هاتان اليدان ... " ( ١ ع ٢٠ : ١٧ - ٣٤ ) .

هذه هى الغيرة المقدسة التى لا تطلب ما لنفسها ولكنها ذبيحة حية مقدسة مرضية ، ولهيب نار لا يطفأ ، ونار حب يضطرم دائماً ساعياً نحو خدمة اسم الله العظيم القدوس وبنيان النفوس .

# ولم يحبوا حياتهم

# وهم غلبوه

عندما اختطف يوحنا الرائى كى يعاين أورشليم السمائية انكشف له بالروح الحرب الذى فى السماء " ميخائيل وملائكته حاربوا التنين وملائكته وسمع صوتاً عظيماً قائلاً فى السماء " الآن صار خلاص إلهنا وقدرته وملكه وسلطان مسيحه لأنه قد طرح المشتكى على إخوتنا الذى كان يشتكى عليهم أمام إلهنا نهاراً وليلاً " .

لقد رأى يوحنا جماعة الغالبين وسمع من الملاك الصوت القائل "وهم غلبوه". من هم هؤلاء جماعة الغالبين ؟؟

إنهم جماعة الشهداء الذين باعوا حياتهم من أجل الإيمان واحتملوا صنوف العذابات لأجل تمسكهم بالرب يسوع .

إنهم جماعة المعترفين الذين حفظوا لنا وديعة الإيمان نقية طاهرة بلا عيب أو انحراف ولاقوا كثيراً من الأهوال لأجل ثباتهم على الإيمان الرسولى .

إنهم جماعة النساك والسواح ولباس الصليب الذين دعاهم التاريخ الشهداء بلا سفك دم .

إنهم جماعة المؤمنين الذين يعيشون الحياة العائلية ويمارسون وظائفهم الزمنية ولكنهم يتألمون يومياً من أجل شهادتهم للحق ورفضهم روح العالم .

ومن جيل إلى جيل يضم الرب إلى قافلة الغالبين كل الذين ثابروا على حياة الجهاد وانتظموا فى العبادة وحياة التقوى وأصروا على أن تكون على جباههم سمة الحمل رافضين بكل عناد مقدس سمة الوحش .

وهذه الجماعة الغالبة هى الكنيسة المقدسة تمتد جذورها الأولى إلى أزمنة العهد القديم إلى هابيل الذى قدم بالإيمان ذبيحة أفضل ، وإلى أخنوخ الذى أرضى الله ونقله الرب من أرض الشقاء ، وإلى نوح البار الذى بنى فلكاً لخلاص بيته فبه دان العالم وصار وارثاً للبر الذى حسب الإيمان ، وإلى إبراهيم أب الآباء الذى لما دعى أطاع أن يخرج إلى مكان لا يعلمه ، وتغرب فى أرض الموعد كأنها غريبة

ساكناً في خيام مع اسحق ويعقوب لأنه كان ينتظر المدينة التى لها الأساسات .. فى الإيمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد إذ سبق الله فنظر لنا شيئاً أفضل لكى لا يكملوا بدوننا ..

ثم جاء الرب يسوع وانجذبت إليه جماعة بسيطة فقيرة محتقرة من العالم ولكنها أحكم من فلاسفة العالم لأنها أخذت روح الحكمة والقداسة وعاشت بالإيمان وليس بالعيان وظلت هذه الخميرة المقدسة التى وضعت فى أكيال ثلاث من الدقيق تثمر وتعمل فى هدوء وقوة حتى فتتت المسكونة كلها ، وأضحى للرب فى كل جيل شهود أمناء ..

- ❖ غلبوا العالم وكل شهواته لأنهم أيقنوا أن كل شهوة العالم تزول .
- ❖ وغلبوا الشيطان وكل حيله ومكايده وطرقه لأنهم أخذوا الغالب فى قلوبهم وحملوا سمته المقدسة ورايته المظفرة .
- ❖ وغلبوا الذات لأنهم لما أرادوا أن يسيروا فى الطريق الضيق كان أول عهد وميثاق اتبعوه هو نكران الذات والكفر بها وجحدها وإهلاكها وصلب أهوائها وميولها وشهواتها ..

يقول أحد القديسين " أتعلموا لماذا غلب الشهداء الأسود التى تقدمت لافتراسهم ولم يخشوا بطشها ولم يفزعوا من زئيرها ؟! السر فى هذا أنهم غلبوا الضباع أى الغرائز المنحرفة والشهوات الردية ونجاسات الجسد والروح " .

سمعوا الرب يسوع يقول " اتبعنى " فقاموا وتركوا كل شئ وحسبوا كل ربح عندهم خسارة لأجل فضل معرفة ربنا يسوع المسيح .

وسمعوه يدعوهم إلى حياة القداسة فسهروا الليالى مصلين مدربين أنفسهم على الجهاد والتقوى .

وسمعوه طالباً منهم أن يرفضوا كل محبة تعطل محبتهم له فتركوا الأهل والأصدقاء والأوطان وعاشوا مكروبين معوزين والعالم لم يكن مستحقاً لهم ..

## غلبوه فى أجسادهم

فقد أدركوا أن العالم والشيطان يتحالفان لأجل أن يكون لهما نصيب فى جسد أولاد الله .. ولكنهم بالعفة والصوم والجهاد والصلاة حفظوا ثيابهم طاهرة وانطبق عليهم قول صاحب نشيد الأنشاد " أختى العروس جنة مغلقة عين مقفلة ينبوع مختوم ".

نذكر الشاب الذى قضم على لسانه بأسنانه وألقى فى وجه المرأة الفاسدة به مع سيل من الدماء صوناً وحفظاً لعفته وطهارة جسده وهو مربوط على شجرة مقيد اليدين والرجلين .

ونذكر بربتوا العفيفة التى حرصت على أن تغطى جسدها بردائها الممزق أثناء افتراس الثور الهائج لهيكلها المقدس .

ونذكر تيودوره الطاهرة التى خاطر ديديموس لإنقاذها عندما علم بنية الحاكم أن يفسد طهارة جسدها ونال إكليل الشهادة من أجل إنقاذها .

ونذكر مئات وألوف من الشباب الطاهر الذى يحيا فى كل عصر وجيل متمسكاً بوصية العفة وقداسة الأعضاء مهما كلفته الوصية من جهد وعناء .

## وغلبوه فى إغراءاته وتهديداته

لم ينتصروا فى ميدان الجسد فحسب بل غلبوا فى المجال النفسى أيضاً ، فلم تستطيع التهديدات والإهانات وكافة الضغوط العاطفية والنفسية سواء بالتهديد أو الوعيد أن تنال من آبائنا الشهداء القديسين شيئاً .

لنذكر القديس جاورجيوس الذى حاول دقلديانوس أن يغريه بأعلى المناصب ثم أن يثنيه بأقسى العذابات ولكن هذه وتلك لم يكن لها أدنى تأثير فى جهاده .

ولنذكر القديسة بربارة التى جلدت بقسوة شديدة وألقيت فى سجن مظلم ومشطت بأمشاط حديدية فظيعة وقطفت ثدييها ثم عريت من ثيابها ليسحل جسدها فى شوارع المدينة وأخذت تصلى إلى الله أن يغطى جسدها حتى لا يعثر أحد فسمع الله طلبتها وسربلها بثوب نورانى وأخيراً أمر الحاكم بقطع رأسها .

ولـنذكر القديـس أغناطـيوس أسـقف أنطاكـية الذى كان مصمماً على تقديم حياته للاستشـهاد رافضـاً كـل فرصـة للهـروب .. كتـب إلـى أهل روما يقول لهم " إن كل مسـرات العـالم وجمـيع ممـالك الأرض لا تنفعـنى شـيئاً فخير لى أن أموت من أجل يسـوع المسـيح عـن أن أملـك كل ممالك الأرض .. سامحونى أيها الأخوة . لا تعقونى عـن الحـياة .. لا تسـلمونى إلـى العـالم .. محبتى للعالم قد صلبت فلا تضطرم فى نار محـبة شـئ مـا بـل يحـيا فـى داخلـى ماء حى يتحدث فى من الداخل قائلاً تعال إلى الآب " !! .

## وغلبوه فى عداوته

لقـد كـان أعظـم مجـال لانتصـارات آبائـنا الشهداء هى انتصارهم على عداوة الحكـام والـولاة والذيـن تفنـنوا فـى تعذيبهم ، ففى الوقت التى كانت الكنيسة تنهش من الذئـاب كـان الحمـلان فـى السـراديب المختفـية تحـت الأرض يصلون من أجل هذه الذئاب لكى الرب الإله يغيرها ويجددها ويعلن لها شخصه المحبوب المبارك .

فـالقديس اسـتفانوس كـان يصـلى من أجل راجميه لكى الرب الإله لا يقيم عليهم خطية بسببه .

والقديسـة بـربارة كانـت تصـلى من أجل أبيها القاسى الذى اشترك مع الوالى فى تعرية جسدها وتعذيبها ثم قطع رأسها ..

والقديـس العظـيم مارجـرجس وقـف للصـلاة مـن أجـل المـرأة الفاسدة التى أدخلوها عليه لكى تفسد عفته فى سجنه .

والقديـس فيلـياس أسـقف تمـى مـد ذراعـيه علـى شـكل صليب وصلى لأجل تلامـيذه ولأجـل الأباطـرة والحكـام وهـم يقطعـون رأسـه الطاهرة وكان يقول لقاتليه " أقدم لكم الشكر لأنكم ستجعلوننى وراثاً لملكوت السموات " .

وقـد أورد لـنا يوسـابيوس المـؤرخ قصـة شـهيد فى قيصرية يدعى بولس ،هذا طلـب مهلـة وجـيزة بيـنما كـان الجـلاد على وشك قطع رأسه . ثم رفع صوته مصليا

من أجل زملائه السيحيين ومن أجل اهتداء اليهود والأمم الذين يعيشون فى الضلال ومن أجل الجماهير الواقفة حوله وتوسل من أجل القاضى الذى حكم عليه بالموت ومن أجل الحكام . وكذا من أجل الشخص الذى كان مزمعاً أن يقطع رأسه طالباً أن لا تحسب عليهم خطيتهم من نحوه .

والقديسان قزمان ودميان صليا لأجل الوالى الذى اعتراه روح نجس بسبب تعذيبه للشهداء فشفى للوقت لم يتطرق إليهم أدنى تعصب أو تكتل أو فكر طائفى أو ميل ونزوع نحو المقاومة .

بل عاشوا حملاناً وأصروا على أن يظلوا حملاناً لأنهم أيقنوا أن فاديهم ومخلصهم وراعيهم إنما هو راعى حملان وليس راعى ذئاب .

## بدم الخروف

فى القديم كان دم خروف الفصح هو واسطة النجاة والخلاص إذ يقول الكتاب "ويكون لكم الدم علامة على البيوت التى أنتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم " (خر ١٢ : ١٣ ) .

ولقد كان دم الخروف الذى تلطخت به القائمتان والعتبة العليا رمزاً لدم الحمل الكريم الذى بلا عيب الذى عندما تلطخت به شفاهنا وأجوافنا لا يستطيع المهلك أن يكون له نصيب فى هياكلنا .

فقد قرأنا فى سير الشهداء أن شعب إسنا كله عندما علم بأوامر دقلديانوس اجتمع مع أسقفه فى دير الأنبا اسحق بالجبل وتناولوا من الأسرار الإلهية استعداداً لمعركة الاستشهاد .

وما ذكر عن مذبحة إسنا سرد فى أماكن كثيرة حدثت فيها اضطهادات جماعية وفردية ..

فدم يسوع المسيح هو الذى أعطى للشهادة قوة وجسارة عجيبة لا يزال العالم منذهلا من قوتها وفاعليتها .

يقول الشهيد كبريانوس عن هذه الشجاعة التى بعمل النعمة " لقد كان المعذبون أعظم شجاعة من الذين يعذبونهم إذ غلبت الأعضاء المضروبة والممزقة الآلات التى ضربتها ومزقتها ".

لقد كانت الأسواط تكرر الجلدات بكل قوتها ولكنها لم تقدر أن تهزم الإيمان غير المنظور ، ولقد كان الدم يتدفق ليطفئ لهيب الاضطهاد ويبطل نيران جهنم ، على أنه يلزم الإشارة إلى أن هذه القوة وهذه الجسارة لم تكن اندفاعاً هوجائياً أو تهوراً نزقاً ولكنه كان ثباتاً عجيباً وثقة أكيدة فى مواعيد الله الأمينة .

كان الدم المسفوك ليسوع المسيح يعطى للشهداء القدرة على سفك دمائهم . وكان الخبز المكسور لأجل خلاص العالم يهبهم نعمة وقوة وغلبة على كل تيارات العالم الشريرة .

يذكر عن الكتيبة الطيبية المصرية التى طلبت الإمبراطور مكسيميانوس منها أن تبخر للأوثان قبل الذهاب لساحة الوغى أنها كانت صامدة راسخة أمامه مثل جبل صهيون لا تتزعزع وأخذ يذبح عشر الكتيبة ظناً منه أنه بذلك يخيف الباقين ولكن أمراً مباركاً سجله التاريخ أن الكتيبة كلها استشهدت على يد الطاغية ولم ترتد نفس واحدة لتنكر إيمانها بالمسيح .

ويحكى عن الأنبا بفنوتى أسقف طيبة أن الوالى أمر بقلع عينه وبتر ساقه وأن يرمى فى السجن ليقطع الأحجار بينما الجنود يلهبون ظهره وظهور المؤمنين معه بالسياط أما هو فكان يقف بين المعترفين يشددهم ويعظهم ويحدثهم عن ملكوت السموات .

## وبكلمة شهادتهم

الكلمة فى المسيحية أقنوم ، شخص ، حياة وليس مجرد كلام يضيع فى الهواء " الكلام الذى أنا أكلمكم به هو روح وحياة " ، فالله ليس عنده كلام بل عنده الكلمة الذى فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس ..

والمسيحى عندما يتحد بالرب يسوع تصير شهادته فعالة بسبب قوة الحياة التى فيه ..

وفى سير الشهداء نجد أن حياتهم كانت أقوى شهادة للإيمان المسيحى .. لقد برهن الشهداء على أن إنجيل المسيح واقع معاش وليس نظريات ومبادئ وخلقيات ..

ولقد أثبت الشهداء بوداعتهم أن المسيح الوديع المتواضع القلب لا يزال يحيا فى كنيسته ، وأكدوا بمحبتهم لأعدائهم أنهم يسيرون على نفس الدرب الذى سار عليه مخلصهم عندما كان يصلى على الصليب لأجل صالبيه ..

وأثبتوا بعفتهم وطهارتهم أن القداسة فضيلة واقعية طالما يحيا الإنسان فى المسيح ويكون له روح المسيح ..

ولقد كانت شهادتهم ذات تأثير وفاعلية جبارة فى المحيط الذى يعيشون فيه حتى أن العلامة ترتليانوس قال " إن دماء الشهداء بذار الكنيسة وتحقق القول الإلهى فى العهد القديم "بحسبما أذلوهم هكذا نموا وامتدوا " ( خر ١ : ١٢ ) .

وقد سبق أن أشار الرب إلى أهمية موت المؤمن لأجل الإنجيل حتى ينتشر عندما قال " إن لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت فهى تبقى وحدها ولكن إن ماتت تأتى بثمر كثير" ( يو ١٢ : ٢٤ ) .

كانت شهادتهم شهادة جريئة حارة ، وسر أعماق هذه الجرأة ذلك الاختبار الحى الذى كان لهم وحياة الشركة المقدسة التى تمتعوا بها من خلال مخدع الصلاة ودراسة كلمة الله والمثابرة على التناول من الأسرار المقدسة ..

وكانت الكنيسة آنذاك تسند شهادة أبناءها بالمناخ الطاهر والجو المقدس والشركة الروحانية التى سادت حياة أعضائها فلم يكن فى الكنيسة متكبر أو سارق أو زانى أو محب للفضة ولكنها كانت كنيسة طاهرة كالشمس جميلة كالقمر مرهبة كجيش ذى ألوية ..

وعندما نقارن شهادة جيلنا المعاصر بشهادة آبائنا الشهداء نلمس الفارق الجذرى .. فجيلنا تكثر فيه العظات والمؤتمرات والكتابات بينما يندر المكرسون والمفتقرون لأجل الإنجيل والعاكفون على الصلاة والتسبيح والزاهدون فى غرور متاع هذا العالم الفانى .

كلمة الشهادة الحية هى سيرة كل مؤمن استطاع أن يقول مع بولس حسبت كل شئ نفاية وخسارة لأجل فضل معرفة ربنا يسوع المسيح .. والذى يقول معه أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىّ ..

ونحن لا نطلب اليوم لكى نقدم شهادتنا عن المسيح ثم نلقى للأسود المفترسة ولكننا نطلب لنقدم شهادتنا عن مدى تمسكنا بالحق والحب والوداعة والعفة والطاعة والتجرد فى وسط جيل ملتو معوج يحترم الغطرسة والتسلط ويقدس المادة والترف ويلهث وراء الدنس وشهوات الجسد ..

## ولم يحبوا حياتهم حتى الموت

لم يقصد الكتاب المقدس بكلمة لم يحبوا حياتهم أن آبائنا القديسين الشهداء كانوا متبرمين ساخطين كارهين حياتهم الأرضية إن الرأى الذى يقوله أحد الفلاسفة الملحدين بأن المسيحية شحنة من التشاؤم رأى خاطئ لأن الذين قدموا أنفسهم للاستشهاد كانوا على أعلى مستوى من السعادة والسلام والفرح والنجاح .

فعلى المستوى المادى كان فيهم الأمراء والنبلاء وكبار الضباط وكان منهم الأساقفة والفلاسفة والعلماء وأمثال هؤلاء لا نتوقع أن يكونوا فى ضيقات أو محن .

وعلى المستوى النفسى كان آباؤنا الشهداء يتقدمون بمحض رغبتهم للشهادة فقد توفر للكثيرين فرص الهرب والابتعاد ولكنهم كانوا يجدون متعة وشهوة فى الإسراع نحو نيل الأكاليل المقدسة المُعدة للمجاهدين .

وعلى الصعيد الروحى قد كان هؤلاء الشهداء قديسين بالفعل .. ماتوا فى حياتهم عن كل شهوات العالم قبل أن يموتوا فى ساحة الاستشهاد .. والمؤمن الذى

قضى على كل الأهواء والرغبات والشهوات قد قضى على كل مصادر الإنزعاج والقلق والحزن الردئ والخوف والتشاؤم .

لقد سجل لنا تاريخ الشهداء حالة الفرح والتهليل التى تمتع بها كل شهيد قبل وأثناء شهادته .. بل أن السماء نفسها شاركت الشهداء فرحهم وسلامهم وهدوءهم واستقرارهم فكشفت للكثيرين عن الأمجاد التى تنتظرهم والأكاليل المُعدة لهم .

والمسيحى الحقيقى يحب العالم كما أحب الآب العالم وبذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له حياة أبدية .. يحب الجميع .. يحب الخليقة كلها.. يحب الطبيعة ويتمتع بكل خيرات الأرض ويشكر على كل نعم الحياة فى قناعة ومسرة داخلية .

ولكن المؤمن الحقيقى لا يحب العالم بمعنى أنه يرفض تيار الإثم السائد فيه ويجحد روح العالم أى روح التمرد والاستقلال عن الله ، روح الأنانية والتملك والانحراف الشهوانى الردئ .

أما آباؤنا الشهداء فإن حياتهم ينطبق عليها قول الرسول بولس " لكن كان لنا فى أنفسنا حكم الموت لكى لا نكون متكلين على أنفسنا بل على الله الذى يقيم الأموات " ( ٢كو ١ : ٩ ) .

ولكى يتحقق فيهم هذا النوع من الحياة قطعوا كل أربطة مادية ونفسية حتى يحق فيهم القول " كمائتين وها نحن نحيا ، كمؤدبين ونحن غير مقتولين ، كحزانى ونحن دائماً فرحون ، كفقراء ونحن نغنى كثيرين . كأن لا شئ لنا ونحن نملك كل شئ " ( ٢كو٦ : ٩ ــ ١٠ ) .

## ضحوا بحياتهم الجسدية

لأجل هذا ضحوا بالأموال والمقتنيات وكانوا يبيعونها ويقسمونها بين الجميع كما يكون لكل واحد احتياج " ولم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له بل كان عندهم كل شئ مشتركاً .. إذلم يكن فيهم أحد محتاجاً لأن كل الذين كانوا أصحاب

حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند أرجل الرسل" ( أع ٣ ، ٣٤، ٣٥ ).

لقد كان آباؤنا الشهداء يتشبهون فى حياتهم المادية بحياة الرب يسوع الذى لم يكن له أين يسند رأسه .. وسيرتهم تشهد بسماع وصية الرب التى وجهها للشاب الغنى " اذهب وبع املاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى " ( متى ١٩ : ٢١ ) ، ولأجل هذا عاشوا فرحين .

## ضحوا بحياتهم العاطفية

قال الرب يسوع " ليس أحداً ترك بيتاً أو والدين أو أخوة أو امرأة أو أولاداً من أجل ملكوت الله إلا ويأخذ فى هذا الزمان أضعافاً كثيرة وفى الدهر الآتى الحياة الأبدية " ( لو ١٨ : ٢٩ ) .

وقد نفذ الشهداء هذه الوصية أعظم تنفيذ فلم يتأثروا بالعلاقات العائلية ولا بالأربطة العاطفية ولكنهم عاشوا مرتبطين بالحق وحده .. هو الذى يغذيهم وهو الذى يقدسهم وهو الذى يحررهم .

**ولنعط أمثلة على هذه التضحيات البالغة :**

القديسة دميانة تكتب لوالدها خطاباً شديد اللهجة تخبره فيها أنها كانت تود أن تسمع نبأ وفاته عن أن تسمع أنه بخر للأوثان وأخذت تعظه بحرارة الى إن عاد للإيمان .

والقديسة بربارة لم يهمها أن والدها قد اشترك مع الوالى فى تعذيبها وتعرية جسدها الطاهر بل وقفت فى ساحة الاستشهاد تصلى من أجلهما لكى يعلن الرب لهما نور الإيمان .

والقديسة دولاجى لما سمعت أن أريانوس والى أنصنا قد وصل إلى مدينتها إسنا وقبض على أطفالها الأربعة الصغار الأبطال الذين أصروا على الإيمان المسيحى تجاوزت مشاعر أمومتها ووقفت تشجعهم على نيل إكليل الاستشهاد وقبلت

فى فرح أن يذبح أولادها على ركبتها الواحد تلو الآخر وهى تقدم تسبحة الشكر والحمد لله ، ثم أخيراً تقدمت للاستشهاد بعد أن اطمأنت على حملانها الصغار أنهم صاروا فى معية المسيح .

ويحكى لنا السنكسار سيرة بطولة الأم صوفية التى كان لها بنات ثلاثة ورحلت معهن إلى رومية بعد أن نالت نعمة العماد وهناك شرعت تبشر الوثنيين وما أن علم الإمبراطور حتى استدعى الأم مع بناتها وأمام الإمبراطور هدريان أظهرن جميعاً ثباتاً رائعاً فأمر بقطع رقبة الفتيات الصغيرات أمام أمهن حتى تنهار ، ولكنها رافقت أجساد بناتها إلى الدفن فى ثبات عجيب ثم ألقت بنفسها فوقهن وأسلمت روحها فى يد الرب ..

ويذكر لنا كتاب الاستشهاد فى المسيحية عن السنكسار قصة بطولية فيها تجاوز لكل العواطف البشرية . فقد أمر والى طرسوس إحدى الأمهات المسيحيات أن تتجرد من ثيابها وتجلد بأعصاب البقر بلا شفقة وكان طفلها الصغير قرياقص متمسكاً بأمه لا يحول نظره عنها ، فحاول الوالى استرضاءه وملاطفته ولكنه صرخ بكلمات واضحة مسموعة من الجميع " أنا مسيحى " فامتلأ الوالى غيظاً وأمسكه من قدميه وطرحه بشدة على الأرض من كرسيه المرتفع فارتطم رأسه بالأرض وتهشم وفاضت روحه وإذ رأت الأم أن طفلها قد سبقها إلى المجد شكرت الرب أما الوالى فأعاد تعذيبها بأنواع مختلفة وأخيراً قطعوا رأسها ونالت إكليل الشهادة .

ولقد كانت تضحياتهم المادية والنفسية والعاطفية تضحيات غالية ولكنها أيضاً كانت تضحيات مستمرة إذ تقول الآية ولم يحبوا حياتهم حتى الموت ..

كانت لديهم مثابرة على احتمال الألم حتى الموت . فالقديس جاورجيوس استعمل معه الإمبراطور سلسلة طويلة من العذابات فتارة يطرحه فى حوض مملوء من الجير الحى ليحترق ويمكث مطموراً فيه ثلاثة أيام ، وتارة يضع رجليه فى المقطرة ، وتارة يضعه فى الهنبازين حتى تمزق لحمه ، وتارة يجلده بأعصاب البقر

بكل قسوة حتى سال دمه على الأرض ، وأخيراً حكم عليه بقطع رأسه بالسيف ونال إكليل الشهادة .

وقد أورد لنا كتاب الاستشهاد فى المسيحية محاكمات الشهداء وأحاديثهم الخالدة وكافة صنوف العذابات التى لاقوها .

ولنذكر مقتطفات من **محاكمة بقطر الجندى** التى تعطى دليلاً على المثابرة فى احتمال الألم حتى الموت :

إن الآلام التى سأتحملها لن تميتنى بل تهب لى الحياة الأبدية .. شكراً لسيدى يسوع الذى أعطانى نعمة الاحتمال .

وفى أتون النار يعلو صوت ترتيله وبعد ثلاثة أيام قام بقطر من وسط الأتون ليمجد الله على عظيم صنيعه معه .

ثم قدم له سم ليتناوله فرسم عليه علامة الصليب وتناوله فى ثقة كاملة أن الرب لن يسمح له بأية أذية .

ولما قلعوا عينيه قال لهم بقطر أتظن أيها الوالى أنك بأعمالك البربرية ووحشيتك تخضع إرادتى وتهزم عزيمتى ؟ كلا فإنك باقتلاعك عينى الجسديتين ضاعفت حدة بصرى الروحى .

إنك تستطيع أيها الوالى أن تنزع جلدى ولكنك لا تستطيع أن تصل إلى انتزاع رداء روحى إذ هو مصنوع من نسيج الإيمان والحب ثم استغرق الشهيد فى صلاة حارة خلال هذه العملية الرهيبة قائلاً " إلهى يسوع هلم لمعونتى وخذنى معك . لا تتركنى ولا تطرحنى عن وجهك .

ارحمنى ياسيدى وأعنى فى هذا العذاب لكى لا أضعف أمام هذا الوالى . إنك تعلم أنه من أجل حبى لك أحتملت كل هذه الآلام ..

انظروا أيها الأحباء كم احتمل آباؤنا القديسون من أجل الإيمان .. وتفكروا يا أخوة فى كم قاسى أجدادنا الشهداء الأبطال من أجل الحفاظ على الوديعة الغالية .

ولنحزن نحن على نفوسنا وحياتنا التى فيها ننكر مسيحنا أمام إغراءات تافهة ودوافع غير طاهرة ولننهض سريعاً ونطلب من إله آبائنا أن يهبنا روح الشهادة ، روح القوة ، روح القداسة ، روح الجسارة فى إعلان الحق متمسكين به إلى النفس الأخير متذكرين مواعيد الرب الأمينة أن من يغلب فسيعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التى فى وسط فردوس الله وسيجعله عموداً فى هيكل إلهه ويجلسه معه فى عرشه كما غلب هو وجلس مع أبيه وهو يكون لنا إلهاً ونحن جميعاً نكون له شعباً آمين .

## مقتطفات من أقوال الآباء عن موقفنا إزاء الاستشهاد[1]

قد يقول قائل " إنه ليس وقت الاستشهاد فماذا أفعل ؟ " ، هل تظن أن الصلب على خشبة فقط هو الذى يوجد الشهيد ؟! فلو كان الأمر هكذا لحرم أيوب من إكليله لأنه لم يقف أمام محاكمة ولا مضطهد ولا علق على شجرة .. ولكنه تألم أكثر من شهداء كثيرين .

لقد قاسى آلاماً من كل جانب من جهة ممتلكاته وأولاده وشخصه وبواسطة زوجته وأصدقائه وأعدائه حتى خدامه استهزأوا به ، تحمل الجوع والهزء والآلام والمضايقات . لأجل هذا أقول إن أيوب شهيد .

هذا وهو لا يماثل شهيد أو اثنين أو ثلاثة بل ألف شهيد خاصة وأن العصر الذى عاش فيه يكرمه بالأكثر لأنه لم يعاصر الناموس ولا عهد النعمة (يوحنا ذهبى الفم ) .

هل تظن أن تقطيع الأعضاء والحرق وحدهما هما استشهاد ؟! بل تعب النسك واحتمال الآلام التى من الشيطان والأمراض ، من يحتملها بشكر فذلك هو الشهيد . وإلا فما حاجة الرسول أن يكتب " من أجلك نمات كل النهار " فإن لم يكن يموت فى الظاهر فإنه يحتمل ما يأتى عليه بصبر ( الانبا باخوميوس ) .

---

١ القيم الروحية للنيروز " القس تادرس يعقوب ص ٨ ، ٩ "

الله الديان يتوج خدامه الذين أعدت أفكارهم للاعتراف والاستشهاد فهو لا يرغب في دمنا بل يطلب إيماننا ، فليس إبراهيم ولا اسحق ولا يعقوب استشهد أحد منهم ، ومع ذلك لهم كرامة إذ استحقوا أن يكونوا الأوائل بين البطاركة ( الانبا كبريانوس أسقف قرطاجنة ) .

**مراجع هامة نافعة تضاف إلى السنكسار :**

+ الاستشهاد في المسيحية : المتنيح الانبا يؤانس
+ القيم الروحية لعيد النيروز : القس تادرس يعقوب
+ قصة الكنيسة القبطية جزء أول : الأستاذة إيريس المصرى
+ حضارة مصر في العصر القبطى : الدكتور مراد كامل
+ شهداء الأقباط في عصر الرومان : الأستاذ حلمى أرمانيوس

# إرادة الله وحياتنا

# إرادة الله وحياتنا

## قضية الإرادة مسيحياً

فى هذا المقال نعالج قضية إنسانية هامة ، هى مدى علاقة إرادة الإنسان بإرادة الله .

ونود أن نركز على الجانب الكيانى والروحى من واقع عملى . تاركين الجوانب الفلسفية والصراعات الفكرية اللاهوتية فى هذا المجال .

### الإرادة كيانياً

الله خلق الإنسان كائناً فريداً .. ومن ثم فالإرادة مرتبطة صميمياً بحريته ، التى هى صورة الله فى أعماقه . وإرادته خيرة طالما هى خاضعة لمشيئة الله ، وهى ساقطة عندما تبتعد بحريتها عن المجال الإلهى .

لم تكن فى الإنسان ثنائية إرادية ، ولكن السقوط فى التجربة ، أنتج فى الإنسان هذه الثنائية المريرة .

والرسول بولس عندما عبر عن هذه الثنائية ، فى رسالته إلى رومية . لم يتحدث عن ثنائية كيان فى الإنسان . وإنما التمزع والتضارب والتناقض كان فى الكيان الواحد كله . أى أنه عندما يضع الجسد ضد الروح ، فى ثنائيته الشهيرة (الجسد ضد الروح) ، إنما يعنى الإرادة الهابطة والإرادة السامية وأما البدن والنفس والروح ، أى الكيان الإنسانى كله ، فهو الذى يعانى بصمات السقوط ونتائج العصيان .. فالجموح الذى أصاب الإنسان ، أصابه فى جسده ونفسه وفكره جميعاً . ولكن الصورة الإلهية لم تنمح نهائياً من الإنسان .

يقول فى هذا معلمنا بولس " فأنى أعلم أنه ليس ساكن فىَّ ، أى فى جسدى ، شئ صالح . لأن الإرادة حاضرة عندى ، وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد ، لأنى لست أفعل الصالح الذى أريده بل الشر الذى لست أريده فاياه أفعل . فإن كنت ما لست أريده إياه أفعل ، فلست بعد أفعله أنا ، بل الخطية الساكنة فى ولكنى أرى

ناموساً آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى ويسبينى إلى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى ، ويحى أنا الإنسان الشقى من ينقذنى من جسد هذا الموت " (رو ٧ : ١٨ ــ ٢٤) .

لما وجد الله أن الإنسان لم يثبت فى الحرية الحقيقية ، وانكسرت قوة إرادته التى كانت تستمد فاعليتها من طاعة البر .. نزل بنفسه إلى عالمنا ، وأخذ ما لنا وأعطانا ما له .

ووهبنا من خلال حياة الشركة المقدسة معه ، طبيعة جديدة وحياة جديدة وإرادة جديدة .

ترك الرب إرادة الإنسان حريتها : " أتريد أن تبرأ ؟ " .. " هأنذا واقف على الباب وأقرع إن سمع أحد صوتى وفتح الباب أدخل إليه " .. " كم مرة أردت .. ولم تريدوا " .

ودعم إرادة الإنسان بوسائط الخلاص : " تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل " .. " أستطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى " .. " شكراً لله الذى يقودنا فى موكب نصرته فى المسيح كل حين " .

دعانا أن نطلب العمل بمشيئته نطلب فى الصلاة الربية أن تسود مشيئته علينا بملء حرية إرادتنا ، كما هى سائدة فى السماء .

على ذلك كل من يلتصق بالرب تتدعم إرادته الروحية ، وتتلاشى تدريجياً الثنائية التى يعانى منها .

حتى يصبح فعل الخير شبه طبيعة سائدة فى حياة أولاد الله (رو ٦ : ٢٢) .

على أن حفظ الإرادة من الهبوط يحتاج إلى جهاد مرير ، ومعاناة وصلب للأهواء ويقظة لحروب الجسد وفخاخ العدو .

الأمـــر يحـــتاج إلـــى اســـتماتة فى حفظ الوصية .. يقول الكتاب المقدس وأما دانيال فقد وضع فى قلبه ألا يتنجس بأطايب الملك وخمر مشروبه .

وســـير الشـــهداء تريـــنا التصـــميم المقـــدس الحـــازم فـــى حفظ الوصية ، ضد كل تهديـــد وإغـــراء، وعـــندما أراد فـــرعون أن يـــتفاوض مع موسى فى قضية إخراج شعب الله من نير العبودية قال له موسى " لا يبقى ظلف " .

" مـــن سيفصـــلنا عـــن محـــبة المســـيح ، أشـــدة أم ضيق . أم إضطهاد أم جوع أم عـــرى أم خطـــر أم ســـيف .. فـــى هـــذه جمـــيعها يعظـــم انتصـــارنا بـــالذى أحبـــنا " (رو ٨ : ٣٥ ــ ٣٧ ).

## كيف أعرف مشيئة الله ؟

هـــناك أمـــور يســـتطيع المؤمـــن العادى أن يتعرف على مشيئة الله فيها بوضوح . فعـــندما يقـــف فـــى مفـــارق طـــرق ، بعضها نيرٌ روحانى ، والبعض الآخر يتسم بأعمال الظلمـــة ، فإنـــه ســـرعان مـــا يـــدرك الفارق بين ما هو حق وجليل وصيته حسن ، وبين مـــا هـــو مـــن أعمـــال إبلـــيس وحـــيله الرديئة . فاللون الأسود واضح ، واللون الأبيض واضح جداً ، وأولاد الله ظاهرون وأولاد إبليس ظاهرون أيضا .

ولكـــن هـــناك مواقـــف أخـــرى لا تكـــون بهـــذا الشكل . فإما أن تكون كلها طاهرة ونـــيّرة ومطلـــوب مـــن المؤمـــن أن يحدد موقفا واحدا من هذه كلها أو أن يكون العدو قد غـــيّر شـــكله ، وأخـــذ شـــكل مـــلاك ، وألـــبس موقفه شكلاً مزيفاً ، يصعب أحياناً تحديد الفارق بينه وبين مشيئة الله الطاهرة المقدسة .

ولكـــى نعـــرف إرادة الله فـــى حياتـــنا ، لابـــد أن نفهـــم ولو القليل فى طبيعة الله ، كما تعلنه المسيحية لنا .

الله فـــى اللاهـــوت المســـيحى هـــو وحـــدة ثلاثـــة أقانـــيم .. إنه واحد .. إنه وحدة الحـــب ، فجوهـــر الله كمـــا يعلـــن الكتاب المقدس المحبة .. المحبة منذ الأزل وإلى الأبد.

وهذه المحبة هى فى الحق هو الحق .. وهو الحياة الحقيقية ، والحياة هى نور الخليقة كلها . فالله إذاً وحدة حب وحق وحياة ونور وفرح لا ينطق به ومجيد .

**والإنسان**

ومن هذا المنطلق ، يمكننا أن نفهم انعكاس هذه الطبيعة الممجدة على مقاصد الله من الإنسان .

فالإنسان خلق على صورة الله ومثاله فى الحرية والإرادة والنطق والقدرة على الإبداع ، إنه مدعو أن يحقق كيانه ، من خلال تحقيق إرادة الله فيه .

إلله يريد له الوحدة ، ولا يقبل له التمزع ، إنه يريد له الحياة ، ولكن الموت دخل إلى البشرية بحسد إبليس .

وهو يدعوه إلى الفرح ، وأما الحزن فهو أحد ثمار الخطيئة والعصيان . فيوم أن يسعى الإنسان إلى تنفيذ مقاصد الله نحوه ، فإنه يحقق متطلباً كيانياً ، ويستجيب إلى نداء إنسان داخلى .

والإنسان خلق سيداً على الخليقة المادية كلها . ودعى إلى أن يسوع على الأرض والكائنات أجمعها ، فهو كاهن الخليقة وشفيعها أمام الله .

يجمع فى طبيعته العالم الأرضى والعالم السمائى . إنه يحتضن الخليقة كلها فى كيانه ، ويقدم التسبيح والشكر لله نيابة عنها . فيوم أن ينفذ الإنسان إرادة الله فيه ، فإنه يحقق الدور الذى من أجله خلق على الأرض رئيساً وسيداً .

وإرادة الله كما يعلنها لنا بولس الرسول ، أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون . هى إرادة صالحة فى كل أهدافها . وهى إرادة مرضية فى كل طرقها ووسائطها وهى إرادة كاملة ، لأنها عمل الروح القدس فى حياتنا .

لقد كان آدم فى الجنة يعرف جيداً إرادة الله ومقاصده الصالحة ، ولكنه بعد السقوط صار تفكيره جسدياً ، وضعفت الرؤية الروحية. وجاء المسيح ليعيد إلينا

البصيرة ، ووهبت لنا الكنيسة المعمودية والميرون المقدس ، لندرك الحق ونحبه فنحيا له .

وهى صالحة أولاً أى أنها لا تبغى إلا الصلاح وحده فمشيئة الله لا ترضى بطريق غير صالح مهما كانت الظروف أو الأحوال ، لأن الله نفسه صالح وإلى الأبد رحمته . وهى لا تقبل ما هو للذات . لأن الذين يسلكون حسب الجسد لا يرضون الله .

وهى مرضية بمعنى إنه إن كان الهدف صالحاً فالوسيلة أيضاً يلزمها أن تكون بنفس مستوى الهدف ، فالمسيحية لا تؤمن بنظرية ميكافيللى القائلة (الغاية تبرر الوسيلة) . الوسيلة فى المسيحية كالغاية تماماً ، كلاهما يلزم أن يكون طاهراً وصالحاً ، لأن المسيح هو الطريق ، وهو الألف والياء ، البداية والنهاية . ومن اتخذ المسيح منهج حياته فلابد إن يبدأ به حياته وإليه تنتهى مسيرة خلاصه .

وهى كاملة بمعنى أنها لا تقف عند حد الصلاح البشرى أو الفضائل الاجتماعية ، وإنما تتعدى مشيئة الجسد ومشيئة الرجل لتصل إلى طبيعة الذين ولدوا من الله . هذه الطبيعة السماوية المعجزية التى لم يفهمها نيقوديموس .

ولكن شرح معالمها الرب يسوع إنها ولادة من فوق . فالمشيئة الإلهية فى حياة الناس تكون صالحة فى هدفها ، مرضية فى طرقها ، وكاملة عندما يكون روح الله هو العامل فى حياة الإنسان . كما عبّر المغبوط بولس " أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىّ " ( غلا ٢ : ٢٠ ) . الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله" (رو ٨ : ١٤ ) .

والمعالم الأربعة التى ترشد الإنسان فى تحسسه مشيئة الله فى حياته تتحدد فيما يلى:

**١. روح الله الساكن فينا**

فى صلاة الساعة الثالثة تعلمنا الكنيسة فى تلاوة الإنجيل المقدس أنه متى جاء المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسم الرب يسوع فهو يعلمنا كل شئ ويذكرنا بكل ما قاله لنا الرب .

والقديس يوحنا يشرح هذا قائلا : " وأما أنتم فالمسحة التى أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكم أحد ، بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شئ وهى حق وليست كذباً . كما علمتكم تثبتون فيه " (١يو ٢ : ٢٧) .

أليس هذا هو تحقيق الوعد النبوى الذى أشار إليه بولس الرسول فى العبرانين " أجعل نواميسى فى أذهانهم وأكتبها على قلوبهم وأنا أكون لهم إلها وهم يكونون لى شعباً . ولا يعلمون كل واحد قريبة وكل واحد أخاه قائلاً أعرف الرب ، لأن الجميع سيعرفوننى من صغيرهم إلى كبيرهم .

لأنى أكون صفوحاً عن آثامهم ، ولا أذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد فإذ قال جديداً عتق الأول . وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال "(عب٨ : ١٠-١٣) .

ومعنى هذا أن الإنسان الروحى يلزمه أن يتدرب على أن يسأل روح الله الساكن فيه وأن يستشير الرب الذى أرتضى أن يسكن صهيون أفضل من جميع مساكن يعقوب وصهيون هذه هى قلب المؤمن وحياته الداخلية .

إن معاملات الله الروحية مع أولاده تتسم بالعمل الباطنى Mystical ، (سرى) وكل من يفقد هذا التعامل يحرم نفسه من أعظم عطية يمنحها الله للإنسان المؤمن ، وهو إنه يتكلم الله معه بالسلام فى القلب وليس فى الخارج ولا بالرؤى والأحلام .

## ٢ القلب المضئ نوراً وسراج

ولقد أعطى الرب لنا الكتاب سراجاً ونوراً حتى إذا ما أردنا أن نعاين النور نقول له " بنورك يارب نعاين النور" ومن خلال اكتشاف الوصية وانفتاح البصيرة لها ، والتهاب القلب بحرارة الحب نحوها ، وانجذاب الروح نحو تنفيذها . مهما كانت صعبة وشديدة فى مظهرها ، فإن هذا يعنى أن المؤمن يتحسس طريقة بوضوح وليس فى ظلال أو ظلمه . كل الذين تدربوا على أن يعرفوا مقاصد الله من خلال الكتاب المقدس ، تعزت نفوسهم للغاية ، وأكدت لهم خبراتهم الروحية أن نور

الكتاب كاشف وكلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين خارقة إلى مفرق النفس والروح .

تستطيع أن تميز ما هو نفسانى مما هو روحانى ، وبالتالى أيضا تكشف ما هو جسدانى لأن ما هو للجسد عداوة لله الصالحة الأزلية .

## ٣ـ الكنيسة وخبرة آبائها

لا يعيش المؤمن فى فراغ وإنما هو عضو فى الجسد الواحد ، ولكل مؤمن أب اعترافه ، له مرشده ، عنده الشيخ المختبر الذى تقدم فى المسير الروحانى ، وتدرب على معرفة الحذر من المزالق والانحرافات والمتاهات ، وعرف كيفية النهوض فى المسير باستقامة دون زلل .

مثل هؤلاء فى الكنيسة مشاعل فى الطريق يلجأ إليهم المؤمن لكى يتأكد من النور الذى فيه من خلال النعمة التى فيهم .. هم لا يعطون فتوى شخصيه أو مشيئة خاصة ، ولكنهم يشيرون إلى صحة آنات الروح التى فى القلب ، وسلامة الوصية المكتشفة فى الكتاب ، ومدى أمانة الإرادة التى للمعترف فى تنفيذ هذه الوصية وطاعة لمسات روح الله فى الداخل طوبى لمن عثر على مرشد روحانى وأب نصوح ، فإنه ينمو سريعاً .

لأن خبرة الكنيسة وزخمها الروحى يحمله هؤلاء الأعمدة ليشددوا كل من يريد أن يصعد إلى جبل الرب فى أمانة واستقامة قصد .

يقول البستان "الذين بلا مرشد كأوراق الخريف يسقطون " إن الإرشاد فى الكنيسة لا يتعارض مع طلب مشورة الروح فى القلب ولكن الاثنان يتكاملان ويتفقان ويتحدان ويتواكبان لأن الروح فى الكنيسة واحد .

## ٤ـ يفتح ولا أحد يغلق

بقى الأمر الأخير وهو أن الله يعلن لأولاده مشيئته عن طريق فتح الأبواب المغلقة ، وغلق الأبواب المفتوحة ألم يقل عن مسيحه فى سفر أشعياء " وأجعل

مفتاح بيت داود علـى كتفـه فيفـتح ولـيس مـن يغلـق ويغلـق ولـيس مـن يفـتح
( أش ٢٢ : ٢٢ ) .

وهو القائل عن نفسه فى سفر الرؤيا أيضا " هذا يقوله القدوس الحق الذى لـه مفتـا
داود الذى يفتح ولا أحد يغلق ويغلق ولا أحد يفتح " (رو ٣ : ٧ ) فهو وحده الذى يهيئ الطري
ويحطم المتاريس ويرتب المناسبات بطرق معجزية ليعلن ويكشف لأولاده عن مقاصده .

وهو أيضا الذى يقوى مغاليق الأبواب حتى يحمى أولاده ويجعل تخومهم فـى سـلا
(مز ١٤٧ ) . وعلى المؤمن أن يسير .

"عاملاً بما يرشده الرب دون أن يكسر باب مغلقاً ، ودون أن يهـرب مـن بـاب قـ
فتح له ..

إنه يشبه مسيرته بالأبواب التى فى المطارات الدولية عندما يقوده الرب إلـى إحـدا
سيفتح له الباب بطريقة معجزية ليدخل إلى الدفء والراحة وليمر فى الممرات المباركة الت
تقود إلى المراعى الخضراء ، أما إذا أغلق الأبواب فلينتظر الـرب حتـى تبـدأ الإشـار
الخضراء مرة أخرى ويفتح الباب .

مبارك الرب الذى لا يدعنا لأنفسنا وحدنا بل هو يسير أمامنا ولنهتف مع مرنم إسرائي
الحلو " الرب يرعانى فلا يعوزنى شئ فى مراعى خضر يسكننى على ماء الراحة يوردنى
إن سلكت فى وسط ظلال الموت فلا أخاف شـراً لأنـك معـى عصـاك وعكـازك همـ
يعزيانني " .

[redacted]

**ولعل أول ما يعطى إرادة الله أن تعمل فينا هو :**

[redacted]

فالرسول بولس يقول " لأننى عالم بمن آمنت " .. فإيمانه إيمان اختبارى ، ولأجل ه
هو موقن أن الله قادر أن يحفظ وديعته إلى اليوم الأخير ( ٢تى ١ : ١٢ ).

هناك إيمان وراثى فقط ، وهناك إيمان شكلى مظهرى ، وهناك إيمان سطحى ولكن هناك إيمان اختبارى من نوع إيمان أبينا إبراهيم الذى أختبر حياة الله فى قلبه، وكان مستعداً أن يذبح ابنه طاعة لصوت الله ..

ومن نوع إيمان العذراء مريم التى آمنت بكل ما قيل لها من قبل الرب واستسلمت تماماً لمشيئة الله فى طاعة مذهلة " ليكن لى كقولك " ..

الشاب الذى ليس له إيمان اختبارى باطنى لا تخضع إرادته لإرادة الله ، لأنه لا يعرفها ، ولم يختبرها . وهو إنسان طبيعى يعتبر كل أمور الروح جهالة كما يعبر بولس الرسول .

أما الشخص المؤمن الحقيقى فإنه يفهم مقاصد الله ويعرف رسالته فى الحياة ويوقن بأهمية السير وراء الرب فى الطريق الضيق . لأجل هذا هو مستعد أن يضحى بكل شىء فى سبيل الاحتفاظ بالطريق والحق والحياة .

يقول معلمنا بطرس الرسول : " لأن زمان الحياة الذى مضى يكفينا لنكون قد عملنا إرادة الأمم سالكين فى الدعارة والشهوات وإدمان الخمر والبطر والمنادمات وعبادة الأوثان المحرمة " (١بط ٤ : ٣) .

فالذين تجددت حياتهم بالمعمودية لا يستطيعون أن يعملوا إرادة الأمم ولا يستطيعون أن يعودوا إلى الأركان الضعيفة ، ولا يمكنهم أن يمارسوا أعمال الظلمة التى كانوا يعملونها قبلاً .

## ٢. الحب الإلهى

فمحبه الله التى تنسكب فى قلوبنا بالروح القدس هى وحدها القادرة أن تمنح القوة للصمود وتعطى للإرادة صلابة وللضمير يقظة وللروح حرارة ولهيباً .. فعندما نطالع سير القديسين والشهداء ونلاحظ المواقف الجبارة التى صمد فيها هؤلاء الأبطال .

يكمن وراء هذه كلها حرارة المحبة التى ملأت قلوبهم ودفعتهم إلى أن يفرطوا فى كل شيء حتى حياتهم وبيوتهم وأولادهم ليكونوا أمناء للذى أحبهم ومات لأجلهم وقام .

فلنذكر الشماس الشهيد تيموثاوس الذى أراد الوالى أن يغير إرادته من جهة الإيمان فأتوا إليه بزوجته العروس الشابة وكان اسمها مورا ، وطلبوا منها بالقوة وتحت الضغط والإرهاب والتهديد أن تغرى زوجها العريس وتتوسل إليه بكافة التأثيرات العاطفية لكى يرجع عن إيمانه بالمسيح ، وعند إقترابها إلى زوجها المقيد.

إذ بهذا الشاب صاحب الإرادة القوية يقول لأبيه الواقف بجواره : من فضلك غط رأس زوجتى مورا لكى لا أشتم فيها هذه الرائحة الكريهة فتفسد إيمانى .. ولم تكن عندها روائح كريهة ولكنه رأى فى عدم عفتها وحشمتها رائحة كريهة ، وقد وعظها بكلام قوى وقال لها تعالى معى إلى معركة الاستشهاد الجميلة ، وظل يكلمها حتى تأثرت وأعلنت إيمانها للوالى ، الذى أمر بشد شعرها ففرحت كثيراً وقالت له : هلم بسرعة لأنك تعطينى فرصة لأكفر عن خطيتى لأنك كنت تريد أن أسقط زوجى بشعرى والآن سأنال الخلاص بتعذيبك لى عن طريق شعرى .. ويحكى لنا تاريخ هذا الشهيد إنه أتفق مع زوجته عندما يصلبان ألا ينعس واحد منهما ولا ينام إلى اللحظة التى تفارق فيها الروح الجسد .

قال أحد الشهداء للحاكم " استمروا فى تعذيبنا اطحنونا إلى مسحوق فإن أعدادنا تتزايد بمقدار ما تحصدوننا " وقال آخر عندما اقتلع الوالى عينيه : " إنك باقتلاعك عينى الجسديتين ضاعفت من حدة البصر الروحى " .

لقد كان وراء هذا الصمود العجيب حب شديد للرب يسوع ، ونحن يعوزنا أن نحبه حباً صادقاً حتى تتجمع إرادتنا وتتحد فى إرادته ، ويصير هو الكل فى الكل ، الألف والياء ، البداية والنهاية .

**العامل الثالث الذى يدعم الإرادة ويصقلها ويوجهها إلى الخير هو :**

## ٣. صلب الجسد وقهر الذات

إن النفس لا يمكنها البلوغ إلى حرية مجد أولاد الله ما لم تقمع شهواتها ، والرب لم يُصلب إلا لكى نصلب نحن شهواتنا ، ولم يمت إلا لأجل أن نموت عن الخطية ونحيا له ، أتريد أن تخلص وتتحرر من نير العبودية ومذلة الشهوات ؟ إذاً لابد أن تقاوم ميولك وأهواءك وتتمسك بزمام الحياة الداخلية ، وتكبح جماح شهواتك وتميت النزعات الجسدية وتقوم وتحمل صليب يسوع ، وتنكر ذاتك ، وترفض كل ما هو عتيق فاسد ..

" ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات "(غل ٥ : ٢٤) " عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليبطل جسد الخطية كى لا نعود نستعبد أيضاً للخطية . لأن الذى مات قد تبرأ من الخطية ..كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا " ( رو ٦ : ٦ و ٧ و ١١ ) .

فإن كنا أمواتاً عن العالم فنحن أحياء بالمسيح وفى المسيح وللمسيح .. لنتذكر القديس العظيم الأنبا أنطونيوس الذى وقف أمام جثة والده وكان قد ترك له أطياناً كثيرة وممتلكات عدة . قال له ها أنت خرجت برغم أنفك ، أما أنا فسأخرج بإرادتى قبل أن يخرجونى كارهاً ، لقد وقف ضد ذاته وممتلكاته ليقتنى الحياة الأبدية التى هى الحياة الحقيقية .

إن صلب الجسد لا يعنى مقاومة الشهوات الجسدية الحسية فقط ولكنه يعنى أيضا محاربة الشهوات النفسية مثل الغضب والهوى والكبرياء والحقد . فداود النبى بإخضاعه القوة الغضبية وإماته روح الانتقام من شاول أظهر قوة أشد مما أظهرها بقتله جليات الجبار .

يقول الكتاب المقدس " لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله .. لإنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون ، ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون " ( رو ٨ : ٧ و ١٣ ) .

يقول أحد الآباء الروحيين : الله روح كلى البساطة فما لم نتجرد بالمرة عن عبودية الشهوات الحسية لا نستطيع أن نلهج معه ونتأمل وصاياه .

إن النفس الروحانية مائلة إلى الروحيات ، وإرادتها لا تجد راحة إلا فى الشركة مع الله ، والنفس الجسدية تستعبد لشهواتها حتى أن أعظم عقاب ينزله الرب على إنسان ، هو أن يسلمه لشهواته وميوله الرديئة .

" وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله فى معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق " (رو ١ : ٢٨) .

**وهناك عامل آخر يدعم الإرادة الروحانية فى حياتنا هو :**

[redacted]

وفى هذا يقول الكتاب المقدس فى العهد القديم " أما دانيال فجعل فى قلبه إنه لا يتنجس بأطايب الملك ولا بخمر مشروبه " (دا ١ : ٨) .

لقد صمم على هذا .. لقد رتب حياته على هذا . لقد وضع فى قلبه أن يموت أفضل من أن يكسر وصيه الله .

هذا العناد المقدس هو الذى يعطى للإرادة أن تكون صلبة ، ويسمح للروح القدس أن يدعم اتجاهنا الداخلى نحو مشيئة الله .

لابد أن إغراءات كثيرة حاربت دانيال مثل كلام الموظفين فى القصر ، ودسم المأكولات ومناظرها الشهية ، ولابد أيضاً أن تهديدات وجهت خشية عقوبة الملك التى قد تنصب عليهم وعلى الموظفين فى القصر ، ولكن دانيال وضع فى قلبه ألا يتنجس .

ضع فى قلبك ألا تتنجس بالشهوة الجنسية ، صل للمسيح كثيراً من أجل هذا وقل له أعطنى القوة لكى أصمد وأصمم على حفظ الوصية ، وكما قال ايوب عهداً قطعته ألا أتطلع إلى عذراء هبنى نعمة هذا العهد الذى يحمينى من النظرات الشريرة والأفكار الدنسة والعادات الرديئة .

يحكى فى تاريخ الكنيسة عن شابة أتى إليها أحد الشبان مراراً يداعبها ، وفى آخر مرة قالت له ماذا تريد منى ؟ قال لها عيناك الجميلتان قد ملأتا قلبى هوى نحوك . فقالت له تمهل ، وسرعان ما أحضرت مخرازاً وقلعت مقلة إحدى عينيها وقالت له تفضل . ولما رأى الشاب الدم ينزف غزيراً هذا تأثر تأثراً روحياً شديداً حتى تاب توبة حقيقية . إن إرادة الفتاة الصلبة تسربت قوتها إلى الشاب الشهوانى فمنحته قوة لغلبة أهوائه وشهواته .

ضع فى قلبك إلا تنجس أذنك بنكت قبيحة ، أو هزار سخيف من الناس والشلل المنتشرة حولك . إذا صممت على هذا فسوف يعمل الروح على حمايتك من هذه العثرة .

ضع فى قلبك ألا تكره أحداً أو تحقد على أحد أو تظن السوء فى أحد ، وكلما رغب الشيطان فى زرع عداوة أو فكر شرير فى داخلك أقتلع أنت الزوان بالصلاة وحسن النية وأعمال المحبة نحو الذين يضايقونك .

**عامل آخر يدعم الإرادة الخيرة فى حياتنا :**

**٤. الغيرة فى الحسنى**

إذا كان الشباب يميل إلى التقليد والاستهواء والمشاركة فإن الكتاب المقدس وضع لنا أن نقلد ونقتدى بالقديسين فقط " كونوا متمثلين بى كما أنا أيضا بالمسيح " ( ١كو ١١ : ١ ) .

وكلما أقترب المؤمن من القديسين عرف فقره وضعفه ومسكنته ، واختفت منه كبرياؤه وغطرسته وإكتفائيته .

فالكتاب يوصينا أن ننظر إلى نهاية سيرتهم ونتمثل إيمانهم ، ونتأمل فى غيرتهم وقدرتهم على قهر نفوسهم ، ومواظبتهم على العبادة وتدريب أنفسهم على الاتضاع والزهد وإحتقار غنى العالم وأباطيله .

إن المسيحى الحقيقى كالنحلة النشيطة تجمع عسلها من جميع الأزهار الجميلة يتعلم من واحد الصبر ، ومن آخر الاتضاع ، ومن ثالث الشجاعة ، ومن رابع الإيمان ، ومن مرشد روحى الوداعة ، ومن أحد قديسى الكتاب الطاعة والقداسة .

ومن الرب يسوع نفسه نستطيع أن نقتدى بكمالاته لأنه هو الذى قال بفمه الطاهر " تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب " ( مت ١١ : ٢٩ ) .

وقد علمنا الآباء أن من يريد أن يتعلم إحدى الفضائل يلتصق بقديس أختبرها وامتلأ من ثمارها ومواهبها . وعندما تكلم الرسول بولس عن المواهب الروحية فى رسالته الأولى إلى كورنثوس طوّب عملية الاجتهاد فى طلبها إذ قال " ولكن جدوا للمواهب الحسنى وأيضاً أريكم طريقاً أفضل " (١كو ١٢ : ٣١ ) .

وهذا الطريق الأفضل هو المحبة التى قال عنها فى (١كو ١٣ : ١٣ ) " أما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة هذه الثلاثة ، ولكن أعظمهن المحبة " . وهكذا جمع بين المحبة والمواهب الروحية بقوله فى مطلع الإصحاح الرابع عشر من نفس الرسالة " أتبعوا المحبة ولكن جدُّوا للمواهب الروحية " .

ومعنى هذا أن الغيرة الحسنى مطلوبة ، ولكن على شرط ألا تخرج عن دائرة المحبة التى لنا فى المسيح ، لئلا تدخل فى نطاق الذات والغيرة المرة والعداوات ، هذه التى تتجه نحو جهنم .

## معطلات الإرادة

ولكن لماذا لا أستجيب بسرعة لإرادة الله ؟

**إن أول معطل هو :**

### ١- البر الذاتى والطموح الذاتى

إن أول معطل يضعف إرادتنا عن أن تتحد بإرادة المسيح هو البر الذاتى ، إحساسنا أننا أطهار وليس فينا عيب حتى إذا ما ذهبنا لأب الاعتراف لا نجد ما نعترف به لأن كل حياتنا طيبة وأخلاقنا جيدة . هذه الحالة تنتج من دوراننا حول

أنفسنا ومقارنة حياتنا بحياة الشبان الذين حولنا فى المعاهد والكليات ولكن إن فحصنا أنفسنا على ضوء كلمة الله فإننا نكتشف أننا فى الموازين إلى فوق .

ونتأكد من عوزنا واحتياجنا ، وقد سبق الرب وقال " طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات " . والذى يزيد البر الذاتى فينا هو فتح آذاننا لسماع المديح من الناس ، وخاصة عندما ننجح فى بعض الأعمال والتصرفات والخدمات ..

وهكذا يدخل الشيطان من خلال تركنا حياة التوبة وفحص الذات فحصا دقيقاً وجعلنا نلتفت إلى آراء الناس ومديحهم وبذلك نفقد الإرادة الصالحة .

ومن الأمور التى تميت الإرادة الصالحة فى حياتنا المجد الباطل . فهو لص يسرق كل أمتعتنا ويسلبنا كل ثمار جهادنا .

قال القديس أغريغوريوس " إن المجد الفارغ لص مخفى متنكر يرافق المسافر كأنه مثله عابر سبيل ، وبعد ذلك يختله ويقتله حينما يكون أقل حرصاً على ذاته ويظن أنه فى سلامة " .

وقال عنه القديس باسيليوس " إنه يختطف الكنوز الروحية بحلاوة وهو يعد أنفسنا بلذة " . فالله لا يرفع متكبر بل يقاومه ، وإنما يرفع المسكين والمحتاج والمتذلل له إذ مكتوب عنه " المقيم المسكين من التراب . الرافع البائس من المزبلة" ( مز ١١٢ ) .

وهناك تدريب نافع أعطانا إياه الرسول بولس وهو " فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شئ لمجد الله " (١كو ١٠ : ٣١ ) .

" إن كان يتكلم أحد فكأقوال الله وإن كان يخدم أحد فكأنه من قوة يمنحها الله لكى يتمجد الله فى كل شئ بيسوع المسيح الذى له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين آمين " (١بط ٤ : ١١) .

ولنتذكر قول سليمان الحكيم : " كبرياء الإنسان تضعه والوضيع الروح ينال مجداً " ( أم ٢٩ : ٢٣ ) .

**ومن الأمور التى تضعف إرادتنا التى لنا فى المسيح :**

فإن الشاب (الإنسان) يعيش فى مجتمع ، ومن الأمور الطبيعية أن يكون للجو الاجتماعى تأثيره ، ولكن الشاب (الإنسان) الروحى لا يدع حياته كريشة فى مهب الرياح ولا يسمح لمبادئه واتجاهاته وأهدافه أن يحددها الناس .

وإنما هو حريص على أن تبقى الحياة الداخلية مغلقة مكرسة تماماً للرب "أختى العروس جنة مغلقة . عين مقفلة . ينبوع مختوم " (نش ٤ : ١٢) .

وعلى ذلك يستطيع المسيحى أن يؤثر فى الناس دون أن يتأثر بالأمور الرديئة التى فى الناس . فالرب يسوع شبه المؤمنين بالملح الجيد ، والملح يعطى للتربة ملوحته دون أن يأخذ من الأرض عفونتها .. والنور يبدد الظلمة والظلمة لا تدركه.

وكلما كان الإنسان متأكداً من رسالته ومتعمقاً صدق أهدافه فإنه لا يهتز لما يقوله الناس . يذكر فى تاريخ الكنيسة إن أثناسيوس الرسول قيل له : العالم كله ضدك يا أثناسيوس ! .. فقال : وأنا أيضاً ضد العالم ..

والرسول بولس يقول لأهل كورنثوس فى الرسالة الأولى "وأما أنا فأقل شئ عندى أن يحكم فىَّ منكم أو من يوم بشر . بل لست أحكم فى نفسى أيضاً. فإنى لست أشعر بشئ فى ذاتى .. لكننى لست بذلك مبرراً . ولكن الذى يحكم فىَّ هو الرب . إذاً لا تحكموا فى شئ قبل الوقت حتى يأتى الرب الذى سينير خفايا الظلام ويظهر آراء القلوب ، وحينئذ يكون المدح لكل واحد من الله " (١كو ٤ : ٣ ــ ٥) .

ويعطينا الكتاب المقدس نموذجاً رائعاً لغلبة الأجواء الاجتماعية، وهو شخصية موسى النبى الذى بالإيمان .. " لما كبر أبى أن يدعى ابن ابنة فرعون مفضلاً بالأحرى أن يذل مع شعب الله عن أن يكون له تمتع وقتى بالخطية . حاسباً عار المسيح غنى أفضل من خزائن مصر" (عب ١١ : ٢٤) .

وفى هذا الصدد يقول الرب يسوع " كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض " (يو ٥ : ٤٤) ، وفى موضع آخر يقول " ويل لكم إذا قال فيكم جميع الناس حسناً " (لو ٦ : ٢٦) .

أى أن المسيحى لا يسعى إلى إرضاء الناس فى اتجاهاتهم المنحرفة ولكنه إذ يأخذ المسيح فى قلبه فادياً ومخلصاً ومرشداً وموجهاً ، يستمد من الروح القدس الإلهام والقيادة ويدع الناس يقولون ما يشاءون ويحرص كل الحرص أن يعيش بضمير صالح بلا عثرة أمام الله والناس .

### ٣. الاندفاع

ومن الأمور الخطيرة التى تضعف الإرادة الروحية الاندفاع وعدم التريث ، وأخذ القرارات من واقع إرادة الذات ، والفكر البشرى دون التريث واستشارة الرب فى كل شئ ، هذا الاندفاع قد أورث كثيرين هلاكاً .

فلنذكر مثلاً شاول الملك الذى اندفع وقدم الذبيحة لأنه وجد أن صموئيل النبى قد تأخر ، ومع أن تقديم ذبيحة لله أمر ليس رديئاً ، لكن صموئيل أفهم الملك بعد وصوله أن الله لم يقبل منه تقديم الذبيحة لأنه ليس كاهناً ، ولأنه اندفع ولم يطع الوصية .. وأفهمه أن : " الاستماع أفضل من الذبيحة ، والإصغاء أفضل من شحم الكباش " (١صم ١٥ : ٢٢) ، ونزل القصاص على شاول ، إن الله سيقسم مملكته كما تمزقت جبة صموئيل عندما أمسك به شاول بعد الحديث الذى دار بينهما .

ويقال فى تاريخ الكنيسة إن أريوس إندفع فى إحدى العظات وشرح آية " أبى أعظم منى " شرحاً منحرفاً ولأجل قساوة رقبته رفض أن يتراجع ، وملك عليه الشيطان وأخذ يدعم فكره بالآراء المنحرفة والتفسيرات الخاطئة للآيات .

وقد يندفع الشاب فى الحديث مع والديه أو أخوته ومثل هذا الاندفاع يسبب مشكلة خطيرة فى البيت تسبب نكداً وغماً وخسائر كثيرة ، لأجل هذا نحن نحتاج إلى تدريب أنفسنا على التريث والهدوء فى الفكر والقلب والتصرف وإعطاء الرب

فرصة أن يقود سلوكنا وتصرفاتنا مهما كانت صغيرة أم كبيرة ، بسيطة أم هامة . فى كل شئ لنتدرب على أن نعطى روح القيادة الحقيقية .

عندما أرسل الرب موسى لكى يخلص شعبه من العبودية يشرح لنا سفر الخروج كيف أن فرعون رفض أن يسمع لموسى وهرون ، وكيف شدد النير على شعب الله فأرسل الرب ضربات كثيرة على المصريين ، وهنا حاول فرعون أن يدخل مع موسى وهرون فى مفاوضات ، فمرة يقول " أنا أطلقكم لتذبحوا للرب ..

ولكن لا تذهبوا بعيداً . صليا لأجلى " ( خر ٨ : ٢٨ ) ، ومرة أخرى يقول لهم: " أذهبوا اعبدوا الرب .. ولكن من ومن هم الذين يذهبون " (خر ١٠ : ٨).

ولما رفض موسى هذه العروض اقترح فرعون الذى يمثل الشيطان " اذهبوا اعبدوا الرب غير أن غنمكم وبقركم تبقى .. فقال موسى .. فتذهب مواشينا أيضا معنا . لا يبقى ظلف " ( خر ١٠ : ٢٤ ــ ٢٦ ) .

لا يبقى ظلف لأن هذا هو أمر الرب للخلاص .. فقصة المفاوضات بين موسى وفرعون هى مثل ما يحدث بين الشيطان وكل واحد فينا يريد حياة التوبة وحياة الإرادة الموحدة ،

الذى يصلى قائلاً " وحد قلبى فى خوفك " .يقول له الشيطان حسن أن تبقى فى حياة الخطية ولا مانع من الذهاب إلى الكنيسة للعبادة ، وإن رفض هذا العرض يقول له لا مانع من الابتعاد عن الأماكن المعثرة ولكن لا مانع من أن ترتبط فكرياً بها وإن أبت النفس هذه العروض يطلب ولو شهوة واحدة أو عرقلة عن التسبيح للرب .

ولكن التوبة الحقيقية لا تقبل هذه المفاوضات ، والنعمة تكسر كل كبرياء فينا ، وتطفئ كل شهوة مستعرة ، وتهز كل جمود الأنانية وتحجر القلب . وتنير لنا

مواضع الضعف حتى نقوم من سقطاتنا لكى نعمل أعمالنا الأولى ونحفظ منارتنا فى مكانها ( رؤ ٢ : ٥ ) .

**٥- الترف**

ومن المعطلات التى تمنع الشاب ( الإنسان ) من أن يحيا حياة الصلابة الحقيقية والرجولة المسيحية الترف والتدلل ( الدلع ) وهذه هى مشكلة الجيل كله ، فالمجتمع بكل وسائله يسعى إلى تقديم وسائل الترف والراحة ..

هذه التى لم يكن يتمتع بها آباؤنا وأجدادنا حتى أن أصعب الموضوعات فى التعليم أصبحت تقدم لنا من خلال الأجهزة الحاسبة والعقل الإلكترونى ووسائل الإعلام المختلفة .

إن الحضارة والمدنية المعاصرة شجعت الشباب على الترف والتدلل ، كما كثيراً من البيوت سايرت روح العصر وشجعت أولادها على عدم التغصب وإجابة كل متطلباته سواء كان هذا حسناً أو رديئاً حتى أن الشباب فقد كثيراً من الصلابة والحزم والإرادة الداخلية الحرة .

ولا علاج لهذا الترف إلا بالصلاة العميقة والتوبة المستمرة والدموع الحارة والخلوات المنظمة والنسك والأصوام المتواترة حتى تتقوى الإرادة وتتنصب طالبة معونة الله ونعمته ورحمته .

وفى الكتاب المقدس مثال لأثر الترف فى حياة الناس وهو داود النبى هذا الجبار الذى قال عنه الكتاب : فتشت قلب عبدى داود فوجدته حسب قلبى ، وفى موضع آخر نجد داود يقتل أسداً ودباً ، بل ويهاجم جليات الجبار بمقلاع وقليل من الحصى ، هذا العملاق ينهزم ويسقط فى خطية الزنا ، والسر فى هذا هو الترف ، فقد سمح لنفسه أن يعيش على مستوى الملوك وأخذ يتمتع بامتيازات الملوك وامتنع عن أن أن يذهب للحرب تاركاً لغيره هذه المهمة . وكانت النتيجة أن داود صعد إلى سطح بيته فنظر وأشتهى ثم سقط ، وكان سقوطه عظيماً .

وهكذا نحن نحتاج فى هذه الأيام إلى شباب يدرب نفسه على مقاومة الهزار والكلام الكثير والأكل الكثير والشهوات الداخلية . وقديما قال سليمان " مالك روحه خير ممن يأخذ مدينة " ( أم ١٦ : ٣٢ ) .

**وهناك عوامل أخرى تضعف الإرادة الروحية وأهمها :**

إنى أريد أن أحكم عقلى ، أريد أن أقتنع ، مع أن الإيمان فوق العقل ، وإن كان لا يتضارب معه ، لو أن إبراهيم أبا الأباء سمح لعقله أن يتحكم فى صوت الله له ، لما ترك عشيرته وأهل بيته ، وما قدم أبنه وحيده إسحق ذبيحة على جبل المريا .

والخوف هو أحد نتائج ضعف الإيمان . أخاف من الصليب ، أخاف من الفشل ، أخاف من المخاطرة لا أريد أن أخالف ما توافق عليه الناس . أما المسيح فهو يريدنا أن نتبعه حيثما يمضى . حتى ولو إلى جثسيمانى . وشكراً لله أنه بعد الجلجثة ، توجد القيامة ، وشكراً لله أنه فى هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذى أحبنا.

وكما أن الله يعلن إرادته بوضوح ، لأولاده المخلصين الساعين نحو الحق ، فإن الله أيضاً يعلن مقاصده لكنيسته ، كوحدة وكجماعة متحدة :

إنه يريدها أن تحيا للحق وتشهد له . ولا تفرط فيه ، ولا تستخدم طرق العالم ومناهجه ، فهى عامود وقاعدته . وإن تجاهلته تفقد كيانها ، ويصبح وجودها بلا معنى .

إنه يريدها وحدة ، لا يطيق بها انقساماً أو تحيزاً ، أو تعصباً أو تفرقاً . إن شهوة قلبه أن يكون الجميع واحداً ، كما أنه هو والآب واحد . وعلى هذا تحرص الكنيسة ، على أن تتأصل فيها وحدانية القلب التى للمحبة .

إنـــه يـــريدها ســـاهرة يقظـــة عـــابدة مصـــلية غير متراخية أو متكاسلة تسعى نحو خـــلاص الآخريـــن ، وتجـــرى وراء الخـــروف الضـــال والدرهـــم المفقود ، ولا تضحى بأحد فى سبيل انشغالها بالأعداد الضخمة والمظهريات الكاذبة .

إنـــه يـــريدها عروســـاً بـــلا عيـــب أو دنـــس ولا غضن ، جنة مغلقة ، عينا مقفلة وينبوعاً مختوماً .

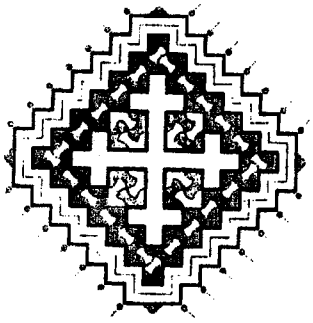

# ظاهرة الهجرة

## مقدمة

تعتبر ظاهرة الهجرة ظاهرة اجتماعية قديمة ، فمنذ أقدم العصور والتاريخ يسجل لنا عن شعوب هاجرت وتركت أراضيها سعياً وراء الرزق والمرعى والحياة الآمنة ..

وفى الكتاب المقدس نرى هجرة إسرائيل الى مصر .. وفى التاريخ المدنى نسمع عن هجرة المغول ( التتار ) من أراضيهم إلى الشرق الأدنى ثم أوروبا ..

والشعوب الفينيقية واليونانية وكافة البلاد الساحلية تتميز دائماً بالهجرة وسرعة الانتقال من بلد إلى أخرى .

ونحن لا نبحث هذه الظاهرة من النواحى البشرية كدراسة السلالات المهاجرة مثلاً ، ولا من النواحى الاقتصادية ولا من النواحى السياسية ، ولكنا نريد أن نعالج ظاهرة هجرة كثير من الشباب المصرى وخاصة المسيحى من الأراضى المصرية إلى بلاد أجنبية ، وخاصة كندا والولايات المتحدة واستراليا وأوروبا .. نريد أن نلم بالعوامل التى وراء هذه الظاهرة ونركز على الجانب الدينى الذى يهمنا فى دراستنا هذه ..

### لماذا يهاجر الناس ويتركون أوطانهم ؟

إما سعياً وراء لقمة العيش ، فعندما يحدث قحط فى البلاد الرعوية وتقل الأمطار لظروف طبيعية يهرع الرعاة إلى المناطق التى بها الكلأ . أو عندما تقل فرص العمل فى بلد صناعية أو تجارية فيلجأ العمال أو الموظفون إلى بلد أخرى تحتاج لأيدى عاملة أو خبرات فنية ، أو عندما يرى الفنيون والخبراء أن هناك إغراءات مادية ذات فاعلية أقوى فى البلاد التى يهاجرون إليها .

وإما سعياً وراء الطمأنينة والتقدير والراحة النفسية وإشباع الحاجات واستغلال المواهب .. فقد شهدت البلاد النامية فى منتصف القرن العشرين هجرة كثير من المثقفين والفنيين الذين وقفت القوانين الاشتراكية أمام طموحهم ونهمهم فى استغلال مواهبهم لمزيد من المال واكتناز الثروة .

وهناك عامل نفسي آخر وهو الشعور بالاضطهاد ، فاليهودى مثلاً يعيش فى كل بلد من البلاد فى مجتمع يسمى " الجيتو " وهو ما نقول عنه فى مصر " حارة اليهود " وهو مجتمع مغلق لا يدخله إلا اليهود فقط ، وفى هذه القوقعة ينسحب ولاء الأفراد من إخلاصهم للوطن والبلد الذى يعيشون فى خيره إلى جماعتهم المتماسكة المنغلقة وإلى دولة إسرائيل .

لأجل هذا يرحل اليهود من بلد إلى بلد سعياً وراء الطمأنينة وخوفاً من وهم يعيشون عليه ، هو وهم الاضطهاد ..

وقد يهاجر البعض لأنهم لم يجدوا فرصاً لمزيد من الدراسة العليا ولم تتح لهم فرص البعثات والإجازات الدراسية ، بينما يشعرون أن زملاءهم الذين سافروا إلى بلاد متقدمة مثل أمريكا وكندا قد حازوا على درجة الدكتوراه فى سنين قليلة .

وقد يهاجر البعض لأنهم قد فشلوا فى حياتهم الاجتماعية أو المهنية ، أو لأنهم واقعون تحت ظلم من رئيس أو أهل أو أقارب ..

وقد يهاجر البعض لأنهم يهربون من واجبات مقدسة مثل التجنيد أو رعاية والد أو والدة مريضة مرضاً خبيثاً مستعصياً ..

من هذا العرض السريع نتبين أن هناك عوامل كثيرة وراء ظاهرة الهجرة ، نلخصها فى التجمعات الآتية :

+ عوامل اقتصادية .
+ عوامل نفسية .
+ عوامل اجتماعية .
+ عوامل دينية .

## موقف الإنسان الروحى من دوافع الهجرة

المسيحية ديانة سماوية ومهمتها هى خلاص نفس الإنسان . إنها ليست تنظيماً اجتماعياً أو نظاماً اقتصادياً ، كما أنها ليست أيديولوجية أو مبادئ وإنما هى حياة أفضل يعيشها الإنسان على الأرض ، وسيرته فى السماويات .

وليست عند المسيحية فتاوى بصدد الموضوعات الاجتماعية على مستوى الحرام والحلال ولكن هناك استنارة يعطيها الروح القدس لنفس الإنسان المؤمن ،

ومن خلالها يستطيع أن يفرز ما هو حق مما هو باطل .. والمسيحية لا تهمها كثيراً الظاهرة بقدر ما يهمها الدوافع الداخلية .. فقد يهاجر شاب سعياً وراء مال أكثر ليرسله إلى عائلته الكبيرة المكونة من أب مقعد وأم عجوز وأخوات شابات يحتجن المال لزواجهن .. بينما قد يهاجر شاب آخر مستريح مادياً فى بلادنا كأن تكون له صيدلية أو عيادة ناجحة ، ولكنه يرنو بطموح شديد نحو الأرصدة الإسترلينية البراقة والترف الأمريكى الذى يسيل له لعاب كل شاب مستعبد للمال .

من أجل هذا ليس فى نظر المسيحية رأى محدد بالنسبة لظاهرة الهجرة ، هل هى حرام أو حلال ، لأن هذه الظاهرة ظاهرة اجتماعية وتحكمها قوانين وقواعد اجتماعية ، وليس من الصواب أن نحكم دينياً على ظاهرة اجتماعية ، كما أنه ليس من الحكمة أن نحكم اجتماعياً على قضية إيمانية .

ولكن الذى يلزم أن يفحصه الشاب جيداً هو الدافع إلى الهجرة لأن هذا هو الأمر المتعلق بخلاص نفسه والذى يمس حياته الروحية ونظرته إلى الحياة .. ويهمنا أن نحذر الشباب فقط من المخاطر الآتية بالنسبة للدوافع غير السليمة .

## خطورة الطموح والرغبة فى مزيد من الترف

حسن للشاب أن يسعى وراء ترقية ظروفه الاجتماعية والاقتصادية والسلمية.. ولكن الإنسان الروحى يلزمه أن يسعى جيداً . ليس كل ما يحل له يوافق ، وليس كل ما يحل له يبنى .. وأنه يلزم للروحانى أن يضحى بأشياء كثيرة محللة لكى يتفرغ للعبادة والخدمة والخلوة .

ويحسن بنا أن نضع هذه الآيات أمامنا وهى وحدها قادرة أن تخاطب ضمير كل شاب طموح طموحاً زائداً وراء المال والترف .

- "إن كان لنا قوت أو كسوة فلنكتف بهما " (١تى ٦: ٨).
- "أما التقوى مع القناعة فهى تجارة عظيمة" (١تى ٦: ٦).
- " ومضى (الشاب) حزيناً لأنه كان ذا أموال كثيرة "(مر ١٠: ٢٢).

❖ " محبة المال أصل لكل الشرور الذى إذ ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع شديدة " (اتى ٦: ١٠).

❖ "لا يقدر احد أن يخدم سيدين .. الله والمال" (مت ٦: ٢٤).

## خطورة عقدة الاضطهاد ونفسية الجيتو

إن الرسول يعقوب يقول احسبوه كل فرح يا إخوتى حينما تقعون فى تجارب متنوعة .. والرسول بطرس يرى أن التجارب المتنوعة توجد فى حياة المؤمن لتزكية إيمانه .. والرب يسوع له المجد قال لنا " طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلى كاذبين ( مت ٥ : ٢١ ) . وقد وعد الكنيسة أنها ستتألم ونبه تلاميذه إلى الضيقات التى سيقابلونها وقال لهم اذكروا الكلام الذى قلته لكم .. إن كانوا قد اضطهدونى فيضطهدونكم (يو ١٥ : ٢٠) ، (يو ١٦ : ١و٢) ، ( مر ١٣ : ٩ ) .

وعلى ذلك فإن الضيقات والاضطهاد من أجل الإيمان أمر ضرورى وجزء هام فى حياة المؤمن ..

ولكن يلزمنا أن نفرق بين الاضطهاد الدينى الذى تقوده الحكومات وتخطط له لمنع العبادة ونشر المطبوعات الدينية كما فعلت بعض الحكومات الأجنبية أبان ثورات اجتماعية معينة وبين بعض مظاهر الظلم الاجتماعى الذى يقع من أفراد ذوى مراكز اجتماعية على بعض الأشخاص من الأقليات سواء كان ذلك حقداً على مواهبهم الممتازة ، أو كراهية لأمانتهم الظاهرة ، أو بُغضاً لعوامل نفسية أخرى . فى هذا يقول معلمنا بطرس الرسول "لأن هذا فضل إن كان أحد من أجل ضمير نحو الله يحتمل أحزاناً متألماً بالظلم" (١بط٢ : ١٩) .

فهناك فارق كبير بين الاضطهاد الدينى وبين الظلم الذى يقع على المواطن من رؤسائه بسبب استقامته وأمانته وشرفه .

وفى حالة الظلم اذا يلزم أن يكون موقفنا ؟!

علينا أن نمارس الحقوق الاجتماعية من شرح الموقف ورفع التظلم للرؤساء وإيضاح الأمر فى الهيئات القضائية ..

ولكن قبل هذا كله يلزمنا أن نقبل الظلم بشكر وفرح وإلا فنحن لسنا حملاناً فى وسط ذئاب .

يلزمنا أن نتخلص من نفسية الجيتو وأن يكون لدينا انفتاح واضح للآخرين وحب شديد للوطن واحتمال ضعفات المواطنين وتعصبات البعض كى ندفع بعجلة التقدم إلى الأمام ، وإلا فكيف نكون ملحاً للأرض ونوراً للعالم !!

إن الذى يهاجر بدوافع دينية وينادى بأنه مضطهد دينياً وساع نحو أرض فيها الحرية ، إنما هو شخص مريض نفسياً مصاب بعقدة الاضطهاد ، ولن يجد حرية لأن البلاد التى سيذهب إليها سيعيش فيها عضواً فى أقلية أجنبية غير وطنية !! وبلاد تضطهد المسيحيين الملونين والزنوج .. إن هذا الالتواء النفسى هو أخطر ما فى ظاهرة الهجرة بالنسبة للشباب المسيحى .

## خطورة السلبية والهروب من المسئوليات

الشاب المسيحى لا يهرب من مسئوليات وطنية أو عائلية لأنه يعلم أن أداء هذه الواجبات واجب مسيحى " أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله " .

وقد جاء بالآية واجب وفاء الدين لقيصر أولاً ثم واجب وفاء الدين لله ثانياً ، ومعنى هذا أننى لا أستطيع أن أصلى صلاة مقبولة وأنا قد أغبنت حق قيصر ..

إن ظاهرة السلبية ناتجة من الظاهرة السابقة وهى الطائفية والانكماشية والتقوقع والانعزالية والانغماس فى مجتمع الجيتو . أما الإنسان المسيحى الحقيقى فهو يواجه واجباته الوطنية والعائلية بكل شجاعة ، مستجيباً لقول الرسول بولس " اثبتوا فى الايمان.. كونوا رجالاً .. تقووا " " .

وتحمل نفسية الإنسان المتهرب من مسئولياته جانباً خطيراً من الأنانية والسلبية والرغبة فى الخداع والغش والسرقة ومثل هذه النفسية ليست مسيحية

إطلاقاً كما أنها تحيا سعيدة في المجتمع الجديد لأنها تحمل في داخلها جراثيم تحطيمها ..

## واجب الكنيسة إزاء المهاجرين للخارج

على الكنيسة أن ترعى أولادها الذين يهاجرون إلى أراض بعيدة ونحن نشكر الله أن قداسة البابا قد أخذ في إرسال كهنة أرثوذكس إلى الولايات المتحدة وكندا واستراليا .

ونحن نقترح أن تقيم الكنيسة في كل قطر من الأقطار مركزاً أرثوذكسياً ، يحتوى كل مركز على دير من الأديرة القبطية الصغيرة وبه بعض الآباء الرهبان القديسون ، وعلى كنيسة ، وعلى مدرسة ، ومكتبة ، ومطبعة أرثوذكسية ، ويعمل هذا المركز التبشيرى على تسليم الروح الأرثوذكسية لكثير من الأقباط وغير الأقباط القاطنين فى البلاد النامية ..

إن مثل هذه المراكز تكون خلايا حية وخمائر قادرة على أن تخمر العجين كله ، وتسلم الإيمان السليم كله . وكذلك على الكنيسة أيضاً أن تصدر نشرات دورية ترسلها إلى أولادها تخبرهم فيها بأخبار بلدهم السياسية والاجتماعية والدينية حتى لا تنقطع الصلة بين المهاجرين والوطن ، وحتى تتقوى وشائج الرابطة بين قلب كل مهاجر وبلده الأصلية العزيزة . وتستطيع الكنيسة أيضاً أن تعمل الكثير لو شاءت ، فقط هي تحتاج إلى شباب روحي متجرد من روح العالم كى يسافر ، لا ليجمع أموالاً ويكتنز ثروات ، بل ليبشر باسم المسيح فى بلاد العلم والتكنولوجيا والشهرة والمال .

## واجب المهاجرين إزاء الكنيسة

لعل أهم واجب هو الولاء القلبى .. فإن المزمور يقول إن نسيتك يا أورشليم تنس يميني .. وأورشليم هنا هي الكنيسة الأرثوذكسية التى أرضعتنا لبن الحق ، وعلمتنا نور الإيمان السوى ..

وهذا الولاء يتحقق في أرثوذكسية السيرة . فإذا ما حافظ المهاجرون على سيرتهم من محبة العالم التى هى شهوة العيون وشهوة الجسد وتعظم المعيشة ، فإنهم بذلك يعبرون عن عمق إخلاصهم لكنيستهم ..

وهذا الولاء يتحقق أيضاً في عمق وطنيتهم ورفضهم لكل إغراء وعروض تدعوهم إلى الانضمام إلى هيئات أو منظمات تعادى بلادهم .. بل وعليهم أن يكونوا رسلاً ينشرون حضارة بلادهم وينادون بقضايا تهم وطنهم العزيز .

لأجل هذا يلزمهم أن يعودوا إلى وطنهم وبلادهم بين الحين والحين ليلمسوا الحال ويتعرفوا على الأحداث ويزيدوا الرابطة بين أولادهم وبين أرض الوطن الحبيب ..

إنهم يستطيعون أن يسهموا في مساعدة مكاتب الخدمة الاجتماعية وتمويل الكليات والمعاهد المسيحية بالمراجع الأرثوذكسية والأجنبية التى تطبع بالخارج ، ويكتبون إلى الكنيسة والمسئولين عن كل ما يجرى فى الخارج دينياً وسياسياً ، لتكون الكنيسة على علم تام بهذه التطورات ، وتعطى رأيها فى كل الأمور والأحداث .

## بعض أسئلة

س : ما خطورة الزواج من الأجنبيات ؟

ج : قديماً كان الزواج من الأجنبيات يعتبر خطية لأنهن كن يعبدن الأصنام ويشجعن الأزواج على هذا كما حدث مع سليمان الحكيم ، وحالياً تعتبر مخاطرة لأنه يلزم على الخطيبة أن تتعمد عماداً أرثوذكسياً ، كما أنه من الصعب التجاوب النفسى والعاطفى بين جو شرقى تماماً وجو غربى تماماً .

س : لماذا تعتبر قراءة الكتب المتحررة أمراً خطيراً ؟

ج : لا يقرأ الكتب المتحررة إلا من امتلأ من الحق حتى يستطيع أن يحكم عليها ولا تحكم هى عليه . أما المبتدئون فى الطريق فإنهم قد يعثرون من قراءات تجذبهم نحو تيارات فكرية خطيرة تحتاج إلى حذر شديد وتؤدى بهم إلى مزالق كان الأجدر بهم تجنبها . وإذا حدث وقرأ إنسان كتاباً من هذه الأنواع ، عليه أن يسأل مرشده الروحى لكى يريحه ويخلصه من آثار الأفكار المسممة .. هذه ليست وصاية من الكنيسة بل حماية ..

# الاكتشاف الثالث

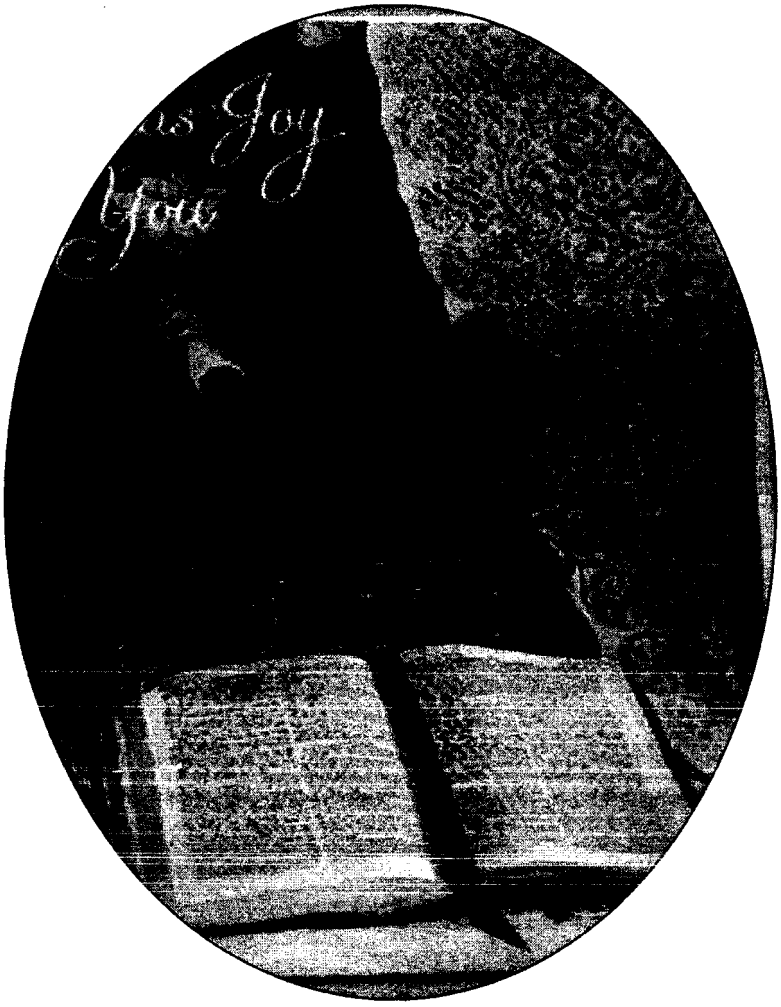

# الاكتشاف الثالث

يظن البعض أن الرب يسوع المسيح مجرد مصلح اجتماعي فيعجبون بما فى المسيحية من مبادئ قادرة على تهذيب الإنسان ، ويرى البعض فى شخص المخلص زعيم مذهب ومنشئ ديانة فيضعونه كواحد بين كثيرين من أصحاب الديانات ، ويرى آخرون فى السيد المسيح نبياً صاحب معجزات فتبهرهم القوة العظيمة التى كانت تخرج منه وتصنع أشفية وتقيم موتى ..

هؤلاء جميعاً وإن اختلفوا فى النظرة إلى يسوع إلا إنهم يشتركون فى اتجاه واحد هو أنهم فى جانب وشخص الرب فى جانب آخر .. مثل هؤلاء لا يرون فى المسيحية إلا مبادئ سامية ومعجزات باهرة وديانة مختلفة عن ديانات أخرى سائدة ..

إلا أن هناك فئة أخرى هم بالحقيقة جماعة المؤمنين الذين ولدوا لا من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل ولكن من الله ولدوا هؤلاء الذين نالوا بالولادة الجديدة نعمة البنوة والحياة الأبدية ..

هؤلاء يعرفون يسوع لا خارجاً عنهم فى إطار الكتب أو النشاط الطائفى ، ولكنهم يختبرونه فى أعماقهم ولذلك تجد حديثهم عن المخلص لا كما يتحدث عنه السابقون ، وإنما يكون السيد المسيح بالنسبة لكل واحد منهم : مسيحه وإلهه ومخلصه وراعيه وخبز حياته وموضوع حبه وإيمانه وخدمته وبذله وتضحياته .

## إنه يسوع المخلص

الاكتشاف الأول للكنز الذى فى الداخل يحدث فى المقابلة مع المسيح عندما يكون الإنسان بعيداً عن أحضان الأبوة متلهياً فى محبة العالم مغروراً بالغنى أو مهموما بضيقات الزمان متلذذاً بشهوات الجسد محباً للحياة الأرضية ناسياً وطنه الأصلى ومدينة آبائه القديسين.

يحدث فى النفس نوع من الجوع والعطش ويصير الإنسان كما فى فراغ زائفاً محتاجاً إلى راحة وعزاء ، ولكن جميع مسليات الأرض وملذات الحياة لا تستطيع أن تقدم له أدنى

قــدر مــن السلام وعندئذ تفيق النفس من تيهها وتستيقظ من رقدتها ولا تجد أمامها غير أن تصرخ : ارحمنى .. ارحمنى ..

- ❖ قل كلمة واحدة يا سيدى .. فأبدأ .
- ❖ الق نظرة واحدة يا مخلصى .. فأطهر .
- ❖ اسمح بلمسة واحدة يا إلهى .. فأتجدد .

فــإذ بالعين مملوءة بالدموع الساخنة ، وإذ بالقلب كسير وحزين على الأيام التى أكلها الجراد ، وإذ بالروح فرحة منطلقة متهللة لأنها تجوز اختبار الخلاص .

تشعر بأن يسوع يملك وتفهم معنى يسوع . إنها تتذكر كلام الملاك "لأنه يخلص شعبه من خطاياهم " (مت١ : ٢١) .

**واختبار اللقيا له فعل سحرى فى حياة المؤمن .**

- ❖ سمعان ترك كل شئ بعد أن تلامس مع دعوة المحبة .
- ❖ وشاول تكرس لخدمة الكلمة بعد أن تقابل مع الرب .
- ❖ وموسى الأسود ترهب وترك العالم بعد أن جدد الرب حياته ونقله من الظلمة إلى النور وأدخله إلى حظيرة الإيمان وعرفه الطريق والحق والحياة .

فكــل مــن دخل يسوع إلى قلبه ليغسله ويجدده ويصنع فيه تطهيراً يعرف شخص الرب كمخلص له فاعليته فى حياته فيقول مع يوحنا الحبيب : " الذى سمعناه . الذى رأيناه بعيوننا الذى شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة .. نخبركم به لكى يكون لكم أيضا شركة معنا " (١يو ١ : ١ ــ ٣) .

كــل نفــس لم تختبر هذا الاختبار ولم تنل هذا الاكتشاف يظل شخص الرب يسوع عندما إما زعيم طائفة أو صاحب كتاب اسمه الإنجيل ! أو نبيا أو مصلحا اجتماعيا ؟ ! أو على الأكثر إلهاً صاحب معجزات كانت قديما فى الجليل والناصرة !! .

أخى ! هل عرفت الرب يسوع كمخلص لشخصك أنت بالذات ؟ ..

إن لـــم يكن هذا قد حدث فأن شخص الرب مستعد أن يدخل هو والآب ويصنع مائدة . إن قبلته وأعطيته أن يدخل ويسكن ويملك على حياتك .

**عمانوئيل الله معنا**

والـــنفس التى تجوز الاكتشاف الأول تدخلها النعمة إلى الاختبار الثانى الذى فيه يقود الرب النفس . فى هذا الاختبار ترتل النفس مع داود النبى: " الرب يرعانى فلا يعوزنى شئ. فى مراع خضر يسكننى . على ماء الراحة يوردنى . عصاك وعكازك هما يعزياننى " .

- ❖ الراعى الأمين يضرب بعكازه على الأرض لتسمع الخراف صوته وتتبعه .
- ❖ والله المحب يمسك عصاه ليؤدب كل نفس ترغب فى ترك الطريق .
- ❖ عمانوئـــيل الله معـــنا يـــرفع عكازه لتتبدد من قدام وجهه كل أعدائه ، وتهرب الذئاب الضـــارية الـــتى تجول ملتمسة من تبتلعه . ومن شدة حبه ينزل بعصاه على كل نفس متضجرة راغبة فى الذهاب وسط الشعاب الملتوية والآبار المشققة البعيدة حيث الأعداء الذين لا يرحمون!.

الله معـــنا يـــرددها جماعة الذين لم يختبروا فعل الخلاص فى حياتهم على مستوى اجتماعى فيرون فى معية الله عناية وكفالة برزقهم ولقمة عيشهم وصحة حياتهم ومطالب تجمعاتهم وطوائفهم .

الله معـــنا يـــرددها المعذبون كأنشودة وترنيمة غلبة يسبحون بها الأسد الخارج من سبط يهوذا ويرون فى معية الله لهم اختبار النمو فى النعمة والتغذية الروحية وكذا اختبار التربية والتهذيب .

للتأهيل للحياة الأبدية والثمر المتكاثر " وكل ما يأتى بثمر ينقيه ليأتى بثمر أكثر " عمانوئيل هو اختبار كل مؤمن يستلم يسوع قيادة حياته .

أخـــى ! هـــل تشعر أن الرب معك فى حياتك ؟.. إن لم يكن هذا حادث فعلا فابدأ وسلم حياتك له وهو مستعد أن يجددها ويقودها فى موكب نصرته كما قاد من قبل ملايين النفوس المحبة للملكوت .

## لتكون مكملين إلى واحد

إلا أن المسيحية لا تقف عند حد الاختبارين السابقين ، تعطى فى الأول غفران الخطية لكل تائب معترف بخطاياه ، وتمنح فى الثانى رعاية لكل نفس خاضعة تواقة للحياة الأبدية .

والمسيح الهنا تجسد لكى يأخذ مالنا ويعطينا ماله .. الكلمة صار جسداً لكى يهبنا بتجسده شركة معه لا على مستوى إرادى فقط وإنما شركة اتحاد حقيقى "من التصق بالروح فهو روح واحد" .

الرسول بطرس يرى أن عناية المسيحية أن نكون شركاء الطبيعة الإلهية وشركتنا نحن المؤمنين هى مع الآب ومع الإبن يسوع المسيح كقول يوحنا الرسول .

أخى ! إن كنت تشعر أن يسوع المسيح غافر لخطاياك وقائد لحياتك فتقدم فى الاختبار لتحس به عريساً للنفس .

المسيح إلهنا لا يرضى أن يكون مجرد غافر للخطايا وقائد لقطيعه .. وإنما يجب أن يكون عريساً يدخل القلب ويسكن ويصنع فيه مع أبيه منزلاً .

المسيح إلهنا لا يرضى أن يكون ملكوته فى السماء فحسب ولكنه يستجيب طلبة المؤمنين الصارخين "ليأت ملكوتك" فيصنع فى قلوب أحبائه عرشاً وحيثما يكون يسوع يكون الملكوت .

المسيح إلهنا كرمة ونحن المؤمنين فيه أغصان تأتى بثمر .. هو رأس الكنيسة ونحن المؤمنين أعضاء أحياء فى جسده الطاهر .

هوذا الطريق الوحيد ليكون جميع المؤمنين مكملين إلى واحد كما طلب المخلص فى صلاته الشفاعية الأخيرة أن نأكل جسد أبن الإنسان ونشرب دمه لتكون لنا الحياة الأبدية . وحدة المؤمنين مع يسوع مركزها الجسد الذبيح والدم السكيب . شركة المؤمنين مع المخلص مصدرها الدعوة ووحدانية الروح والإيمان الواحد والجسد الواحد الذى للوحيد الجنس يسوع المسيح .

**هذه هى اختبارات المؤمن مع الرب :**

**فى الاكتشاف الأول**

لقيا مفرحة فيها يرفع الرب دينونة الخطية .

**فى الاكتشاف الثانى**

رعاية أمينة وقيادة حكيمة وعصا مؤدبة .

**ومن بركات التجسد**

أن نصل إلى شركة مع الآب وابنه ، لكى نكون مكملين إلى واحد ..

أيهـــا الحبيـــب . دعوة من الله أن تتلاقى معه فى التوبة وتسلم له الحياة فى الجهاد الروحى وتثبت فيه فى الإفخارستيا " سر التناول " .

# أين أنت

# أين أنت

هل تعلم من الذى يحدثك ؟

وهل تدرى من الذى يسأل عنك ؟

أنا المحب الذى يحبك بالحقيقة وحبه لك لا ينقطع مهما كانت أحوالك .. التفت إلىّ .. افتح قلبك لحديثى ..

## البحث عنك

أبحث عنك ليلا ونهاراً .. لست فى حاجة إليك ولكن حبى الذى يملأ قلبى يشغلنى بك ، لذا لا أستطيع أن أنساك فأنت منقوش على كفى .. أحبك لأنك ابنى .. كنت شريداص هالكا ولـيس لـك رجاء فاشتريتك بدمى وأعطيتك سلطاناً أن تكون ابناً .. بالتبنى أعطيتك العهود والمواعـيد والـرجاء والخلاص .. وها أنت الآن عضو فى جسدى . قد يخيل إليك أنى لا أذكـرك بيـن ملايين البشر ولكن فى الحقيقة إلى الآن لم تعرفنى .. إذا كان الراعى يحفظ خـرافه مهما كثرت وينـاديها باسمائها .. كم بالحرى أنا الراعى الصالح الذى بذلت ذاتى من أجلك لتوجد نفسك طاهرة بلا عيب ..!

لذلك فإن نفسك جميلة أمامى " ها أنت جميلة يا حبيبتى ها أنت جميلة عيناك حمامتان " اخـترتها عروسا لى وأعطيتها حق الشركة وفتحت قلبى لها .. قومى يا حبيبتى يا جميلتى وتعـالى أنصتى إلىّ أنا هو مخلصك وراعى حياتك .. ولدتك بالماء والروح فصرت مشرقة مثل الصباح جميلة كالقمر طاهرة كالشمس مرهبة كجيش بألوية .

أين أنت ؟ المحبة فى قلبى قوية كالموت والغيرة قاسية كالهاوية مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئها وسيول شديدة لا تغمرها .

## الحياة معى

- أنا هو الحياة وكل من كان ميتاً وآمن بى وجد الحياة .
- أنا هو الطريق وكل من كان ضالا وتبعنى عرف السبيل .
- أنا هو الحق وكل من كان ملتويا وأحبنى استقامت نفسه .

## لماذا تتركنى يا حبيبى ؟

أليست الحياة معى فرحا وسلاما .. ألا تذكر كيف قبلنى زكا العشار فامتلأ قلبه بالفرح ؟ وألـــم تسمع عن السامرية التى كانت تحيا فى غربة عن نفسها فلما آمنت بى امتلأت نفسها سلاما وبراً ..

أنـــا هـــو الحـــياة .. أريد أن أحييك ، اقترب إلىّ ، اسمع نداء فمى ، أريد أن أعطيك شركة ميراث القديسين ، لست أريد أن أغفر لك خطاياك فقط ولكنى أريد أن أعطيك ذاتى .. لا يفرحنى أن تترك خطيئة محبوبة عندك فقط ولكن الذى يفرح قلبىأن أجد لنفسى مسكناً فى قلـــبك وآتـــى أنا والآب ونصنع منزلا عندك .. أريد أن أعطيك سلاما لا يعرفه أهل العالم ، فكـــل الأشـــرار لـــيس لهـــم ســـلام لأنهم لا يعرفوننى وهم تحت الخطيئة وسلطان الدينونة والمـــوت ، ولكـــن إن أحببتنى أهبك الحياة الأبدية وأعطيك أن تحس بها من الآن .. سأرى عينيك أنوار أورشليم السمائية إن اشتقت إليها .. وأسمع أذنيك تهليل القديسين إن تاقت نفسك إلى ذلك .. وأدخل إلى مخدع نفسك وخبايا قلبك فلا يكون عليك دينونة ولا يستطيع إبليس أن يمتلكك .

## لا تستكثر علىّ هذا

فإن روحى يعمل فى الكنيسة وقد جذب الكثيرين الذين فتحوا قلوبهم لى :

- كم من زان لمس قلبه روحى فصار قديسا .
- كم من سكيرا أحبنى وصار ورائى فصار شاهداً ونوراً .
- كم من متكبر التفت إلىّ وقبلنى فصار وديعاً متواضعاً باذلا نفسه للآخرين .
- أنا يسوع رئيس الخلاص من يؤمن بى له حياة أبدية .
- إن قـــوة تخرج منى لكل من يلمسنى بقلبه فتشفيه وتجدد مثل النسر شبابه وتحييه إلى الأبد .

## لماذا بعدت عنى ؟

ســـأحدثك حديـــثاً صريحاً .. فأنا فاحص الكلى والقلوب ولست أدينك بحديثى لأنى ما جئت للدينونة ولكن للتوبة والخلاص ولكنى أخاف أن تصر على السير فى طريقك فتقع تحت

الديـــنونة عند مجيئ فى اليوم المخوف . سأعرض لك الأسباب التى من أجلها تركنى الذين هلكوا كى تفحص نفسك وتذكر من أين تسقط وتقدم توبة وتأتى إلىّ .

- الكـــبرياء والذاتية والغرور والعجب بالنفس .. هذا هو معسكر الأعداء الأول .. كل من ينضم إليهم يحتقر صليبى ويكره طريقى ويرفض مشورة أبنائى ..
- لمـــاذا تتكـــبر على ألست تراباً ؟ أذكر أنى وأنا إلهك جئت وغسلت الأرجل لأعطيك مثالا كى تكون وديعا ومتواضعا مع الجميع .

* الشـــهوة وعبودية اللذة وعشق الجسديات .. وهذا هو المعسكر الثانى الذى كل من يتبعه يهرب من انجيلى وحب الصلاة معى .. الغرائز التى أودعتها جسدك ليست للنجاسة . تحســـس الحـــق الذى فيها .. سلمها إلىّ وأنا أقدسها .. جسدك هيكل لروحى .. كل ما فيك جمـــيل وطاهر .. لا تهبط إلى عبودية الحس .. أنا أقيمك إن مددت يدك إلى .. كان موسى الأسود مستعبداً لكثير من هذه وأعطيته أن يكون قديسا .. وأنا أعطى لك أيضا .

* الخـــوف والجبن والهروب من الصليب .. وهذا هو المعسكر الذى يجتذب كثيرين ممن غلبوا المعسكرات السابقة .

لمـــاذا تخف ؟ أنا هو لا تخف .. تشدد وتشجع وكن رجلا ليتقوى قلبك .. أنا هو الذى سندت داود أمام جليات ويشوع أمام العماليق ..

مستعد أن أعطيك أن تكون جبار بأس كجدعون وسهما مبريا كالمعمدان وناراً ملتهبة كبولس .

لمـــاذا تستمع إلى كلام الناس وتخاف منهم ؟ ألست أنا الذى خلقتهم وإن كنت أنا معك فمن يقدر عليك ؟

لماذا تخاف المستقبل وتريد من الناس تأميناً لحياتك ؟ ألست أنا إلهك ومتوكل أمرك ؟ إلـــق علـــى همك وأنا أعولك . أذكر أنى أنا الذى علت فى القفر شعبا غليظ الرقبة أربعين سنة وأعطيت طعاما لإيليا وبولا وأنطونيوس فى البرية .

لا تحـتقر صـليبى من أجل مجاملة الناس فبولس عبدى الذى كان يضطهدنى حسبه موضـوع فخـره .. وموسى عبدى فضل أن يذل مع شعبى عن أن يكون له تمتع وقتى مع فرعون ..

اقـترب إلىّ .. سلم لى حياتك وانظر كيف أعطيك قوة لا تحلم بها .. أريد أن يتمجد اسـمى فـيك وبك فأسمح أن أستخدم حياتك حتى ولو كانت إناء ضعيفا كى أملأها بروحى لتشهد لى أينما وجدت ..

أنـا هو صاحب الكرم .. واقف لأدعو كل من يريد أن يعمل فى كرمى ، كل من يقبل أعطيه قوة ليست منه لأنه مكتوب ليس بالقوة ولا بالقدرة ولكن بروحى يقول رب الجنود ..

**عد إلىّ**

أنا فاتح أحضانى .. أنا معد وليمتى .. أنا تارك كل حسابى ..

مسـتعد قلـبى أن يقبلك بفرح ويكون بك فرح عند ملائكة أبى ويدى أيضاً تسندك فى جهادك وإن سقطت أقيمك وأدافع عنك لأنك عندما فتحت قلبك وسلمت حياتك إلىّ صرت لى وأنا لك .. واحمل معك نير الصليب وافرح قلبك بالجرى فى الطريق الروحانى وانزع عنك كل مرارة وخوف وتغرب عن النفس أمنحك روحانية وعمقاً وشركة وفرحاً وسلاماً ..

واكتـب اسمك فى سفر الحياة أعطيك أن تغلب وتأكل من شجرة الحياة التى فى وسط فردوسى ..

هـا أنـا آتى سريعاً . من يغلب فسأجعله عموداً فى هيكل إلهى من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس .

# المسيحية إلتهاب

# المسيحية التهاب

## تطلع ثم التهاب

فـــى العهـــد القديـــم تطلع موسى وهو فى قصر فرعون فرأى أخوته كيف يهانون ، ويذلون ، ويستعبدون ، فرقت أحشاؤه وتحنن قلبه للغاية .. وتفكر كثيراً فلم ير أمامه إلا أحد أمريـــن : أمـــا أن يظل فى قصر الملك ينعم بالحرية وحده ويدافع قدر طاقته عن اخوته من وراء الستار ، وأما أن ينزل ليكون عبداً ، ينضم إلى صفوف العبيد فيحررهم بعد أن يصير واحداً منهم .

وهذا الموقف الثانى هو ألهب قلب موسى وهو حرى أن يلهب قلب من ضل ! موسى النـــبى هنا يشير إلى ما صنعه الرب يسوع حينما التهبت أحشاؤه لما رأى ذل الإنسان فنزل من حرية مجده ليصير عبداً مع العبيد وارتضى أن يكون شريكاً لنا ليس فى اللحم والدم فقط بل فى الذل والهوان !! .

هكذا صار الرب فى مستوى الإنسان ، ودخل دائرة أحزانه وآلامه ، وهو حامل فى كـــيانه البشـــرى ســـر قوته ، وقداسة لاهوته ، واقتدار خلاصه ، وبذلك استطاع أن يحمل مســـئولية الإنســـان لا من خلف الستار من نقطة أعلا السموات فيما هو وراء المنظور ، بل وهو فى مستوى الواقع المؤلم كشريك ومتألم كمظلوم ومهان .

هـــنا محور المسيحية كلها فالحرية التى ينالها المسيحى ليست هبة يمنحها له المسيح كما يمنح السيد الحرية لعبيده ، ولكن الحرية عمل المسيح وجهده وعرقه ودموعه ودمه ، لقد اســـتخلص المســـيح لـــنا الحـــرية لا بالدعاء والصلاة لأبيه ولكن بجروح الصليب وغصة الموت !! .

هكذا تأسست المسيحية لا على أقوال ولا على مبادئ ولكن على يسوع المسيح نفسه الذى بالتهاب حبه صار عبداً وبعبوديته حرر العبيد وبالصليب دفع الثمن .

هـــذا الالـــتهاب هـــو الوديعة التى استودعها المسيح لأرضنا "جئت لألقى ناراً على الأرض وما أريد إلا اضطرامها" .

هــذا الالتهاب الذى هو سر نزول ابن الله وتجسده وسر تحمله الآلام وصلبه لا يزال هو سر المسيحية ونقطة البداية الصحيحة التى تبقى وتضطرم حتى النهاية !! .

## التمسك بالحب

آفــة العصر الحاضر هى برودة المحبة نتيجة كثرة الخطايا "ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين" المسيحية لا تعرف ولا تطيق برودة المحبة ، المسيحية تحتمل كل شىء وتعيش فى أسوأ الظروف ، ولكنها تختنق وتموت وسط القلوب الباردة غير الملتهبة ،

انها تؤكد أن أولاد الله ظاهرون ، وأولاد هذا العالم ظاهرون ، فإما أن تلتهب وتحب بالحق فتصير ابناً لله "كل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله" (١يو ٤ : ٧) .

وأمــا أن لا تحب فتثبت عدم إيمانك وعداوتك لله "من لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة" (١يو ٤ : ٨) .

كثيراً ما ينخدع الإنسان للشيطان ويحيا بقلب منقسم بين العداوة والمحبة فتارة يعمل أعمــال العــداوة وتــارة يعمل أعمال المحبة ، هذا القلب لم يلتهب بعد بالمحبة الحقيقية لأن المحبة الإلهية لا تعيش معها عداوة ولا يمكن أن تبرد .

والمحبة الإلهية قائمة فى سر المسيح وسر الصليب . ومن يحمل هذا السر يحمل قلب المسيح وهو لن يكف عن أن يعمل عمل المسيح والصليب .

أن يلقــى الإنســان بنفســه فى مغامرة الحب الإلهى ويدع حبال المساحة تقع عليه فتكرســه وتشده إلى الرب بالتمام ، هذا منتهى مشيئة الله ، ومنتهى رجاء المسيح : أن تكون هناك شعلات نارية ملتهبة تضئ وجه الأرض المظلم .

فى العصر الرسولى كانت الكنيسة كلها ملتهبة فالعلمانيون لما اضطهدوا لم يهدأوا بل تشتتوا كما يتطاير شرر النار وجالوا مبشرين بالكلمة !! .

والرســل بقوا وحدهم فى أورشليم كشعل مركزية مستعدة للموت ! والمؤمنون الذين عاشوا فى السراديب ظلت قلوبهم تتقد بحب مسيحهم مفضلين أن يعيشوا فى ظلام السراديب

محتفظيـــن بأمانتهم لمن أحبهم وأحبوه من أن يعيشوا بالتنعم بين الرؤساء والعظماء ناكرين الحب .

## أين مثل هؤلاء الآن ؟

الالتهاب بالحب يبدأ من الداخل عندما يرفض الإنسان ذاته وينكر شهواته ويذكر دوما ذلـــك المحـــب العظيم الذى يقف كل يوم على باب القلب يطلب الدخول !! إنه لا يبكتنا على عمـــل عمله من أجلنا ، ولكنه يعرض نفسه أنه مستعد أن يجعل كل ما عمله هدية شخصية لكل من يقبله .

أن عمـــل الصليب عمل حب والتهاب فهو يصلح أن يكون هدية ولا يصلح أن يكون التزاما !! الله لا يزال يقول عن نفسه "الله محبة" فكل من يقبله يلتهب !

هذه الحياة الملتهبة هى التى نشرت المسيحية على وجه كل الأرض فهى قوة الكرازة وقوة الخدمة وقوة الرعاية ، ليس من قوة الحب فقط بل من التهاب الحب !! .

يقول القديس مكاريوس الكبير " أن الذى جعل الثلاثة فتية يحتملون النار المتقدة وهم داخـــل الأتـــون هو التهاب قلبهم بنار الله فالنار الداخلية قهرت النار الخارجية وألغت قوتها وسطوتها" ! .

وهكذا أيضا هو سر الشهداء جميعا فليس من قوة على الأرض استطاعت أن تفصلهم عـــن الـــذى أحبوه لأن شعلة نار المسيح كانت مختبئة فى قلوبهم . يقول القديس مكاريوس الكبـــير أن نـــار الله هى غذاء المسيحيين ومتنفسهم وقت المحن والشدائد وهى التى يبيضون فيها ثيابهم قبل الرحيل !! .

## وحدانية الحب

الـــذى يلتهب بالمسيح يلتهب حبا بالخليقة كلها !! لذى تمتلكه نار الروح القدس يبيع نفســـه للمحبة ويسهل عليه أن يتحد بكل قلب !! لأنه لا يعد يفرق بين خاطئ وبار ولا يميز بين مستحق وغير مستحق ! فيحيا باذلا حياته كلها للأخوة ولغير الأخوة .

آفـــة المكرسين لخدمة الله انحصار المحبة وضيق القلب ومحاباة المودة ! .. ان ربنا يسوع له المجد لم يعلم تلاميذه التهاب المحبة وإنما صلب أمامهم !!

لا التعلـــيم ولا الشـــجاعة ولا التمسك بالحق يوحد بين القلوب المتنافرة ولكن التهاب المحبة .

المحبة أم الفضائل والمواهب كلها ، والتهابها يكون عند حضور سر المسيح فيها .. هذا الالتهاب يزكيه الروح القدس فى القلب المشتاق فعلا للمحبة !!

هـــذا الالـــتهاب لا يكـــون بين مؤمنين محبين للحق فقط بل وللخطاة والاثمة .. هذا الالـــتهاب لا يوحد مصالح ولا يوحد أغراض ولكن يوحد قلوباً لتسير ليس حسب معرفتها أو شـــجاعتها أو غـــيرتها ولكـــن لتسير فى خضوع وبساطة وجهالة حكمتها تحت قيادة الروح القدس الذى يمنطقها ويحملها حيث لا تشاء !!

## قوة الكنيسة

قوة الكنيسة ليست فى وحدة القلوب بل فى شدة المحبة ، التى انصهرت تحت تأثيرها هذه القلوب ، فاتحدت حيث القوة هنا ليست فى عدد القلوب ولا فى قوتها أو حكمتها لكن فى شـــدة المحبة التى فيها ، حينما تعلن هذه المحبة عن ذاتها بالسلوك تجاه الضعيف والقوى ، الخاطى والبار ، الظالم والمظلوم ، المبغض للحق والمحب للحق سواء بسواء .

عين المحبة طاهرة كعين الله تستر كل عيوب النفس البشرية ، ولا تفتش عن الخطيئة والكذب ، ولا تدين ولا تفضح ولا تلوم ، ولكن تترفق وتتأنى وتبارك وتغفر وتحب من قلب طاهر بشدة! فيئن على الخطاة ويتأنى على المتكبرين ويبتسم فى وجه الضعيف حينما يلتهب القلـــب يـــدرك قوة الصفح والاحتمال وينكشف له سر المسيئين والغاضبين ويبكى من أجل الشاردين .

القلب الملتهب هو حجر أساس فى الكنيسة ومركز تجميع فى جسد المسيح . الكنيسة لا تزال تحيا فى عصرنا على إشعاعات الحرارة المنبعثة من الشعل الملتهبة التى ألهبت قلب الكنيسة الأولى ! الرؤساء اليوم إنما يعيشون على ومضات النور الآتى إليهم عبر التقليد الذى

حفظه الإيمان هذه الدهور كلها شهادة ان الحب خالد ! والتهاب الحب قادر أن يحفظ الإيمان إلى آلاف السنين !!

ولا يـــزال السنكسار أى قصص الآباء القديسين مصدر حرارة ودفـء لقلب الكنيسة ولكل قلب يستجيب للغة المحبة ويقبل أمانة الشعلة ! .

## ماذا نعمل أيها الأخوة ؟

نحن لا نستطيع أن نعلم المحبة ولكن نستطيع أن نحب ، نحن لا يمكن أن نلوم أحداً ولكن نطلب لأنفسنا وللجميع مزيداً من المحبة !!

ليست المحبة هى التى تسترعى انتباهنا بل التهاب المحبة .

نحن نتوسل إلى الذى ألقى ناره على الأرض أن تضطرم ناره فينا حتى ننسى ذواتنا وننطلق نحب الجميع بلا تفريق .

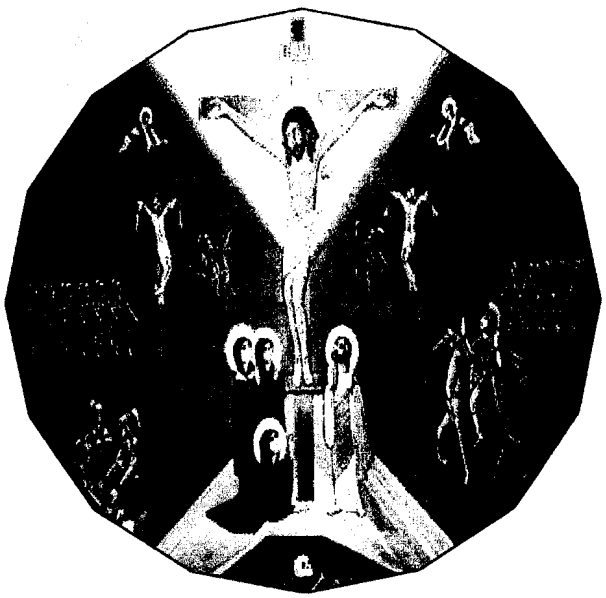

# موسوعة حياة ومؤلفات

## نيافة الحبر الجليل مثلث الرحمات

## الأنبا بيمن

## أسقف ملوى وأنصنا والأشمونين

**المجلد الأول :** حياة الأنبا بيمن ( من التعب إلى المجد )

**المجلد الثانى :** الأصوام والأعياد ( الجزء الأول )

١ــ الصوم الكبير .

٢ــ صوماً روحانياً .

٣ــ التجسد الإلهى .

٤ــ مجد وسلام ومسرة .

٥- ذهباً ولباناً ومراً .

٦ــ الميلاد الثانى .

٧ــ القيامة ومشكلات الشباب .

٨- القيامة وحياتنا الروحية .

٩- عيد الصعود الإلهى .

١٠ ــ السماء الثانية .

**المجلد الثالث :** الأصوام والأعياد ( الجزء الثانى )

١ــ دراسات وتأملات فى الأصوام والأعياد .

٢ــ الأنبا بيشوى .

٣ــ مقتطفات من الأعياد .

**المجلد الرابع :** دراسات وتأملات فى الكتاب المقدس

١ــ الوصايا العشر .

٢ــ صوت الرب .

٣ــ تأملات في إنجيل يوحنا .
٤ــ تأملات فى سفر أعمال الرسل .
٥- تأملات فى تيموثاوس + كولوسى .
٦- تأملات فى يعقوب + بطرس الأولى .
٧- تأملات فى ألقاب المسيح ووظائفه .
٨- تأملات فى شخصيات من الكتاب المقدس .

**المجلـد الخـــامس : الخدمة**

١ــ الخدمة فى القرية .
٢ــ خدمة الشباب .
٣ــ الشعور الدينى فى الطفولة والمراهقة .
٤ــ مستويات تدريس الأعياد .

**المجلـد الســـادس : الشباب والأسرة**

١ــ قضايا شبابية واجتماعية .
٢ــ الرؤية المسيحية للعمل .
٣ــ المسيحية وبناء الشخصية .
٤ــ الإرادة فى حياة الشباب .
٥- المسيحى وروح العصر .
٦ــ الأسرة المسيحية ..
٧- الطفولة من منظار مسيحى .
٨- الحياة العائلية .
٩ــ الحياة الاجتماعية .

**المجلـد الســـابع : التدين السليم**

١ــ التدين السليم .
٢ــ العبادة المقبولة .
٣ــ مسيح الكون كله .
٤ــ الجهاد الروحى .
٥- الحياة الباطنية .
٦ــ الفضائل .

**المجلد الثـــــامن : التربية المسيحية**

**المجلـد التاسـع : حياة العفاف**

١ــ العفاف المسيحى .

٢ــ سر الحب .

٣ــ المسيحية والجسد .

٤ــ الجنس مقدساً .

**المجلـد العاشـر : وسائط النعمة وموضوعات روحية أخرى**

١ــ أعظمهن المحبة .

٢ــ كيف أمارس سر الاعتراف ــ والمرشد إلى الاعتراف .

٣ــ كيف أبدأ .

٤ــ الروحانية الأرثوذكسية .

٥- الناموس والنعمة .

٦ــ علامات الكنيسة .

٧- نريد أن نرى يسوع .

٨- يمين الرب .

٩ــ الغيرة المقدسة .

١٠ــ ولم يحبوا حياتهم .

١١ــ إرادة الله وحياتنا .

١٢ــ ظاهرة الهجرة .

١٣ ــ الاكتشاف الثالث .

١٤ــ أين أنت .

١٥ ــ المسيحية إلتهاب .

**المجلد الحادى عشر : المناهج للمرحلة الإعدادية السنة الأولى .**

**المجلد الثانى عشر : المناهج للمرحلة الإعدادية السنة الثانية .**

**المجلد الثالث عشر : المناهج للمرحلة الإعدادية السنة الثالثة .**

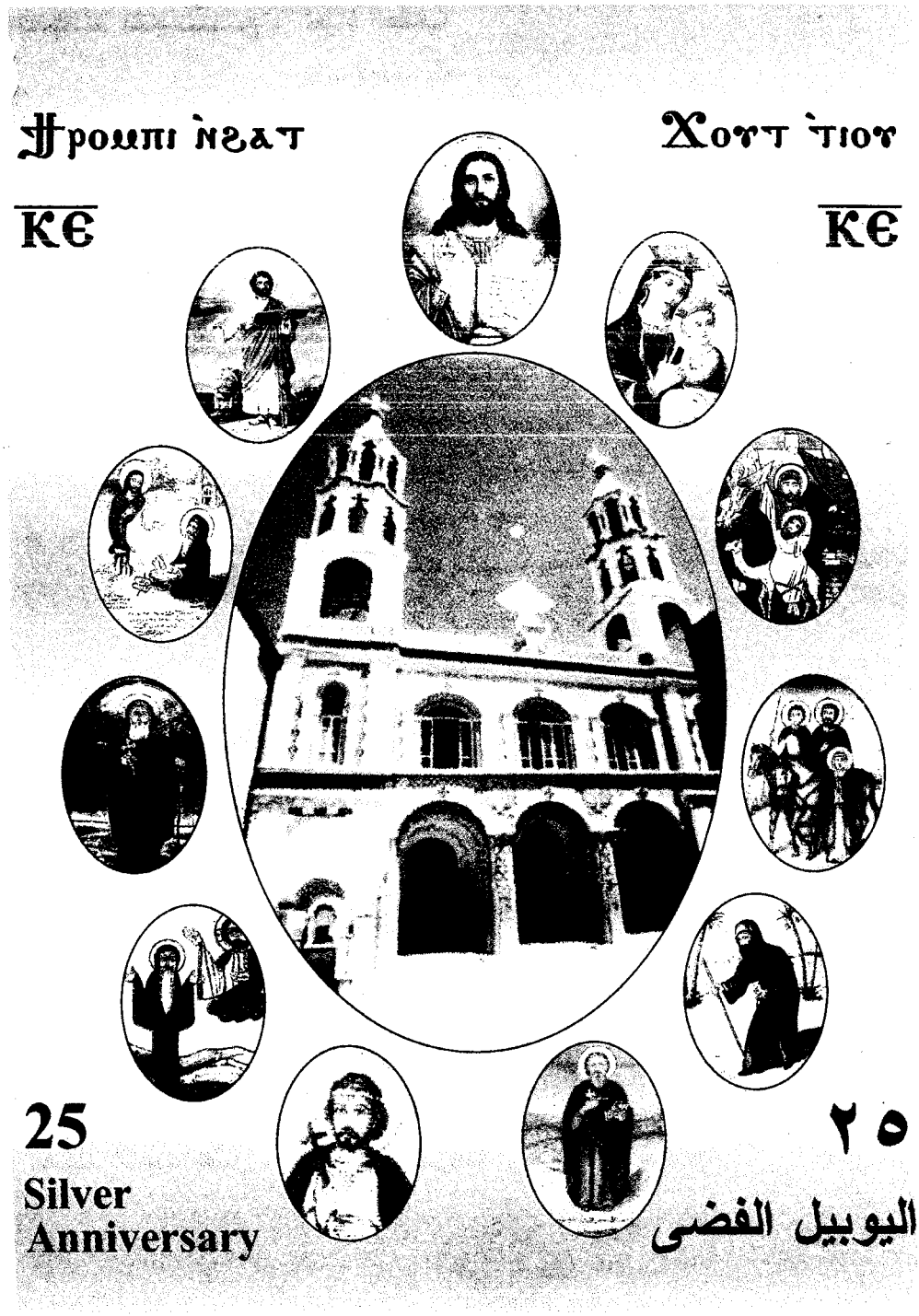
Ⲏⲣⲟⲙⲡⲓ ⲛⲥⲁⲧ
ⲔⲈ
Ⲭⲟⲣⲧ ⲇⲓⲟⲩ
ⲔⲈ
25
Silver
Anniversary
٢٥
اليوبيل الفضى